# الحركة الصهيونية
# طبيعتها وعلاقتها بالتراث
# الديني اليهودي


تأليف

**دكتور / محمد خليفة حسن**

أستاذ الدراسات اليهودية

كلية الآداب - جامعة القاهرة



**دار الثقافة العربية**

القاهرة

٢٠٠٢م



## محتويات الكتاب



# تقديم

نشأت الحركة الصهيونية المعاصرة لهدف واحد محدد ، وهو إقامة وطن قومي لليهود المشتتين فى أنحاء العالم . وقد وقع اختيار زعماء الحركة على أرض فلسطين لتكون هذا الوطن الذى سعوا إلى إقامته . ومن هنا فدراسة الحركة الصهيونية ونتاجها الفكرى ينطوى على ضرورتين هامتين بالنسبة للإنسان العربي:

الضرورة الأولى : ضرورة قومية تلزم الإنسان العربى بمعرفة تاريخ الحركة الصهيونية ، ودراسة برنامجها السياسى ، وفكرها الأدبي حتى يكون فى استطاعته الرد على أصحاب الحركة الصهيونية ، وادعاءاتهم والدفاع عن الحق العربى بأسلوب علمى بعيدا عن المهاترات . ولن يتأتى هذا الدفاع إلا عن طريق المعرفة العلمية السليمة بالحركة وروادها .

والضرورة الثانية : ضرورة علمية يفرضها علينا الواجب العلمى ، فالصهيونية ، ككل الحركات السابقة عليها ، أو اللاحقة بها ، تقدم لنا مجموعة من المعلومات التاريخية والآراء الأيديولوجية ، ومن حقها علينا أن تعرف فى إطار علمى موضوعى .

وقد يظن القارئ أن هناك تعارضا أو تناقضا بين هاتين الضرورتين . والحق أنه لا يوجد تعارض بين الضرورة القومية والضرورة العلمية . فلو لم تكن لنا نحن العرب مشكلة سياسية عسكرية مع أصحاب الحركة الصهيونية ، لاقتصرت دراستنا للحركة الصهيونية ، واهتمامنا بها على جانب المعرفة العلمية فقط . ولكن نحن فى صراع سياسى و عسكرى وحضارى ضد الصهيونية ، وهذا يعطى لمعرفتنا بالصهيونية هدفا أبعد وأعمق من مجرد المعرفة الفكرية المجردة . وهذا يضعنا فى نفس الوقت فى مشكلة : وهى أننا عندما نقرأ عن الصهيونية ونتعرف عليها لا نفعل هذا بالعقل فقط ، ولكن تلعب عواطفنا أيضا دورا هاما فى معرفتنا بالصهيونية . إذ لا يستطيع الإنسان العربى أن يقرأ شيئا عن الصهيونية ، ويكبح

فى نفس الوقت جماح غضبه وعواطفه المتأججة غيظا ، وحنقا على أصحاب هــذه الحركة الذين حققوا أهدافهم على حساب الإنسان العربى .

المشكلة إذن تتلخص فى التالى : كيف يمكننا كعرب أن نترك العاطفة جانبــا ، وننظر إلي الحركة الصهيونية وفكرها نظرة عقلانية محضة . وهذه ليست دعـــوة الى التسامح مع الصهيونية أو الى غض النظر عن الشرور التى ارتكبتها فى حــق الانسان العربى ، ولكنها دعوة الى الفهم العقلى غير المتأثر بالعاطفة لفكـــر هــذه الحركة وتطوره حتى يمكننا التعرف على طبيعتها الحقة . ونكون بهذا حققنـــا أول خطوة جادة فى سبيل الدفاع عن القضية العربية ، وهذه الخطـــوة هـــى المعرفـــة العلمية بالحركة وفكرها .

وقد كان الخطأ الذى وقع فيه كثير من الكتاب العرب أنـــهم بحكـم تحمســـهم وغيرتهم على القضية العربية ، لم يعطوا دراسة الصهيونية حقها ، ولذلـــك جــاء دفاعهم عن القضية دفاعا متهورا أضروا به القضية العربية أكثر من إفادتهم لـــها . وقد حان الوقت للتريث العلمى ، فصراعنا مع الصهيونية صـــراع طويـــل ،لأنـــه صراع فكرى حضارى فى المقام الأول ، وليس سياسيا عسكريا فقط ، كما يعتقـــد الكثيرون . وهذا الصراع الحضارى أقدم بكثير مـــن التـــاريخ الحديـــث للحركـــة الصهيونية ، وهو فى نفس الوقت صراع مستمر ستكون الغلبة فيـــه لمـــن يملـــك المعرفة الحقة لفكر الآخر .وإذا كانت الحركة الصهيونية قد لاقـــت نجاحـــا فـــى تاريخها المعاصر ، فإنما يرجع ذلك الى علة واحـــدة وهـــى معرفـــة الصهاينـــة والمسؤولين عن الصهيونية بأحوال العرب وأنماط سلوكهم ، وتقاليدهم وعاداتـــهم ، فى نفس الوقت الذى جهل فيه العرب كل شىء تقريبا عن الصهاينـــــة ، وفكرهـــم وأحوالهم .

وبناء على هذا ، فالمعرفة السليمة بالحركة الصهيونية لا تخدم فقـــط القضيـــة العربية فى شكلها السياسى فقط ، ولكنها ضرورية للدفاع عن قضيـــــة الحضـــارة

العربية ضد الصهيونية التى حاولت ولا تزال تعمل على تشويه الحضارة العربية ، وتقديمها للغرب فى صورة مهلهلة رثة اكتسبت به عن طريقها تعاطف الغــــرب . وعندما تقدمت الصهيونية بأطماعها السياسية فى الأرض العربية ، وجـــدت مــن الغرب كل التأييد والمساعدة . إذ اتحدت أهداف الصهيونية وأهـــداف الاســتعمار العالمى فى ضرورة الغزو الحضارى لمنطقة الشرق الأوســط ، ونشــر المدنيــة الغربية فى بلاد صورها الصهاينة لزعماء الغرب على أنها صحـــراء جدبـــاء ، لا حضارة فيها ، ويعيش بها شعب متخلف ثقافيا وفى حاجة ماسة الى المدنية . ويا له من هدف انسانى أن تتحول هذه الأرض الى المدنية ، وتدخل فى دائرة الحضـــارة على يد الصهيونية فالهدف الأخير كما صوره زعماء الصهيونية هو نشر المدنيـــة الغربية . ورسمته الصهيونية على أنه واجب وضرورة إنسانية . وبطبيعة الحال لم يعترض الغرب ، وهل هناك من يعترض على نشر الحضارة ؟ وها هـــو موشـــى هس (١٨١٢-١٨٧٥م) أحد كبار زعماء الصهيونية ، وأول مفكر صهيونى يحـــدد هدف الصهيونية بأنه هدف حضارى يمكن يهود العالم من القيام بدور فعال فى بناء عالم الغد ، وتصبح الأمة اليهودية رقيبا ومعلما لشعوب الشرق . وتتفق هذه الفكرة مع الفكر الاستعمارى الغربى الذى كان ينادى بضرورة استعمار دول الشرق لبعث المدنية ، ونشر الحضارة الغربية لرفع المستوى الحضـــارى لشـــعوب الشـــرق . ويخلط هس بين فكرة اختيار الشعب اليهودى وفكرة نشـــر الحضـــارة ، ويعتـــبر الاختيار دافعا لنشر الحضارة فى الشرق المتخلف ، وهو فى رأيه هذا يقترب من رأى تيودور هرتسل ، رائد الصهيونية السياسية ، الخاص بإقامة دولة تكون بمثابــة سويسرا يهودية ، ومثالا للحرية والديمقراطية فى العالم .

ولا يخفى التفكير العنصرى فى مثل هذه الأفكار ، إذ أنها جميعا تحاول التأكيد على أفضلية وتفوق العنصر اليهودى . والدفاع عن الحضارة العربية مهمة شـــاقة تتطلب منا أولا مراجعة كل الوسائل الصهيونية التى استخدمت لتشويه وجه هـــذه الحضارة ، ودراسة هذه الوسائل دراسة علمية جادة . والرد عليها وتصحيـــح مـــا

استطاعت الصهيونية طمسه أو تزييفه من عناصر الحضارة العربية ومظاهرها بعد أن أدخلت عليها بعض التعديلات التى تجعلها تلائم الحياة اليهودية ، وقد كان هـذا أمرا سهلا بالنسبة للجماعات اليهودية التى عاشت بين العرب لفترة طويلة مكنتـهم من تشرب الحضارة العربية فتعلموا اللغة العربية، وتحدثوا وكتبوا بها واكتسـبوا كثيرا من العادات العربية . وقد سهل هذا على الصهاينة فى العصـر الحديـث أن يدّعوا الأنماط العربية الحضارية ، وينسبونها الى أنفسهم ، والعرب فى غفلة عمـا يحدث لحضارتهم ، وقد تعدت المشكلة حدود المظاهر الحضارية من فكر وعقيدة ، وامتدت الى المستوى الشعبى الفولكلورى فادعى الصهاينة ملكية مظاهر كثيرة مـن أدبنا الشعبى ، بل وقدموا للأسواق الأوربية والأمريكية كثيرا من أنـواع الحلـى والمجوهرات والملابس العربية المطرزة ، وأنواع المأكولات والحلـوى العربيـة على أنها أصناف اسرائيلية . ولهذا فالدفاع عن الحضـارة العربيـة ضـد هـذا الاغتصاب الصهيونى يجب أن يتم على مستويين : المستوى الفكـرى العقـائدى والمستوى الشعبى الفولكلورى حتى تتمكن الأمة العربية من استرداد كل حقوقـها الضائعة المادية منها والمعنوية .

# الباب الأول

## موقف الصهيونية من التراث اليهودي

# الفصل الأول

## علاقة الصهيونية بالتراث اليهودي



يقدم المؤرخون اليهود الحركة الصهيونية على أنها إحدى الحركات القومية التى نشأت فكرتها وتطورت بين الحركات القومية الأوربية في القرن التاسع عشر، ويعترف هؤلاء المؤرخون بأن الصهيونية كحركة قومية تختلف عن بقية الحركات القومية الأوربية في أنها لم تتوفر لها أهم مقومات الحركة القومية من وجود أرض قومية ووجود لغة قومية[١] . ولهذا فالحركة الصهيونية جعلت من أهدافها الوصول إلى تحقيق هذين الهدفين وهما : إنشاء الوطن اليهودي ، وإحياء اللغة العبرية واعتبارها لغة قومية للشعب اليهودي . وكما أن المؤرخ لا يعرف بالضبط أين يضع الحركة الصهيونية في تصنيفه للحركات القومية ، فهو أيضا لا يعرف أين يضع هذه الحركة داخل الإطار العام للتاريخ اليهودي . فالحركة الصهيونية تمثل مشكلة في التأريخ للشعب اليهودي ، ولهذا نجد المؤرخ اليهودي نفسه في حيرة من أمره ، وفى هذا يقول أحد المؤرخين اليهود : " الصهيونية أكثر مسائل الحياة اليهودية إثارة للجدل . وينقسم الرأي بخصوصها في حدة شديدة ، والنقاش حولها يدور مشحونا بالانفعالات "[٢] ويعتقد نفس المؤرخ أن من بين أسباب الاختلاف حول الصهيونية أنها ظاهرة معقدة وأنها "أكبر من مجرد مشروع لاستيطان اليهود في فلسطين"[٣] . ويقول كاتب يهودى آخر :" الصهيونية ظاهرة معقدة التركيب ولا يفهمها جيدا الا نسبة ضئيلة جدا من نقادها ونسبة أقل من مؤيديها "[٤] .

المؤرخ اليهودي إذن لا ينظر إلى الصهيونية كظاهرة مستقلة عن بقية ظواهر التاريخ اليهودي ، وهو دائم البحث من أجل ربط الصهيونية بالتاريخ والتراث اليهودي . فهو يحاول تفسير الصهيونية في إطار فهمه العام للماضى اليهودي ، وهو في هذا يدخل في حوار مع الصهيونية التى جعلت من أهدافها إعادة تفسير التاريخ اليهودي ليناسب فكرة الصهيونية ، فشرحت كثيرا من أحداث الماضى اليهودي بطريقة تجعل من ظهور الصهيونية ضرورة تاريخية ، بل وتجعل من التاريخ كله مقدمة للصهيونية ، وتمهيدا لظهورها من ناحية ، وتعلل من ناحية

أخرى ضرورة الحركة ، وتجد لها مكانا مناسبا في الفكر اليهودي . وعلى هذا الأساس نجد أن معظم النظريات الصهيونية قد صيغت في إطار التفسير العام لمعنى ومضمون التاريخ اليهودي .

**١ – الصهيونية والخلاص :**

ومن المشاكل الأخرى التى تواجه المؤرخ للصهيونية ، مشكلة تحديد ماهية وطبيعة الصهيونية كحركة . هل هى حركة قومية تعبر عن الواقع السياسى اليهودي ومتأثرة بالحركات القومية الأوربية التى نشأت بينها أم أنها حركة دينية نابعة من الفكر الدينى اليهودي ، ومستمدة لأفكارها ونظرياتها من التراث اليهودي ، وبخاصة عقيدة المسيح المخلص ، وهى أهم الافكار الحشرية التى شملتها العقيدة اليهودية ؟

فالذين يبحثون عن صلة تربط الصهيونية بالتراث اليهودي يرون في الحركة رمزا لمفهوم " نهاية الأيام " ، ويرون فيها أيضا تحقيقا للتحرر من حياة المنفى ، ونهاية لحياة التجوال ، وبداية للاستقرار ، وهذا كله يعنى أن فكرة الصهيونية في رأيهم امتداد للفكر الخلاصى في اليهودية ، وقد وصفها البعض بأنها حركة خلاص علمانية في الفكر وفى وسائل التنفيذ ، وهذا يعنى أن زعماء الصهيونية استغلوا فكرة دينية لها مكانتها في الديانة اليهودية ، وهى فكرة الخلاص والمسيح المخلص ، وحاولوا تنفيذ هذه الفكرة بوسائل علمانية عن طريق استغلال الظروف السياسية وتطبيق سياسة الاستيطان ، ومحاولة إقناع الجماعات اليهودية بأنها أمة لها حرية تقرير المصير (٥) إلى آخره من محاولات تغيير المعنى الدينى للخلاص إلى مضمون علمانى حتى تقتنع هذه الجماعات ، وبخاصة الدينية منها ، بأن الفكر الصهيونى ما هو الا امتداد طبيعى للفكر الدينى بل ونتيجة طبيعية لهذا الفكر . فالصهيونية حسب هذا التفسير هى الحلقة الأخيرة في سلسلة الأحداث التاريخية التى بدأت بالسبى البابلى ، وتشريد الجماعات اليهودية ، ومنها أيضا تدمير الهيكل على يد الرومان

إلى آخره من أحداث الاضطهاد – التي جعلت ظهور الصهيونية ضرورة تاريخية في رأى أصحاب هذا الاتجاه ، الذين يحاولون أيضا تفسير فكرة العودة إلى "صهيون" بأنها فكرة قديمة في التاريخ اليهودي . تؤكدها في رأيهم الرحلات المتوالية إلى أرض فلسطين ، والتي قام بها بعض الأفراد أو الجماعات اليهودية الصغيرة من أتقياء اليهود بعد السبى وخلال العصور الوسطى. وهم[٦] بهذا يفهمون ظهور الحركة الصهيونية، وقيام دولة إسرائيل على أنه تحقيق لرغبة كامنة في روح الإنسان اليهودي ، وهى رغبة العودة[٧] .

وهنا يخلط مفكرو الصهيونية بين الشعور الديني لدى الإنسان اليهودي وبين الأحداث السياسية كحادثة السبى البابلي مثلا . فرغبة يهود المنفى في العودة هى محاولة لإنهاء وضع سياسى تسبب في إبعادهم ونفيهم إلى بابل . أما قيام أحد أتقياء يهود أوربا بأداء فريضة دينية ، وهى زيارة الأرض المقدسة ، فهو تعبير عن تجربة دينية فردية لا عن رغبة جماعية في العودة كما يفهمها زعماء الصهاينة . وهى عادة دينية لا يزال يقوم بها بعض اليهود الذين لم يهاجروا إلى إسرائيل بعد قيامها .

هذا بالاضافة إلى أنه بعد قيام إسرائيل لم يهاجر إليها كل يهود العالم تحقيقا لأمل العودة الذى يتحدث عنه زعماء الصهيونية ، وأن كثيرين ممن هاجروا فعلوا ذلك نتيجة لضغوط صهيونية أجبرت الكثيرين من يهود أوربا والعالم على الرحيل إلى فلسطين . ولو كانت العودة تعبيرا عن رغبة دينية جماعية ، وانعكاسا لتجربة دينية صادقة لتمت هجرة كل يهود العالم ، ولتغير أسلوب الحياة الإسرائيلية ذاتها بشكلها العلمانى المادى إلى حياة يتحكم فيها الشعور الدينى الصادق . بل والأكثر من هذا أنه لو كانت العودة عودة دينية محضة لما حدث ما يسمى بالهجرة العكسية التى هى خير دليل على عدم توفر العنصر الدينى في فكرة العودة التى طالما ادعاها مفكرو الصهيونية ، وتعطينا الإحصائيات الإسرائيلية الرسمية فكرة واضحة

عن عدد الذين هاجروا من إسرائيل ، ففى الفترة المحصورة بين ١٩٤٨-١٩٦٠ بلغ عدد النازحين من إسرائيل ١٢٩ الف نسمة . وتشير احصائيات المكتب المركزى في إسرائيل إلى أن عدد الذين غادروا إسرائيل منذ ١٩٤٨الى ١٩٧٠ وصل إلى ٢٠٠ الف يهودى[٨] . والسبب الذى يعطيه هذا التقرير لانخفاض معدل الهجرة هو أن "اليهود الذين كانوا يحتاجون إلى ملجأ وملاذ ويعتبرون أن إسرائيل تؤمن لهم هذه الحاجة قد جاءوا اليها بالفعل"[٩].

ويعترف بعض الدارسين للحركة الصهيونية بهذا التناقض في الفكر الصهيونى ويرجعونه إلى محاولة زعماء الصهيونية استغلال أحداث الماضى لتدعيم قضية سياسية معاصرة . وفى هذا الشأن يقوم آرثر هرتسبرج : أن مثل هذا التفكير ينتمى إلى ما يسمى بالصهيونية التوفيقية ، أى التى تحاول التوفيق بين حاضر الصهيونية وماضى التاريخ اليهودي . وهى فلسفة تقدم الصهيونية على أنها تعبير عن مفهوم "نهاية الأيام" في الفكر الدينى اليهودي ، وتحقيقا له . وهذا الافتراض ليس له في رأى هرتسبرج ما يبرهن عليه ، حيث أن حاضر التاريخ لا يدل على أن مفهوم "نهاية الايام" وقدوم المسيح المخلص قد تم بالفعل فما زال الموقف اليهودي في العالم على ما هو عليه[١٠] . وعلى الرغم من أن الصهيونية قد حققت هدف العودة بإنشائها لدولة إسرائيل إلا أن الصهيونية لم تحقق الخلاص المنتظر ، ولم تغن عن قدوم المسيح المخلص ، إذ لا يزال حال اليهود في العالم وموقفهم متوترا وحساسا كما أنهم لا يزالون مشتتين في أنحاء العالم[١١] . وأن من يقول بأن الصهيونية جمعت شمل اليهود، أو ستجمع شملهم فهو خاطىء وعلى هذا فالاعتقاد في أن الصهيونية إتمام للفكر الخلاصى اليهودي ، أو إنجاز له إنما هو من صنع خيال بعض المتطرفين من الصهاينة الذين اهتموا فقط بالجانب التنفيذى لفكرة الخلاص الذى حولوه إلى خلاص علمانى يحدث في هذا العالم ، ولا علاقة له بنهاية الأيام . وقد تمكن هؤلاء المتطرفون من فرض سيادتهم على الفكر الصهيونى عامة

بأيديولوجياته المتعددة ، وخلقوا بهذا ذلك التوتر الشديد والتناقض بين ما يدعو اليه مفهوم الخلاص بمعناه الدينى ومعناه الصهيونى العلمانى .

والأزمة الدينية التى سببتها الصهيونية نتيجة لهذا التفسير الجديد الذى قدمته لمعنى الخلاص تتلخص في أن الديانة اليهودية صورت الخلاص في صورة لقاء بين الإنسان اليهودي وإلهه ، فالفكرة دينية حشرية بمعنى أن هذا اللقاء المنتظر هو من بين الأحداث التى سيتم وقوعها بعد نهاية العالم ، أو كما يسميها بعض علماء الأديان بالأشياء الآخيرة أو بأحداث ما بعد الموت . وفى هذا علاقة واضحة بين فكرة الخلاص في اليهودية، والخلاص في الأديان الأخرى كالمسيحية ، مع بعض الاختلافات التفسيرية لمضمون الخلاص ، وكيفيته في هذه الأديان سواء في وصف السبيل المؤدى إلى الخلاص ، والذى يجب على التابع لأى دين من هذه الأديان أن يسلكه في حياته الدنيا ، أو في وصف شكل الخلاص . وهذا أمر يتعلق بالآخرة ، وقد تكون له آثار في حياة الفرد الدنيوية .

غيرت الصهيونية من هذا المعنى العام لفكرة الخلاص ، وحولته إلى حوار بين اليهودي والعالم بدلا من كونه تعبيرا عن اللقاء الأخروى بين الإنسان اليهودي وربه، واضطرت الصهيونية أيضا إلى تحوير معنى المسيح المخلص الذي سيأتى في نهاية الأيام لتنفيذ الخلاص . اضطرت الصهيونية إلى إعلان أن هذا المسيح المخلص ليس إنسانا أو شخصا من نسل داوود له قوى خارقة للعادة ، ولكنه فكرة أو رمز إلى حرية الإنسان اليهودي الفردية ، وحريته القومية كما أنه إشارة إلى تحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية لجموع اليهود ، أو بمعنى آخر هو رمز لتحقيق سعادة ورفاهية الإنسان اليهودي والجماعة اليهودية ، وربما كانت بديلا لسعادة الآخرة . فالمسيح المخلص إذن أصبح تشخيصا لأبطال الحرية أشبه بهؤلاء الذين حققوا مبادىء المساواة والحرية والقومية لشعوب أوربا في القرن التاسع عشر. ولا شك في أن هذا التفكير ابتعد بمفهوم الخلاص عن أصوله في الديانة

اليهودية ، ولذلك لا ندهش إذا سمعنا أصواتا يهودية تنادى بضرورة عودة فكـــرة المسيح المخلص الشخصى ، وبضرورة عودة الخلاص المسيحانى الشخصى الـذى قضت عليه الصهيونية فقضت معه على التجربة الدينية الذاتية التى كان يثيرها هذا المفهوم في مشاعر الانسان اليهودي ووجدانه . فالاعتقاد التقليدى في الخلاص جعـلى الخلاص نتيجة لأفعال الإنسان كما أن قدوم المسيح المخلص يعتمـــد علـــى نفـس الشيء، فإذا كانت أفعال الإنسان أفعالا خيرة فإن هذا يعجل من قدوم المخلـص واذا كانت شريرة فهذا يبعد زمن قدومه . وفى ذلك يقول المدراش : " قـــال الله : كـل شيء يعتمد عليكم فكما أن الزهرة تنمو وقلبها تجاه السماء فهكذا أيضـــا تتوبـــون أمامى وتتجهون بقلوبكم إلى السماء فأجعل مخلصكم يظهر لكم " فالاستعداد الخلقـــى ضرورى لتهيئة المناخ لظهور المسيح المخلص[١٢] . وقد أكد التفكـــير المســيحانى للصهيونية المعاصرة على علمانية مفهوم الخلاص حتى أن ليون روث قد أشار إلى "أننا لم نعد نتحدث بلغة التوراة : من سيحصى أعمال الرب الجبارة ؟ ولكن نســأل بلغة الانشودة الاسرائيلية التى تقول:" من سيحصى أعمال إســرائيل الجبـــارة؟"[١٣] وهو بذا يشير إلى التحول الذى أحدثته الصهيونية من التأكيد على أفعـــال الله إلـــى التأكيد على أفعال إسرائيل . وقد عارض أحد المفكرين هذا الاتجاه الـــذى اتخذتــه الصهيونية بقوله :" إن الشيء الأكثر خطورة هو تلك الفكرة التى تخطر في عقــول عدد غير قليل من كبار الصهاينة بأن تأسيس دولة إسرائيل هـــو نفســه الإنجـــاز المسيحانى ... وهنا يقع الطريق إلى الدمار "[١٤] وقد عبر بعض يهود الغرب الذيـن رفضوا الهجرة إلى إسرائيل عن اعتراضهم على هذا التغيير الذي طرأ على التفكير الخلاصى اليهودي ، وسببوا بهذا مشكلة جذرية للصهيونية فرفضهم يرجع إلى أنـــهم : " لا يشعرون بأية حاجة للخلاص الشخصي عن طريق المجيء إلى إسرائيل "[١٥] .

والخطورة التى ترتبت على هذا التغيير الجذرى لفكرة المسيح المخلص أعمـق من مجرد إبدال المفهوم الدينى بمفهوم علمانى . فهناك عـــدد مـــن القيـــم الدينيـــة

اليهودية التى أثر فيها هذا التغيير ، وأحدث بذلك ارتباكا فكريا ودينيا ، وصدعا لم تبرأ منه الديانة اليهودية بعد ، بل أدى إلى مزيد من التناقض في بنائها . وأول مظاهر هذا التناقض يمكن التعبير عنه في السؤال التالى : ما هو مصير الديانة اليهودية بعد الصهيونية ؟ وهل ظهور الصهيونية وتحقيقها للخلاص يعنى نهاية الديانة اليهودية ؟ وهذا يؤدى بنا إلى إثارة أكثر من سؤال : ما هى القيمة الدينية للصهيونية ؟ وهل في إمكان الصهيونية أن تحل محل الديانة اليهودية ؟ (١٦) وأى نوع من التجربة الدينية تلك التى يشعر بها من يسمى نفسه صهيونيا ؟ وهل تصلح الصهيونية لتصبح دينا ؟ وهل تتوفر للصهيونية مقومات الديانة ؟ .

كل هذه الأسئلة والإجابة عليها نفيا أو إيجابا تشير إلى مدى ما أصاب الديانة اليهودية من تصدع على أثر هذه التغييرات التى أحدثتها الصهيونية ، ويظهر هذا التصدع في ردود الفعل المتباينة التى ووجهت بها الصهيونية من الطوائف اليهودية المختلفة بين مؤيد ومعارض لأهداف الصهيونية ، كما سنحاول أن نبين فيما بعد .

## ٢ - الصهيونية والاختيار :

وإلى جانب هذا التساؤل العام والخاص بموقف اليهودية بعد الصهيونية نجد أن الصهيونية قد تسببت أيضا في إثارة بعض الشكوك فيما يتعلق بمشكلة الاختيار .

فالاعتقاد في أن اليهود هم "شعب الله المختار"- وهو اعتقاد له أصول ثابتة في الديانة اليهودية ، ويساهم في البناء العام لليهودية كدين - تعرض أيضا إلى هزة عنيفة من جراء التناقض الصهيونى . فمن المعروف أن الخلاص الذى تسعى إليه الصهيونية هو إزالة التوتر القائم بين الإنسان اليهودي والعالم الذى يعيش فيه ، وإعطاء اليهودي مكانا طبيعيا في هذا العالم . ومساواته بغيره من البشر . وهذه الأفكار تتعارض مع فكرة الاختيار إذ كيف يتسنى للإنسان اليهودي أن يكون مختارا من عند الله . وفى نفس الوقت تنادى الصهيونية بمساواته ببقية البشر ؟ وكيف يكون لليهودى مكانا طبيعيا في العالم وهو الذى اختار لنفسه مكانا فوق

البشرية كإنسان في ميثاق مع ربه، لا يشترك فيه غيره من أهل الأديان الأخـــرى . ما هي إذن حكمة الاختيار إذا فسرت الصهيونية مفهوم "نهاية الأيـــام" علـــى أنـــه اشتراك اليهودي بنصيب في مجتمع المساواة ؟ وإذا تساوى مع الآخرين فما قيمـــة الاختيار؟.

تعرض مفكرو الصهيونية لهذه المشكلة التى كان لابد من البحث عن حل لـــها، واختلفت الحلول المقدمة باختلاف المذاهب الصهيونية . فالمفكر الصهيونى موشـــى هس يحاول التوفيق بين الاختيار والمساواة بتحديد دور جديد يلعبه اليـــهود فـــي العالم،ويكون لهم بهذا الأفضلية على بقية العالم الذى يدين لـــهم بـــالفضل . وهـــذا الدور الذى يحدده هس ليهود العالم هو أن يكونوا نقلة الحضارة والمدنية إلى شعوب العالم المتخلفة . وأن تتحمل الجماعة اليهودية مسئولية الرقيـــب الأخلاقـــى (١٧)، والمعلم لشعوب الشرق وغيرهم . وفى هذا تعويض عن مذهب الاختيار الذى تـــأثر بطلب المساواة ، ويرى هس أن الدولة اليهودية التى ستتم إقامتها ستكون لها وظيفة سامية في المنطقة ، إذ ستكون الدولة الرائدة لمنطقة الشرق الأوسط والعالم ، ودولة مباركة تنشأ فيها المثل الاشتراكية . وهذه كلها محاولات للرفع من شأن هذه الدولة وإعطائها دورا فريدا تتميز به بين دول العالم ، محافظة على الاعتقـــاد بامتيـــاز اليهودي وأفضليته .

وقد سبق أن ذكرنا رأى هرتسل في إنشاء دولة تكون سويسرا يهودية ومثـــالا لما يسميه هرتسل باللبرالية الأرستقراطية. وقد انتقد بعض المفكريـــن هـــذه الآراء بأنها مجرد محاولات للتوفيق بين الاختيار والمطالبة بحرية اليـــهودي ومســـاواته بشعوب العالم .

ومن المفكرين الصهاينة الذين تعرضوا لهذه المشكلة آحـــاد هـــاعم ، زعيـــم المدرسة الروحية في الفكر الصهيونى . وقد حاول آحادهاعم التأكيد من جانبه على استمرار عقيدة الاختيار ، وذلك بتوضيحه للمبادىء الأخلاقية والدينية التى أقامتـــها

اليهودية والتى ستظل في رأيه فريدة من نوعها في تاريخ البشرية . وعلى هذا فعصر الخلاص عند آحادهاعم هو عصر تزدهر فيه الأخلاقيات اليهودية في مجتمع قومى في فلسطين يعيش حياة أخلاقية تكون مثالا يقتدى به العالم . ولعل واقع الدولة الاسرائيلية وبناءها الدينى والأخلاقى يكذب مثالية آحادهاعم ، ويدحض الرسالة التى نسبها إلى الشعب اليهودي .

وهكذا نجد أن المفكرين الصهاينة في محاولتهم التوفيق النظرى بين فكرة الاختيار ومبدأ مساواة اليهودي بغيره قد ازدادوا تعصبا للعنصر اليهودي بطريقة فاقت الفلسفة العنصرية التى يستند اليها الاعتقاد في الاختيار ، إذ أنه بدلا من أن تجد الصهيونية للانسان اليهودي مكانا يتساوى فيه مع بقيه البشر ، ما كان منها إلا أن رفعته فوق البشرية . وجعلته رائدا وقائدا روحيا للعالم أجمع. ولا شك أن هذا أدى بالفعل إلى زيادة التوتر بين الإنسان اليهودي والعالم وهذا دليل فشل الصهيونية كحركة خلاص علمانية . هذا بالإضافة إلى أن مفكرى الصهيونية لم يبنوا فلسفة فكرية ، ولم يضعوا برنامجا أخلاقيا يمهد الطريق أمام الانسان اليهودي ، لكى يكون ذلك المثال والقدوة الذى أرادت منه أن يكون للعالم ولهذا لم تترك دعوتها هذه تأثيرا حقيقيا على مكانة اليهودي في العالم .

وهنا يمكننا أيضا أن نضيف أن مفكرى الصهيونية لم يفطنوا إلى المشاكل التى نشأت حديثا بسبب فكرة الاختيار ، وذلك يعطى انطباعا بأنهم بعيدون تماما عن كل المناقشات التى تثيرها الدوائر اليهودية بخصوص موضوع الاختيار ومكانته في عالم اليهودية اليوم . فموضوع الاختيار أصبح من أشد الموضوعات حساسية خاصة في الحوار الدائر بين اليهودية وبقية أديان العالم وخاصة المسيحية والإسلام. ويسبب هذا المفهوم حرجا لليهود الذين يشتركون في هذا الحوار بل ولليهود الذين يبحثون عن مكان ملائم للانسان اليهودي في العالم دون الحديث عن اختياره والذين يسعون إلى الحصول على التعايش السلمى القائم على مبدأ المساواة. ويعطى المحلل

الاجتماعي اليهودي ول هربرج Will Herberg الأسباب التالية لصعوبة الاستمرار في الاحتفاظ بمفهوم الاختيار في عالم اليوم :

**أولا :** من الناحية الفكرية أو الفلسفية هناك اعتراض على أن الإله الذي يوصف بأنه إله البشرية كلها لا يمكن أن يفضل جماعة من خلقه على بقية الجماعات البشرية. فالله إله الجميع، ولا يميز بين شعب وآخر كما أن هذا أيضا غير جائز من إله يوصف بالعقلانية ، فالمنطق أيضا لا يجيز الاختيار .

**ثانيا :** على المستوى الأخلاقي يؤدى مفهوم الاختيار إلى الشعور العنصرى الذى يجعل جماعة من البشر تحس أنها مركز العالم وتكون عقائد مؤداها الافتخار لهذا العنصر وتمجيده وهذه الآراء بدائية ولا يصح أن توجد في دين ناضج[١٨]. لهذه الأسباب اعتبر بعض المتدينين من اليهود فكرة الاختيار "فضيحة"، بل "إساءة". فهى فكرة لا تتناسب والتفكير الحديث ، ولا تساير بعض النظريات الفكرية والأخلاقية التى طورها العالم الحديث . والإنسان اليهودي يشعر بعدم ارتياح تجاه هذه الفكرة ويميل دائما إلى رفضها عندما يواجه بها[١٩] وعلى هذا الأساس فالمحاولة الصهيونية وتركيزها على العنصرية اليهودية إنما توضح أن التفكير الدينى اليهودي الحديث في واد والصهيونية في واد آخر . ومن المفكرين اليهود المعاصرين الذين رفضوا فكرة الاختيار موردخاى كابلان الذى اعتقد أن فكرة اختيار شعب بعينه من بين كل شعوب العالم فكرة غير معقولة وبها تعصب شديد ، ومن الأفضل عنده القول بأن إسرائيل لها رسالة كما أن لكل شعب من الشعوب دورا يؤديه في تاريخ العالم بحكم تجاربه واستعداده[٢٠].

# الفصل الثاني

## عصر التحرر ورد الفعل اليهودي

## الصهيونية والتحرر :

نتيجة لهذا الوضع وجدت الصهيونية نفسها في موقف لا تحسد عليه . وقد صورت الصهيونية في تناقضها هذه الحالة التي كانت عليها الجماعات اليهودية في أوربا العصور الوسطى. فقد ساد التوتر في هذه الجماعات بين حياتها اليهودية الداخلية وبين حياة المجتمع الذي تعيش فيه . وعندما ظهر الفكر الصهيوني لم يستطع رواده التخلص تماما من هذا التوتر . ولهذا نجد هذا التناقض الواضح في الدعوة إلى الحرية والمساواة ثم المطالبة بالتقهقر والتمسك بأهداب التراث القديم. ويعبر هذا التناقض عن الحالة النفسية التي كانت تعيشها الجماعات اليهودية في أوربا، والتردد الناجم عن الخوف من الخروج من الحياة اليهودية المغلقة داخل أسوار الجيتو، وعن الرغبة في الحياة مع الآخرين ومشاركة المجتمع الأوربي في قيمة وتقاليده . وعندما جاءت الفرصة للخروج ممثلة في مبادىء الحرية والمساواة التي بدأتها الثورة الفرنسية، وامتدت آثارها إلى الجماعات اليهودية وسرعان ما انتشرت إلى بقية دول أوربا، عندما جاءت هذه الفرصة لقيت ردود فعل عنيفة ومتضاربة من الجماعات اليهودية، بين الرافض بشدة والمرحب بها إلى أبعد الحدود. بالإضافة إلى تلك الجماعة التي حاولت أن تمسك العصا من وسطها، فلا هي أرادت أن ترفض فرصة قد لاتعوضها فيما بعد، أو أن تتخلى بسرعة عن أعز ما تملك من قيم فتخسر نفسها في النهاية.

وقد ورثت الصهيونية هذا التضارب في تفكيرها وفي بنائها الأيديولوجي ووقفت حائرة بين إعلان قبول حرية اليهودي في العالم الحديث، ومساواته بغيره، وبين التصدي لخطر ضياع الشخصية اليهودية بسبب اندماج الحياة اليهودية في حياة الشعوب الأخرى .

لعل هذا هو السبب الرئيسى في أن عددا من مفكرى الصهيونية كانوا نـاقمين على فكرة الحرية التي لوحت بها الثورة الفرنسية في وجه يهود فرنسا، ويهود أوربا فيما بعد ففى رأيهم أن هذه الحرية قد أدت إلى قتل الشعور القومى لدى الجماعـات اليهودية، وإلى زعزعة ثقة اليهودى في تراثه من ناحية أخرى. وقد عـبر المفكـر الصهيونى آحادهاعم عن هذا الرأى في مقال له بعنوان :"عبودية في حرية " كتبـه عام ١٨٩١ م فهو يصف مشكلة الإنسان اليهودى الذي يبدو وكأنه يعيش في حريـة ويتمتع بكامل الحقوق الإنسانية ولكنه فقد الشعور بالأمن كيهودى، كما فقد الإحساس بعلاقته بشعبه وعلى الرغم من حريته الظاهرية إلا أنه عبد فكريـا وأخلاقيـا[١]. ويقول آحادهاعم في مكان آخر "أن الحرية الروحية التي أتمتع بـها لا أسـتبدلها أو أغيرها بكل التحرر في العالم"[٢] . ويوجه آحادهاعم نقده إلى يهود فرنسـا والغـرب عامة فيقول : " أن العبودية الأخلاقية هى فقط نصف الثمن الذي دفعـه اليـهودى لتحرره وتحت رداء الحرية السياسية يرقد شكل آخر أقوى للعبودية وهو العبوديـة الفكرية "[٣].

ولا عجب إذن أن نرى كثيرا من الصهاينة يمتدحون حيـاة الجيتـو بكـل مساوئها، وبما فيها من ذلة ومهانة، لأنها كانت معبرة عن الحياة القومية، ففى حيـاة الجيتو توافرت تقريبا كل مقومات الإحساس القومى والحياة القومية، فاليهودى داخل الجيتو يتحدث بلغة الجيتو التي لايستخدمها ولا يفهمها غيره من أبناء المجتمع غـير اليهود، كما أنه يحيا على قطعة أرض تحدها أسوار الجيتو .هـذا إلـى جـانب أن اليهودى داخل الجيتو له مدارسه الخاصة التي يطبق فيها مناهجه، وتعاليمه اليهودية البحتة، وله حياته الاقتصادية والاجتماعية المتكاملة، ويكلل هذا كله ويرعـاه حيـاة دينية ساعدت على زيادة هذا الإحساس بالانتماء القومى إلى جماعة تختلف تمامـا

وبجميع المقاييس عن الجماعة المكونة للمجتمع الكبير الذي يكون الجيتو جزءا منـــه

وعلى هذا الأساس لم تكن حياة الجيتو سيئة تماما فقـــد ســـاعدت الإنســـان اليهودى على الحفاظ على كيانه. ويعتقد كثير من المفكرين اليهود أنه لولا الجيتـــو لضاعت الهوية اليهودية في المجتمع الأوربى فحياة اليهود معا داخل أسوار الجيتـــو قوى عندهم "الوعى الجماعى" الذي نتج عنه المحافظة على التوراة وقوانينها وتنفيـذ وصاياها، كما ضمنت أيضا طاعة اليهودى لرؤسائه ورجال دينه مما ساعد علـــى الحفاظ على اليهودية كدين[٤].

لقد كان الجيتو على حد تعبير البعض دولة داخل دولة، وقد يحدث أن يعيـش أحد أفراد الجماعة اليهودية حياته كلها دون أن تطأ قدماه الأرض الواقعــــة علـــى حدود الجيتو نتيجة للاكتفاء الذاتى الذي يتمتع به داخل الجيتو.

وبناء على هذا يعلل بعض مفكرى الصهيونية ظهور الحركة بأنـــه محاولـــة لاسترداد الحياة اليهودية القومية التي ضيعها الاندماج في المجتمع الأوربى فحيـــاة الجيتو في عصر ما قبل الثورة الفرنسية كانت حياة قومية وكان معنى التحرر هـــو قبول التضحية بهذه الحياة القومية، وبالتالى ضياع المعالم القومية التي ساعد الجيتـو على الحفاظ عليها فبالنسبة لليهود "كان التحرر يعنى نهاية الحقـــوق والامتيـــازات الخاصة بالحكم الذاتى الذي تمتعوا به داخل الجيتو فقد دخل الإنسان اليهودى إلـــى حياة المجتمع الغربى ومع مرور الزمن أصبحت السيادة المستقلة داخل الجيتو مـــن قبيل الذكريات"[٥].

والصهيونية في رأى زعمائها ما هى إلا دعوة للعودة إلى الحياة اليهودية فـــي مجتمع يكون طابعه يهوديا، بهدف إنقاذ اليهودى من الاندماج في المجتمعات الأخرى

غير اليهودية وعلى هذا يمكن القول بأن الصهيونية رد فعل طبيعي لانتهاء حيـــاة الجيتو، وبداية ضياع الشخصية اليهودية في العالم وهى في هذا لم تســتطع تجنـب التأكيد على أفضلية الشعب اليهودى التي كانت قد تعرضت للـــزوال فـــي حالـــة الاندماج في المجتمع الأوربي، ولهذا نجد أن بعض المفكرين الصهاينة يفهم عصـــر التحرر ويفسره على أنه اتجاه مضاد لحركة التاريخ اليهودى، وفترة انفصال عـــن المجرى العام لهذا التاريخ فقبل بداية عصر التحرر كان اليـــهودى يعتـــبر نفســـه عضوا في جماعة مقدسة، وأحد أفراد شعب الله المختار، وإنسانا في حالـــة انتظـــار لوصول المسيح المخلص وعضوا في كهنوت إلهي[٦].

كل هذه الخصائص انهارت، أو قدر لها أن تنهار بمجيء عصـــر التحـــرر، والآن لابد من إعادة تحديد معالم الشخصية اليهودية التي ضاعت، أو كادت تضيـــع. وهذا التحديد يأتي في إطار يناسب حياة ما قبل التحرر، وفى نفس الوقـــت يحـــاول الاستفادة من المزايا التي منحها عصر التحرر لليهود فإذا كان الإنسان اليهودى قـــد أتيحت له الفرصة لأن يصبح متحضرا، وإنسانا حرا، ومتقدما في أفكاره، فلا مـــانع من أن يحتفظ بهذه المزايا الجديدة، ولكن في إطار لا يتعارض مع تراثه وشـــعوره بيهوديته وهذا يعنى ضرورة الربط بين المدنية الحديثة وماضى التاريخ اليـــهودى، حتى لا يخسر الإنسان اليهودى أحدهما، أو كليهما والصهيونية عند دعاتـــها هـــى وسيلة الربط بين الاثنين، أو بمعنى آخر هى حلقة الوصل بينهما.

وتظهر أهم المشاكل المترتبة على تحرر اليهود[٧] ومســـاواتهم بـــالمواطنين الأصليين للبلاد الأوربية التي يعيشون فيها في ازدواج الولاء والانفصام المـــترتب عليه في شخصية الإنسان اليهودى على المستوى الفردى، وفـــى شـــعور الجماعـــة اليهودية ككل[٨]. ففى أعقاب الثورة الفرنسية، وقبول مبدأى الحرية والمساواة، أصبح القانون المدنى الفرنسى ساريا على الأفراد اليهود كمواطنين يتمتعون بكل حقـــوق

المواطنة وكان هذا يعنى الاستجابة التامة لكل مطالب الدولة، حتى لو تعارض هـذا مع تعاليم التراث اليهودى وهنا أصبح اليهودى مطالبـا بتنفيـذ أوامـر الدولـة، والمحافظة في نفس الوقت على تعاليم ديانته، وأصبح ولاؤه موزعا بيـن مطـالب الدولة وأوامر الدين، وهو أمر لم يعهده من قبل بحكم حياته المغلقة داخل الجيتـو، حيث كان من السهل على اليهودى قبل التحرر " أن يعيش كيهودى وأن يقيم التوراة والتلمود في حياته وفكره .. أما الآن وقد تحرر، وأصبح لايهوديا فحسـب مقيمـا كأجنبى في بلد غريب بل أصبح يهوديا ألمانيا ويهوديا فرنسيا ويهوديا هولنديا، تعثر الطريق أمامه وشق فما معنى أن يكون يهوديا يدين للتوراة من جهـه وألمانيـا أو فرنسيا يدين بالولاء لوطن وحكومة ودولة وثقافة وحضارة مغايرة لما عرفه فـي توراته وتلموده؟ ولم تخل حياة اليهودى في أوربا من مشاكل ألزمتـه طـرح هـذا السؤال على نفسه في كل صباح"[٩] .

**٢- الموقف اليهودى الأرثوذكسى من التحرر :**

وكانت استجابة الكثيرين من اليهود لهذا التطور الجديد في حياتهم تتأرجح بين القبول والرفض، وقد جاءت الاستجابة الرسمية لهذا الوضع الجديـد فـي صـورة مرسوم أصدره المجلس اليهودى الذي دعاه نابليون بونابرت للانعقاد في باريس عـام ١٨١٢م وقد قرر المجلس قبول التنازل عن الأفكار، والمعتقدات السياسـية التـي نشأت عن الديانة اليهودية، والتى كانت سارية المفعول في التاريخ الإسرائيلي القديم، والتى وضعت أساسا لتناسب المجتمع اليهودى في فلسطين قديمـا، عندمـا كـانت إسرائيل مملكة لها ملوكها وكهنتها وقضاتها وقد بعث المجتمعون بالرسالة التاليـة ردا على مطالب نابليون وعلى أسئلته التي وجهها للمجلس اليهودى :" يعلن المجلس باسم كل الفرنسيين المعتقدين في دين موسى، وهم يشعرون بأعمق أحاسيس العرفان والحب والاحترام والإعجاب بشخصية المقدس صـاحب الجلالـة الإمبراطوريـة

الملكية، يعلن أنهم جميعا مصممون على إثبات أنهم جديرون بهذه النعـــم التـــي يقصدهم بها جلالته وذلك عن طريق الإذعان المدقق لمقاصده الأبوية وعن طريـــق إثبات أن دينهم سيجعل واجبا عليهم أن يحترموا قانون الملك علـــى أنـــه القـــانون الأعلى في المسائل المدنية والسياسية، وأنه بالتالى، إذا كـــان قانونـــهم الدينـــي، أو تفاسيره المختلفة، يشتمل على وصايا مدنية أو سياسية مغايرة أو مخالفـــة للقـــانون الفرنسى، أن تتوقف هذه الوصايا، بالطبع، من التأثير فيهم وحكمهم بما أنـــه يجـــب عليهم، قبل كل شيء، الاعتراف بالملك وطاعة قوانينه، وأنه بالتالى وترتيبا على هذا المبدأ، اعتبر اليهود، في كل الأزمنة، أنه من واجبهم طاعة قوانين الدولة، وأنهم منذ الثورة، ككل الفرنسيين لم يعترفوا بأية قوانين أخرى"[١٠] وكان هذا يعنـــى إعلانـــا بالتنازل عن كل الأفكار التقليدية التي جمعت اليهود كمجموعة متميزة من البشر، أو كأمة تعيش مستقلة داخل الأمة الفرنسية، وكان نابليون ينتظـــر ردا حاســـما فيمـــا يختص بموضوع القومية، وقد أراد أيضا أن يكون الرد مصوغا في شـــكل دينـــى لايسمح لليهود بالتردد والتراجع بعد ذلك في اعتبار التشريعات المدنية والقضائيـــة اليهودية أمرا من أمور الماضى واعتبار الأمة اليهودية كأمة مستقلة أمرا لاوجـــود له. وقد عبر أحد أعضاء السانهدرين عن هذا بقوله : "نحن لم نعد نكون أمة داخـــل الأمة .. فرنسا بلدنا .أيها اليهود هذا هو موقفكم اليوم : لقـــد تحـــددت التزامـــاتكم والسعادة في انتظاركم "[١١].

قرر المجلس التنازل عن كل هذا التراث التاريخى السياسى. وإعلان الـــولاء السياسى الكامل للدولة الفرنسية وقوانينها .ومن ناحية أخرى لم يتنازل المجلس عـــن شيء يتعلق بالأمور الدينية التي اعتبرها المجلس أمورا مطلقة وأزليـــة، لاتخضـــع للتعديل والتغيير .ومن هذه الأمور فكرة الاختيار، وفكرة المسيح المخلص .فقد أكـــد

المجلس على أن هاتين الفكرتين هما من صميم التراث الدينى اليهودى، وليس في الإمكان التخلى عنهما بأى حال من الأحوال .

وإذا كان هذا هو الرأى العام لجماعة يهود فرنسا الذين مثلهم المجلس اليهودى أمام نابليون[١٢]، إلا أن فكرة المساواة والحرية قد أثارت اضطرابا كثيرا بين الجماعات اليهودية، وظهر هذا الاضطراب في ردود فعل الطوائف اليهودية المختلفة التي وجدت نفسها مطالبة باتخاذ قرار سريع في شأن الحرية الممنوحة لليهود، والصراع الناجم عن التعارض بين الواجب المدنى المترتب على الخضوع لأوامر الدولة، وبين الواجب الدينى والولاء للتراث اليهودى.

فالطائفة الأرثوذكسية التي يمثلها غالبية حاخامات المجلس اليهودى المعروف باسم "السانهدرين" فسرت هذه التطورات الجديدة في حياة الشعب اليهودى تفسيرا يحاول الاستفادة من قرارى المساواة والحرية، في الوقت الذي لاتتخلى فيه الجماعة اليهودية عن مفهوم واحد، أو فكرة عقائدية واحدة من التراث الدينى اليهودى ولهذا كان القرار الذي اتخذته الجماعة اليهودية الأرثوذكسية هو الجمع بين الممارسة الدقيقة لقوانين التوراة وشرائعها والمحافظة على تعاليم الأنبياء، وبخاصة فيما يتعلق بفكرة " نهاية الأيام "، والمسيح المخلص، وبين الاندماج الظاهر في الحياة الفرنسية، والأخذ الحذر بأساليب الحضارة العلمانية المحيطة بالحياة اليهودية[١٣]. وقد عبر هيرش (١٨٠٨-١٨٨٨) زعيم الطائفة الأرثوذكسية الجديدة باعتقاده أن اليهود قبل ظهور المسيح المخلص لايمثلون شعبا بل جماعة مؤمنة تقوم بأداء فروض ووصايا الشريعة اليهودية المكتوب منها وغير المكتوب. وإن التوراة لا تخضع لأحكام الزمان والمكان، فهى فوق كل هذه الاعتبارات الزائلة، ولهذا لا يمكن السماح بترك أى تقليد دينى مهما صغر شأنه طالما أن التوراة قد دعت إليه وهو هنا يوجه نقده لجماعة " اليهود الإصلاحيون " الذين أفسدوا الديانة اليهودية في رأيه، وأخرجوها

عن مضامينها، وغيروا في معانيها[١٤]. ولهذا يدعو هيرش اليهود إلى الارتفاع إلى مستوى التوراة بدلا من إنزال التوراة إلى مستواهم، وأكد أن الولاء للتوراة لا يمنع الإنسان اليهودى من الارتباط بالجماعات القومية أو السياسية، بل دعا أيضا إلى الجمع بين أساليب الحضارة الأوربية، والولاء غير المشروط للتراث اليهودى بكل تفاصيله وقد رأى هيرش في التحرر فرصة عظيمة لتطوير ما يسميه باليهودى المثالى الذي يمارس عقيدته في حرية تامة ويقوم بأداء التزاماته كيهودى. والتحرر، يقول هيرش: " ليس الهدف الأول للإنسان اليهودى ولا نهاية لمنفاه.. بل يجب أن ينظر إليه كوضع جديد لرسالة الشعب اليهودي، كاختبار جديد أقسى من اختبار الاضطهاد"[١٥]. وخطورة التحرير تنطوى في أن اليهودي ربما يستسلم لإغواء الرفاهية والكسب ويتراخى في اتباعه لمبادئ دينه، ولذلك من الواجب على اليهودى أن يقبل تعاليم اليهودية كلها ويمارسها في إطار من الحداثة[١٦]. ولم ير هيرش أبدا أن الحداثة خطر على اليهودية ولذلك نجده يؤيد التحرير في شجاعة ويصارع من أجل تحسين التعليم الدينى ويؤيد استخدام اللغة الألمانية، ويؤيد كذلك اكتساب الإنسان اليهودى للثقافة العامة فهو يرى أن كل هذه المظاهر الحديثة مظاهر خارجية لا تؤثر على جوهر اليهودية[١٧].

### ٣- موقف اليهود الإصلاحيين من التحرر:

أما زعماء حركة الإصلاح اليهودية فقد رفضوا آراء زعماء الطائفة الأرثوذكسية الجديدة زاعمين أنه سيكون من الصعب على الإنسان اليهودى أن يجمع بين الطاعة المطلقة لوصايا الدين اليهودى، والقيام بأداء الواجبات المدنية المترتبة على مساواة اليهودى في الحرية الفردية مع غيره من مواطنى الدولة وقد أعتقد الإصلاحيون أنه يجب إدخال بعض التعديلات على محتوى التراث اليهودى،

والعادات اليهودية حتى يتسنى لليهود مواجهة العصر الحديث بمطالبه وكان هـــذا الاعتقاد في بادىء الأمر رداً من جانب هذه الجماعة على قـــرار نـــابليون، بمنـــح الحرية لليهود، ومعاملتهم كمواطنين ومع أن الإصلاحيين بنوا فكرهم على دوافـــع بدأت في فرنسا إلا أن حركتهم بدأت في ألمانيا، بتكوين معـــابد يهوديـــة صغـــيرة، مارسوا فيها عقيدتهم اليهودية بعد أن أدخلوا العديد من التعديلات علـــى الطقـــوس اليهودية، ومن أشهر زعماء هذه الحركة فـــي ألمانيـــا " إســـرائيل جاكبســـون"[١٨] و"صموئيل هولد هايم"[١٩] و"أبراهام جيجر"[٢٠] وجميعهم تبنى تغيرات جذرية فـــي فهمهم لليهودية.

وقد انشقوا عن التلمود في كثير من تعاليمه، ومحظوراته. وقـــد ذاعـــت آراء أصحاب الحركة الإصلاحية، وانتقلت آراؤهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيـــث نشأت العديد من المؤسسات والمجالس التي تبنت نشر أفكار الإصلاحييـــــن، وقـــد زاولت هذه المؤسسات نشاطها في أواخر القرن التاسع عشر. ومـــن أشـــهر هـــذه المؤسسات " كلية الاتحاد العبرانى " الذي أنشىء عام ١٨٧٥ و " المؤتمر المركـــزى للحاخامات الأمريكيين " الذي نشأ عـــام ١٨٨٩، وقد سبقهما من حيث النشأة " اتحاد المذاهب العبرانية الأمريكية" الذي أنشأه "اسحاق منير ويز" عام ١٨٧٣م.

ومجمل اعتقاد الإصلاحيين اليهود الأمريكيين يدور حول المبدأ القائل بـــأن تاريخ اليهود يشهد بأن هذه الديانة قد عدلت من نفسها باستمرار وتكيفت مع البيئـــة التي وجدت فيها، حتى تستطيع التأثير على هذه البيئة فيما بعد وأن على اليهوديـــة المعاصرة أن تفعل نفس الشيء، لكى تواجه الموقف المتجدد لحياة اليهود فـــي كـــل المجتمعات.

والذى يهمنا في عقيدة الإصلاحيين أنهم أعادوا تفسير فكرة المسيح المخلـــص لتناسب البيئة اليهودية، وأحوال اليـــهود المعـــاصرة وفـــى هـــذا الشـــأن رفـــض

الإصلاحيون الاعتقاد اليهودى الخاص بأن المسـيح المخلـص سـيحدد المصـير اليهودى في نهاية الأيام فيجمع اليهود في الأرض المقدسة وتعود المؤسسـة الدينيـة اللاوية لمباشرة نشاطها الدينى من جديد[٢١]. ولم يتوقف الإصلاحيون عند مجـرد هجر هذا الاعتقاد، ولكنهم رفضوا رفضا تاماً فكرة المسيح المخلص، وكل ما يتعلق بها من مظاهر دينية وطقوس، وأبدلوا هذه الفكرة بفكرة أخرى، هى الاعتقـاد فـي عصر خلاصى عام، دون حاجة إلى شخصية المسيح المخلص ولهذا السبب رفـض الإصلاحيون فكرة الصهيونية رفضاً تاما لأنها بنت أيديولوجيتها، كما هو معـروف على فكرة الخلاص، واعتبرت نفسها المسيح المخلص للشعب اليهودى.

وبالإضافة إلى هذا استجاب الاصلاحيون لدعوة التحرر بأن حـاولوا إزالـة الحواجز التي وضعها التراث اليهودى للتفرقة بين اليهودى وغير اليهودى، فطوروا الاعتقاد في أن لليهود رسالة للإنسانية عامة، وأن اليهود واجبهم بعث الحياة الروحية لدى شعوب العالم وإذا كان الأمر كذلك، لا يجب على اليهودى إذن أن يعيش فـي معزل عن بقية البشر، بل يجب عليه الاختلاط بـهم، حتـى يتمكـن مـن إنجـاز رسالته[٢٢].

وعلى هذا الأساس قرر الإصلاحيون التخلص من كل العادات التي وضعـت لعزل اليهودى عن جاره غير اليهودى، وعرفت الديانة اليهودية بأنها ديانة أخلاقيـة تقوم على التراث الأخلاقي الذي دعت له التوراة وهذا التراث الأخلاقي لابـد مـن نشره في العالم بأسره وهذا ما أسمته الحركة الإصلاحية "رسالة إسرائيل"، وهـى تتلخص في أن العناية الإلهية قد تسببت في تشتيت اليهود في بلدان العالم لكى يقومـوا بدور المعلم والدليل والقائد الروحى لشعوب العالم، لتحقيق مبادىء العدالة والتقـوى الموحى بها في التوراة[٢٣]. ولهذا أيضا رفضوا فكرة العودة إلى صهيون، وعدلـوا مفهوم الخلاص التقليدى إلى رؤية عصر جديد تسوده الحرية الفرديـة، والعدالـة

والسلام العالمى، أى تحويل الخلاص من خلاص يختص باليهود إلى خلاص عالمى.

٤- التحرر بين الأرثوذكس والإصلاحيين :

ويتضح من هذا التعارض الواضح بين آراء الإصلاحيين في القرن التاسع عشر وآراء الأرثوذكس من اليهود حول بعض العقائد اليهودية الهامة. ولاشك أن الإصلاحيين تأثروا أكثر من غيرهم من اليهود بالأفكار التقدمية التي سادت النصف الأول من القرن التاسع عشر، وإن احتفظوا للشعب اليهودى بالاختيار الإلهي له ليكون الزعيم الروحى للعالم بحكم حوزته على التوراة وقيمها الأخلاقية .

وقد تعرضت آراء الحركة الإصلاحية للنقد الصريح من بقية الجماعات اليهودية، وبخاصة من الطائفة الأرثوذكسية، في صراع حول كيفية مواجهة الإنسان اليهودى لمشكلة الحياة في العالم الحديث دون أن يضحى بتقاليده الدينية. وقد حاول بعض المفكرين حل هذه المشكلة بالاعتقاد في أن موضوع القومية اليهودية ليس موضوعا سياسيا، لأنه يمس حياة اليهود الروحية وأنه من الممكن التنازل عن بعض طرق الحياة القديمة التي سلكها اليهود طالما أن هذا لا يؤثر على الروح القومية الثابتة، التي لا يجب أن تؤثر فيها الأوضاع السياسية التي تتغير من عصر إلى آخر.

وكان هدف البعض الآخر إبعاد مشكلة الحياة اليهودية في العالم الحديث عن دائرة الصراع اللاهوتى باعتبار أن المشكلة ليست مشكلة دينية، كما حاول البعض تصويرها بل هى ضرورة من ضرورات الحياة المتغيرة التي يجب على الانسان اليهودى أن يسايرها كما يفعل الآخرون، ويتعامل مع التشريع الجديد الخاص بالمساواة ونتيجته الحتمية التي تؤدى إلى دخول اليهودى في حياة المجتمع الغربى واشتراكه فيها.

ومن الشخصيات اليهودية التي اتخــذت موقفــا وسـطا بيــن الأرثوذكــس والإصلاحيين الحاخام والعالم اليهودى "زكريا فرانكل" (١٨٠١-١٨٧٥) الذي حاول الجمع بين التراث اليهودى، والتنوير الأوربــــى. ولــهذا نجــده مثــلا يعــارض الإصلاحيين في بعض التعديلات التي أدخلوها على التراث اليهودى مثل اســـتخدام اللغة المحلية في الصلاة اليهودية، وهجر فكرة العودة إلى صهيون [٢٤]. هذا في الوقت الذي يحاول فيه إدخال بعض الإصلاحات المختصة بالصلاة، والتي لا تتضمــن أي انحراف عن روح الديانة اليهودية وتطورها التاريخي.

وقد توسط فرانكل في الجدال الذي نشأ بين جماعة أبراهام جيجر الإصلاحيـة، وجماعة "هيرش" الأرثوذكسية، وقد فشل في مهمة التوفيق بين الفريقيــن، واشــترك فرانكل أيضا في مجلس الحاخامات الإصلاحيين في عام ١٨٤٥م ولكنه انسحب من هذا المجلس عندما قررت غالبية المجلس بأن كتاب الصلاة العــبرى لايجــب أن يفرض بصفة اجبارية على الجماعة اليهودية. وتوضح هذه المواقف حيرة فرانكــل بين الأرثوذكس والإصلاحيين. فالإصلاحيون اهتموا بالحاضر في الحياة اليهوديـــة وكانوا على استعداد للتخلى عن الماضى وهجره من أجل التوفيق بيــــن اليهوديــة والعصر الحديث .بينما اهتم فرانكل والمدرسة التاريخية عامة بالماضى كمــا فعــل الأرثوذكس مركزا على دور التوراة والتلمود والكتابات الحاخامية كحلقات حية فـي نمو اليهودية .أما التقليديون فقد اعتبروا الماضى عاملا حاسما واعتــبروا عــادات الماضى وتقاليده ثابته لا يمكن تغييرها بينما رأى فرانكل أنها مرنة وقابلة للتعديـل. أما اليهودية في نظر فرانكل فهى تمتاز بديناميكية الحركة وأنها قوة تاريخية فعالـــة يمكن تطويعها إلى حد ما لتناسب العصر الحديث وإن كان هذا التطويع لابـــد وأن ينبع من داخل التراث. وقد طبق فرانكل هذا المبدأ فـــي نظرتــه لمشــكلة تغيــير الطقوس اليهودية وفقا لمتطلبات العصر [٢٥] وقد اتفق فرانكل مع الإصلاحيين فـــي

اعتقادهم في وجود التغيير في اليهودية في الماضى وفى الحاجة إلى التغيير في الحاضر [٢٦].

وشارك في هذا الحوار الدائر بين الطوائف اليهودية "يهوذا جوردون" (١٨٣٠-١٨٩٢) أكبر رواد حركة الهسكالا في روسيا، والذى هاجم سيطرة الدين على الحياة اليهودية، والذى عبر عن رأيه في هذا الصراع بعبارته المشهورة " كن يهوديا في بيتك وإنسانا خارجه " [٢٧] وهى دعوة صريحة للإنسان اليهودى بأن يمارس تقاليده اليهودية في منزله، وأن يشارك في حياة المجتمع كمواطن عادى. وحديثا انتقد هرتسبرج رأى جوردون بقوله أن "الخارج" الذي يتحدث عنه جوردون يمثل معظم الحياة بالنسبة لليهود، ولذلك فهو يؤثر على جماهير اليهود تأثيرا كبيرا، ولاتكفى مقاومته باتباع التقاليد اليهودية داخل المنزل [٢٨].

**٥- ملاحظات عامة :**

والنتيجة التي نخرج بها من هذا الصراع بين الطوائف اليهودية المختلفة هى أننا نجد :

**أولا :** أن كل النظريات التي طورتها هذه الطوائف لمجابهة العصر الحديث والمدنية، هى في حقيقة الأمر نظريات دفاعية في مضمونها، حتى هذه النظريات التي وضعها أكثر اليهود اتجاها إلى الإصلاح، وميلا إلى التخلى عن كل ما يعوق تطور الحياة اليهودية، حتى وإن كان التراث اليهودى نفسه، والدليل على هذا أن هذا الصراع لم يؤد إلى وقوع فرقة بين الطوائف اليهودية أو انشقاق بينها، إنما كان الجميع يحاول من جانبه التصدى للتحدى الذي وضعته المدنية أمام المجتمع اليهودى في أوربا الغربية والشرقية، واختلف الدفاع عن الحياة اليهودية باختلاف المدافعين عنها، وتباين بيئاتهم ونشأتهم واتجاههم الديني.

**ثانيا :** يتضح أن الاتجاه التقدمي المرتبط بأفكار الحرية والمساواة قد جـــذب إليه الكثيرين من المثقفين اليهود الذين لم يدخلوا في محاولات الدفاع الســـابقة، بـــل قبلوا هذه الأفكار دون مساومة، واتخذوا من أفكار الحرية والقومية والاشتراكية فيما بعد مثالا لهم، فقد رأوا أنها تمهد الطريق إلى عالم علماني جديد سيؤدي حتما إلـــى القضاء على بقايا حياة العصور الوسطى والتعصب الديني الذي سيطر عليها.

**ثالثا :** أن هذه المجموعة المثقفة طغت على اتجاهها أفكار خلاصية، ولكنـــها تختلف عن الخلاص الديني لدى المتدينين من اليهود فرغبة هؤلاء المثقفيـــن مـــن اليهود في التخلص من كل المعوقات التي تمنع اشتراكهم في العالم الجديد الذي تســوده العدالة والمساواة ما هي إلا نظرة جديدة إلى طبيعة الخلاص وحل المشكلة اليهودية عن طريق تبني قيم الأغلبية التي يعيشون بينها، والاندماج التام فيها.

**رابعا :** أن في هذا الاتجاه محاولة لتجاهل فكرة الاختيار، وقبول حياة جديـــدة مبنية على مبادىء الحرية والمساواة يصبح فيها اليهودي انسانا ككل البشـــر فـــي مجتمع تقوم أسسه على العقل والقانون الطبيعي، الذي لا يفرق بين الناس، ولا يمنح استثناءات إيجابية أو سلبية لجماعة ضد أخرى. وكانت دعوة هؤلاء فحواها البعـــد عن وسط المسرح، وأن يصبح اليهودي واحدا بين الكثيرين من البشر له مالهم مـــن الحقوق، وعليه ماعليهم من الواجبات وألا ينسب اليهودي إلى نفسه أية صفة، يكون هدفها عزله أو تفضيله على بقية الخلق .

**خامسا :** مـــن الواضح أن كل هذه الأفكار التي طرأت على عقلية المثقفيـــن من اليهود هي من تأثير عصر التنوير في القرن الثامن عشر، والفلسفة الإنســـانية التي اجتاحت فكر هذا القرن فاعتنق معظمهم مبادىء عصر التنوير وفلســفته(٢٩). وأكد بعضهم على أن تحرير اليهود تأكيد لسيادة العقل والقانون الطبيعي، وهذه مـــن صميم أهداف فلسفة عصر التنوير وليست مجرد وجه أو شكل من أشكال المعاملـــة

الإنسانية، أو وسيلة من وسائل الوفاق بين المسيحية واليهودية، وإنهاء عصور من الاضطهاد المسيحى لليهود في أوربا العصور الوسطى .

وقد ربط المفكرون اليهود بين سيادة العقل وانتهاء ظاهرة التعصب الدينى التي سادت فترة العصور الوسطى، ولهذا اعتبروا عصر التنوير بداية للخلاص النهائى، فمع التقدم وسيطرة العقل على التفكير الإنساني ينتهي العداء لليهود .وقد انقسم الرأى اليهودى في عصر التنوير، والتحرر الناجم عنه إلى اتجاهين :

**اتجاه تقليدي دفاعي :**

فهم التحرر على أنه يعنى حياة اليهودى في عالمين، عالمه اليهودى الذي يرتبط فيه بتراثه القديم، ثم الحياة العامة في المجتمع فالدخول في العالم الجديد لا يجب أن يكون على حساب التقاليد والعادات اليهودية[٣٠] .

**والاتجاه الثاني اتجاه تقدمي :**

رأى في التحرر تحقيقا للخلاص، وخروجا من الماضى اليهودى والدخول في الحياة الجديدة والتخلى تماما عن كل ما يعوق هذا الاندماج من تقاليد وعادات يهودية إذ لا ضرورة لها في عصر الحرية[٣١] .

ومن الواضح أن هذين الاتجاهين المتضادين يعكسان مبدأ الحرية القومية، والحرية الفردية اللذين دعت إليهما الثورة الفرنسية، فالاتجاه التقليدى الدفاعى يحاول المحافظة على الطابع القومى لجموع الشعب اليهودى عن طريق التمسك بالتراث، بينما يتفق الاتجاه التقدمى مع مبدأ الحرية الفردية فهو يسعى إلى تحقيق الحرية اليهودية على المستوى الفردى بأن يتحقق للإنسان اليهودى الحياة الحرة في مجتمع يسوده العقل والقانون.

# الباب الثاني

## طبيعة الحركة الصهيونية
## ومكانتها بين الحركات اليهودية

# الفصل الأول

## طبيعة الحركة الصهيونية

اختلفت الآراء حول طبيعة الحركة الصهيونية فقد وصفت بأنها حركة سياسية قومية، تتبع أساسا من الواقع السياسى اليهودى، ومتأثرة في ذلك بالأحوال اليهودية في أوربا في القرن التاسع عشر. كما أنها عاصرت ظهور القوميات الأوربية وتأثرت بأفكارها القومية، بل وحاولت الاستفادة من مواقفها لتحقيق القومية اليهودية، وتحديد هدفها القومى بإقامة الدولة اليهودية .

واعتقد فريق آخر أن الصهيونية حركة تجمع بين الدين والسياسة، فلكى يحقق أصحاب فكرة الصهيونية هدفهم حاولوا تبرير قيام الحركة الصهيونية تبريرا دينيا حتى يضمنوا تأييد وانضمام الجماعات اليهودية المتفرقة إلى الحركة، ومساندتها المادية والمعنوية لأفكارهم ومشروعاتهم ولهذا كان من الضروري ربط فكرة الصهيونية بمضمون التراث الدينى اليهودى حتى تتقبلها الجماعات اليهودية.

وهناك فريق ثالث من الصهاينة المتطرفين الذين حولوا فكرة الصهيونية إلى ما يشبه العقيدة أو المذهب الدينى، فتطورت الفكرة عندهم لتصبح دينا لا يتعارض مع الديانة اليهودية، ولكنه بمثابة مذهب قومى دينى يلزم كل يهودى بأن يكون صهيونيا[١] .

تعتقد الغالبية العظمى من مفكرى الصهيونية أن حركتهم قومية دينية وهم يتخذون من فكرتى الخلاص والمسيح ركيزة دينية يقيمون عليها دعائم الحركة[٢] وهاتان الفكرتان من الأفكار الحشرية الهامة التى تقوم عليها الديانة اليهودية، والأفكار الحشرية في كل دين تختص بالأمور الدينية التى تعالج موضوعات نهاية العالم والموت، وأحداث ما بعد الموت من بعث وحساب وثواب وعقاب وجنة ونار. وفى عبارة أخرى يتناول الفكر الحشرى كل ما يتعلق بأحوال العالم الآخر.

وفى الديانة اليهودية بالذات يبدأ هذا الفكر الحشرى بعصر الخلاص الذي يعتمد في المقام الأول على قدوم المسيح المخلص ليدخل بالجماعة اليهودية في عصر جديد. وقد مرت الفكرة بعدد من التطورات، ففى بداية الأمر كانت لفظة "المسيح" صفة تطلق على الملوك والكهان وغيرهم ممن مسحوا بالزيت. وهذا يعنى تلقيهم للقداسة الإلهية، وتلقت الكلمة معنى جديدا في عصر السبى وما بعده، فأصبح المقصود منها أى إنسان له رسالة خاصة من عند الله. وقد شمل هذا المعنى البطاركة أو الآباء الإسرائيليين، وأنبياء بنى إسرائيل وامتدت إلي الشعب اليهودى ككل على أنه شعب صاحب رسالة، بل وأطلق أيضا على بعض الشخصيات غير اليهودية أمثال " كورش الفارسي "[٣].

وبعد السبى أصبح الاهتمام الأول للجماعة اليهودية في المنفى هو العودة إلى فلسطين، وقد انبثقت عن فكرة العودة هذه الاعتقاد الذي طوره أنبياء بنى إسرائيل بعد السبى، والخاص بإقامة مملكة الله، والتى ارتبطت بجمع الشتات الإسرائيلي تحت زعامة قائد أو زعيم من سلالة داود. ويكون هذا الزعيم أو القائد مسيح الرب المختار لتحقيق الخلاص اليهودى[٤]. وفى العصر الرومانى مرت فكرة المسيح المخلص بتطور آخر، فساد توقع ظهور مسيح شخصى، أو بمعنى آخر تجسدت فكرة الخلاص في شخص من نسل داوود، يظهر ليضع نهاية لآلام اليهود. ويفتتح عصرا ذهبيا تحياه الجماعة اليهودية، وقد أدى تجسيد فكرة الخلاص في شخص حقيقى إلى ظهور عدد من الشخصيات التى عرفت في التاريخ اليهودى بلقب "المسيح الدجال " والتى ادعت صفات شخصية المسيح المخلص[٥].

وكلما مرت الجماعة اليهودية بظروف طارئة في تاريخها تكررت ظاهرة "المسيح الدجال "، فبعد دمار الهيكل الثانى عام ٧٠م زاد التوقع بقدوم هذا المسيح، ووضعت بعض العلامات الخاصة بقدومه، كما حدد البعض زمن قدومه ونجد مثل

هذه المظاهر في سفر " دانيال " وفى أماكن أخرى من العهد القديم، وفى المقاومة اليهودية للاضطهاد الرومانى نسبت شخصية المسيح إلى "بركوخبا" (١٣١م) كما ظهر في القرن الخامس مسيح دجال يدعى " موسى " في جزيرة "كريت " كما أدى سقوط الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية في القرن السابع الى ظهور الاهتمام بالفكر الخلاصى من جديد[٦]، فظهر أكثر من مسيح دجال في فارس وسوريا وهمذان، وفى القرن التاسع الميلادى انتشرت فكرة العثور على القبائل الإسرائيلية العشر المفقودة، وكانت عودة ظهور هذه القبائل إحدى ضروريات عصر الخلاص، وتلقى الاعتقاد في المسيح المخلص دفعة قوية على يد موسى بن ميمون الذي أثار في رسالته إلى اليمن بعض التطورات الخاصة بالاعتقاد في المسيح المخلص، وأكد هذه العقيدة بأن جعلها واحدة من أركان الإيمان لأول مرة في تاريخ الديانة اليهودية[٧]. وإن كان قد دعى بحكم فلسفته العقلانية إلى ضرورة إدراك الطبيعة العقلية، وغير الإعجازية لعصر الخلاص وأهم معالم هذه الطبيعة تحقيق نهاية العبودية السياسية للجماعة اليهودية على يد زعيم من نسل داود[٨].

وانتشرت ظاهرة المسيح الدجال بصورة خاصة في عصر الحروب الصليبية، والتى تعرضت فيها الجماعات اليهودية في أسبانيا بالذات وفى غيرها من بلدان أوربا لكثير من مظاهر الاضطهاد الدينى ففى ١٠٩٦م ذاع في سالونيكا الاعتقاد في أن عصر الخلاص قد بدأ بالفعل، وفى عام ١١٢١م ادعى أحد القرائين في فلسطين أنه المسيح المخلص كما ادعى نفس الشيء أشخاص كثيرون في العراق واليمن وفارس وأسبانيا وفرنسا وصقلية وأدت أحداث الاضطهاد في أسبانيا عام ١٣٨١م وطرد اليهود منها عام ١٤٩٢ إلى ظهور عدد كبير من المدعين لشخصية المسيح المخلص، ويتوالى ظهورهم في القرون التالية، وآخر من ادعى هذا كان واحدا من يهود اليمن، وحدث هذا عام ١٨٦١[٩].

ويمكن القول أنه على المستوى الفكرى العام استغل القائمون على الحركة الصهيونية وجود فكرة المسيح المخلص في التراث اليهودى[10]، وطبيعى أن تنتفى الطبيعة الشخصية للمسيح المخلص ليتم الخلاص على يد مجموعة من اليهود أو على الأقل أن المسيح المخلص أصبح فكرة ورمزا استغله المفكرون الصهاينة لتنفيذ غرضهم، وهذا لا يمنع أن فكرة المسيح المخلص بأوصافه الشخصية قد نسبت إلى عدد من مفكرى الصهيونية الذين رأى فيهم البعض تحقيقا لبعض ملامح شخصية المسيح المخلص. ومن هؤلاء الذين أطلق عليهم الفكر الصهيونى لقب المسيح المخلص زعيم الصهيونية السياسية " تيودور هرتسل " كما أطلق اللقب أيضا على بعض رواد الحركة الصهيونية، وبخاصة من لعب منهم دورا رئيسيا في نشأة وظهور الدولة اليهودية إلى جانب بعض الشخصيات العسكرية الإسرائيلية.

وإذا تتبعنا فكرة المسيح المخلص كما نشأت تاريخيا لأدركنا أن الصهيونية عند غالبية المعتقدين فيها تعبير عن الخلاص القومى فقد رأى فيها الكثيرون كما سبق أن ذكرنا نهاية لحياة المنفى، وبداية لجمع الشتات اليهودى والاستقرار، وتحقيقا للخلاص اليهودى ولكى يتجنب مفكرو الصهيونية الاصطدام بالأرثوذكس من الجماعات اليهودية التى تفهم الخلاص فهما دينيا خالصا، اضطر هؤلاء المفكرون إلى تفسير الحركة الصهيونية تفسيرا خلاصيا، وإن جعلوا وسائل تنفيذ الخلاص وسائل علمانية[11].

فهدف الصهيونية حسب هذا الرأى هدف دينى حشرى يتم الوصول إليه بالجهود السياسية والدبلوماسية فالصهيونية هى المسئولة عن تحقيق الخلاص بما يتبعه من أمن واستقرار، وتجميع للشتات اليهودى وقد كان هذا هو الوجه الذي ظهرت به الصهيونية، وقدمت به نفسها للجماعات اليهودية فقد ألبس زعماء الصهيونية حركتهم ثوب المخلص الدينى، وجعلوها امتدادا للفكر الخلاصى

اليهودى، بل ونتيجة حتمية لهذا الفكر. فالصهيونية في رأيهم الحلقة الأخـــيرة فـــي سلسلة الأحداث التى بدأت بدمار الهيكل على يد الرومان، بل يعود بها البعض إلـــى عصر السبى البابلى وخلاصة اعتقادهم أن ظهور الحركة الصهيونيـــة ضـــرورة تاريخية أوجبها تطور أحداث التاريخ اليهودى منذ السبى البـــابلى إلـــى العصـــر الحديث.

وقد سبق ذكر أن هذا التفسير الجديد للخـــلاص، ومعنـــاه ووســـائل تنفيـــذه يتعارض مع التعاليم الدينية اليهودية الخاصة بالخلاص وأول وجوه هذا التعـــارض أن الخلاص، كفكرة دينية بحته، هو صورة لطبيعة العلاقة بين الله والإنسان وقد فهم الأرثوذكس من اليهود عبر العصور أن الخلاص يعنى اللقاء الأخير بين اليـــهودى وربه، وأن حياة المنفى رمز للعقاب الذي قدره الله على الجماعة اليهوديـــة بســـبب خطاياها وبعدها عن عبادته الحقيقية، فهى رمز للتكفير عن الذنوب التى اقترفوهـــا على المستوى الفردى والجماعى.

وقد تخلصت الصهيونية بتفسيرها الجديد لمفهوم الخلاص من هذا العنصـــر الإلهى، فلم يعد الخلاص تعبيرا عن العلاقة الدينية بين العـــابد والمعبـــود، ولكنـــه تصور لنهاية الصراع القائم بين اليهود والعالم كما قضى هذا التفسير أيضا علـــى العنصر الشخصى في العلاقة بين الله والإنسان، فلم يعد الخلاص يعبر عن تجربـــة دينية أو شعور دينى ذاتى تجاه الخالق، ولكنه محاولة للتوفيق بين اليهودى والعـــالم الذي يعيش فيه، أو رمز لحرية اليهود في العالم الجديد، وتجسيد للأفكار القومية التـــى سادت أوربا القرن التاسع عشر ولا شك في أن هذا التطور الجديد للخلاص ومعنـــاه قد غير المعنى الدينى للخلاص، وأحدث تغييرا جذريا في القيم الدينية التـــى نشـــأت حول فكرة الخلاص.

وقد رأينا من قبل أثر هذا التغيير على الاختيار، والمحاولات التي بذلت للحفاظ عليها في الفكر الصهيوني، والتي تسببت في وقوع تناقض واضح بين الدعوة إلى مساواة اليهودي بغيره ثم التأكيد على أفضلية اليهودي.

وهكذا فقد عالجت الصهيونية العنصرية بعنصرية أشد وأقوى. فمحاولة وضع الحياة اليهودية داخل الإطار العام للتاريخ البشري تعارض من الوجهة النظرية مفهوم شعب الله المختار، ولذلك اضطر بعض مفكري الصهيونية إلى التمسك بفكرة الاختيار، وأفضلية الإنسان اليهودي، وان كانوا قد ألبسوها ثوبا عصريا اتفق في الجانب مع الفكر الاستعماري، ورسالة تنوير الشرق وتحضيره، أو فكرة الدولة المثالية الرائدة للعالم. وهي في معظمها أفكار لا نزال نرى صداها في بعض الدوائر الصهيونية والإسرائيلية حتى بعد أن انتهى الاستعمار العالمي، وانتهت معه فكرة بعثة الحضارة الغربية إلى الشرق المتخلف. فكلنا يسمع عن بعض الادعاءات الإسرائيلية، التي تحاول فرض مسحة مثالية على طبيعة دولة إسرائيل، فتصفها أحيانا بأنها الدولة الديمقراطية الوحيدة في منطقة الشرق الأوسط، وأنها أيضا قادرة على تحويل هذه المنطقة بأكملها إلى منطقة حضارية، وتساعد في تقدمها التكنولوجي وازدهارها الاقتصادي.

# الفصل الثاني

## الحركة الصهيونية بين الحركات
## الدينية اليهودية المعاصرة

## ١ - تعريف الحركة الدينية وأنماطها :

ولكى نصل إلى الطبيعة الحقة للحركة الصهيونية نرى ضرورة مقارنتها بالحركات الدينية اليهودية المعاصرة .والهدف الحقيقى من هذه المقارنة التعرف على مدى صحة المضمون الدينى للصهيونية، كما يدعيه كثير من دعاتها ومفكريها.

وقد ظهر من التحليل السابق كيف حاول مفكرو الصهيونية الربط بين الصهيونية والتراث الدينى، وكيف استغلوا بعض المفاهيم الدينية اليهودية وأعادوا تفسيرها لصالح فكرة الصهيونية. والسؤال المطروح للمناقشة الآن هو: هل من الممكن أن نعرف الصهيونية بأنها حركة دينية ؟ وهل تكفى التعديلات التي أدخلتها الصهيونية على بعض الأفكار الدينية اليهودية لتجعل من الصهيونية حركة دينية ؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات لابد من التعرف أولا على طبيعة الحركة الدينية بصورة عامة، وتطبيق مواصفات الحركة الدينية على الفكر الدينى اليهودى، ثم شرح الحركة الصهيونية على ضوء هذه النتائج لنرى إن كانت مقومات الحركة الدينية ومواصفاتها تنطبق على الحركة الصهيونية أم لا .

المقصود بالحركة هو الاتجاه إلى التغيير، فالحركة الدينية إذن هى محاولة لإحداث بعض التعديلات فى بعض الأفكار الدينية لكى تناسب تفكيرا أيديولوجيا معينا. ومن الشروط الواجب توافرها فى الحركة الدينية أن يكون لها برنامج دينى محدد، تسعى إلى تطبيقه ونشره بين أبناء المجتمع، وهذا البرنامج الدينى يستند بالضرورة إلى نظام فكرى يتمثل فى عدد من المبادىء النظرية .والحركة الناجحة هى التي تجمع بين الجانبين النظرى والعملى، وتواءم بين الفكر والتطبيق، فلا تكن حركة مثالية لا وجود لها فى الواقع، أو حركة لها دعوة عملية لا تقوم على فكر

قويم فالبرنامج الدينى الذي تدعو إليه الحركة لابد وأن يقوم على رؤية جديدة، أو فلسفة خاصة، هى محور الحركة الدينية والسبب فى قيامها. وهذه الرؤية الجديدة هى التي تحدد مكان الحركة فى الفكر الدينى النابعة منه.

وإذا نظرنا فى طبيعة الحركات الدينية لأدركنا أن الحركات الدينية تنقسم إلى عدد من الأنماط، والأشكال الدينية، التي تختلف فيما بينها فى الشكل والمضمون، وفى القصد الذي تهدف إليه، والغرض الذي نشأت من أجله .وهذه الأنماط نجدها فى كل الحركات التي تسعى إلى التغيير، دينية كانت أو غير دينية، ويمكن حصر هذه الأنماط فى ثلاثة :

**أولا : النمط المحافظ التقليدى :**

وبطبيعة الحال لا يسعى أصحاب هذا النوع من الحركات إلى إحداث أى تغيير فى المفاهيم الدينية الموروثة .ونذكره هنا على أنه النمط الذي تتحرك حوله بقية الحركات، وتتخذه محورا لفكرها، تحدث فيه ما تراه من تعديلات تناسب ما تدعو إليه من عقيدة، وهو فى نفس الوقت الأصل الذي تتفرع عنه الحركات الدينية، التي تضطر إلى اتخاذ موقف من هذا الأصل، فتقبله أو تغير منه على حسب رؤيتها الجديدة ونظرتها إلى ما يتضمنه هذا الأصل من عقائد.

ويطلق على هذا النمط التقليدى الموروث العقيدة الأرثوذكسية المعبرة داخل كل دين عن الصورة الأصلية التقليدية لهذا الدين، والمعارضة لكل محاولات التغيير من تجديد أو إصلاح، وإن سمحت بهما ففى حرص وحذر شديدين، وقد انتشر استخدام مصطلح الأرثوذكسية للتفرقة بين هذا النمط من التفكير الدينى والأنماط الأخرى الصادرة عنه .وعندما حاول أصحاب الأرثوذكسية المواءمة بين عقيدتهم، وضروريات العصر أطلق عليها اسم " الأرثوذكسية الجديدة " التي تحاول التعديل

من نفسها بما يجارى التغييرات الطارئة، ويساير العصر ولكن فى حـــدود ضيقـــة جدا.

**ثانيا : النمط التجديدى :**

الذى يحاول شرح الدين أو العقيدة الأصلية شرحا عصريا، وتفسيرها تفســيرا يتناسب مع الظروف الزمانية والمكانية، ويحاول البحث عن حلول للمشاكل الناجمـة عن التفاعل بين الدين والبيئة فى حدود الزمان والمكان المناسبين.

**ثالثا : النمط الإصلاحي :**

الذى يحاول إدخال كثير من التعديلات على العقيدة الأصلية، وإن اضطـــره هذا إلى التخلى عن بعض الأفكار التقليدية الموروثة إن ثبت عدم جدواها .وقد يكون هدف الإصلاح تنقية العقيدة الأرثوذكسية مما دخلها من عناصر غريبـــة عليـــها، والعودة بها إلى حالتها الأولى .وقد يكون الهدف من الإصلاح هو التجديد، ومسايرة العصر بالتخلى عن العقائد التي تقف عقبة فى سبيل تحقيق هذا لأهدف.

## ٢- الحركات الدينية اليهودية :

### (أ) الحركة اليهودية الأرثوذكسية :

وإذا طبقنا هذه الأنماط الثلاثة للحركة الدينية على الواقع الدينى المعاصر فى الفكر اليهودى لوجدنا هذه الأنماط الثلاثة موزعة على النحو التالى :

**أولا : يتمثل النمط التقليدى المحافظ :** فـــى الديانـــة اليهوديـــة التقليديـــة، والأرثوذكسية الجديدة المتطورة عنها. وقد شاع استخدام مصطلح الأرثوذكسية بعـد

ظهور الحركة الإصلاحية فى غرب أوربا، وكان استخدام هذا الاسم تعبيرا عن المعارضة من جانب اليهود الأرثوذكس للتغييرات التي أدخلها الإصلاحيون على العقيدة اليهودية.

والجماعة المتطرفة من الأرثوذكس اليهود، وهم يهود شرق أوربا، ترفض كل محاولات التجديد والإصلاح فى أى جانب من جوانب الحياة اليهودية، وبخاصة الحياة الدينية، بينما انتهجت الجماعة الأرثوذكسية فى غرب أوربا سياسة الحفاظ على الحياة اليهودية التقليدية فى الوقت الذي لا يرفضون فيه الثياب الأوروبية والتعليم العام واستخدام اللغة الدارجة التي يتحدث بها أهل البلد الذي يقيمون فيه، الى غير ذلك من المظاهر العامة للحياة، والتى لا تلمس صلب العقيدة اليهودية، أو تضر بأى مبدأ من مبادئها .وقد أدى هذا إلى تطوير عقيدة الأرثوذكس فى شكل مخالف للنمط التقليدى المحافظ، مما دعا البعض إلى إطلاق مصطلح " الأرثوذكسية الجديدة " على هذا النمط الجديد المتطور عن الأرثوذكسية التقليدية[١].

فالحركتان تختلفان فى أن الأرثوذكسية الجديدة قبلت بعض التغييرات فى الديانة أبعدها قليلا عن أصولها القديمة.

ومن الطريف أن طائفة " الإصلاحيون" هم الذين استخدموا مصطلح الأرثوذكس ليعرفوا به التقليديين من اليهود والأتقياء منهم[٢] ومع ذلك فقد تقبلت الجماعة اليهودية هذا الاصطلاح لكى يعرفوا به، وتم استخدام هذا الاصطلاح لأول مرة فى إحدى المجلات الصادرة فى برلين عام ١٧٩٥م .ومن المعروف أن هذا الاصطلاح مستعار من المسيحية، وربما كان من الخطأ إطلاقه على جماعة يهودية. ففى المسيحية نجد أن كلمة أرثوذكس تعنى " الاعتقاد الصحيح " وهى تنطبق على المسيحية، حيث تلعب العقيدة دورا هاما فى نظام الإيمان المسيحى.

وتعتبر الأرثوذكسية الجديدة نتيجة من نتائج الصراع بين اليهودية التقليدية واليهودية الإصلاحية .فقد اضطرت الديانة اليهودية إلى تقديم بعض التنازلات لمسايرة العصر الحديث .وكانت النتيجة فى النهاية ظهور الأرثوذكسية الجديدة فى ألمانيا. وهذه الأرثوذكسية الجديدة ليست فى حقيقة الأمر شيئا جديدا على الديانة اليهودية فقد سبق ظهورها من قبل بين يهود العالم العربى، ويهود أسبانيا فى العصور الوسطى. ولهذا فالأرثوذكسية الجديدة هى بعث للنظام الدينى الذي ساد بين يهود العالم الإسلامى، وهو نظام قد تطور نتيجة لاشتراك اليهود فى الحياة العامة. ومن هنا فقد حاولت مسايرة العصر، وعدلت عن بعض مبادئها التقليدية تحت تأثير الحياة الفكرية الإسلامية .وتتمسك الأرثوذكسية الجديدة بكل المفاهيم الرئيسية للديانة اليهودية والتراث اليهودى، وتعتقد فى الوحى كمصدر للشريعة اليهودية كما أنها تتمسك بكل العادات والتقاليد اليهودية[٣] .

**(ب) الحركة اليهودية الإصلاحية :**

يتمثل النمط الإصلاحى فى الحركة الدينية اليهودية المسماة باليهودية الإصلاحية. وقد كان ظهور هذه الحركة استجابة للحقوق التى منحتها الثورة الفرنسية، والفرصة التي سنحت لاشتراك اليهود فى المجتمع الأوربى .وقد رأى أصحاب هذه الحركة أن على اليهود أن يدخلوا بعض الإصلاحات على الديانة اليهودية الأرثوذكسية، وتغيير بعض العادات والتقاليد اليهودية لمواجهة التحديات التي يفرضها العصر الذي يعيشه اليهود، ومجابهة التغير الذي يطرأ على المجتمع عامة.

ومن التعديلات التي سنتها هذه الحركة تقصير الصلاة اليهودية، واستخدام اللغة الدارجة لغة للحديث، بل وسمحت باستخدامها فى الخطب والمواعظ الدينية،

وهجر اليهود التابعون لهذه الحركة كثيرا من العادات اليهودية، وانشقوا على كثير من السنن التي سنها التلمود.

وقد تبلورت الحركة الإصلاحية بشكل خاص فى أمريكا التي انتقل إليها نشاط الإصلاحيين، وقد آمن أصحاب الحركة فى أمريكا بضرورة أن تستجيب اليهودية لمطالب العصر ومواقف الحياة المختلفة، فتغير من نفسها، وتصبح من المرونة بحيث تتمكن من مسايرة العصر ومطالبة .وفى عام ١٨٦٩ انعقد فى مدينة فيلادلفيا أول مؤتمر لوضع أسس الدعوة الإصلاحية، وقد تمخض هذا المؤتمر عن عدد من القرارات أهمها :

١- التأكيد على فكرة رسالة إسرائيل التي تتضمن الاعتقاد فى أن الله شتت اليهود لهدف إلهى، وهو نشر عقيدة التوحيد والأخلاق التوحيدية فى العالم .ولهذا فالشتات ليس عقابا على الخطايا، ولكنه وسيلة لتنفيذ وتحقيق هذه الرسالة الإلهية.

٢- التأكيد على أن اللغة العبرية لغة مقدسة يجب نشرها، ولكن لا ضرورة لاستخدامها فى المعابد نظرا لظروف الحياة اليهودية فى أمريكا. فالعبرية ليست مفهومة لدى الإنسان اليهودى، ولهذا فاستخدام اللغة الدارجة يمكن هذا الإنسان من فهم الصلاة، فالعبادة بدون فهم لا روح لها .

٣- استبدل الإصلاحيون الأمريكيون عقيدة البعث بعقيدة خلود الروح.

٤- أبطل الإصلاحيون كل الفوارق بين الكهنة واللاويين والإسرائيليين، كما شرحوا الإشارات الواردة فى الأدب الكنسى بخصوص نظام الكهنوت وعقيدة

التضحية على أنها من الآثار التربوية للماضي، بمعنى أن قيمتـــها تاريخيـــة بحتة، ولا داعى لاستمرارها.

٥- غير المؤتمر أيضا القوانين اليهودية الموروثة، والخاصة بالزواج والطـــلاق والقوانين الأسرية، أو ما يتعلق بالأحوال الشخصية منها مثل : الأرملة التـــي ليس لها أولاد من زوجها الميت تستطيع الزواج دون أن تنفذ الطقس الخاص بخلع النعل (التثنية ٧-١٠) والمرأة المقيدة التي اختفى زوجها دون أن يـترك أثرا تستطيع الآن الزواج .وقد كان التلمود قد حرم عليها الزواج، وغيرها من الحالات[٤] .

وانعقد فى عام ١٨٨٥ مؤتمر آخر فى مدينة " بتسبرج " يضم تسعة عشـــر حاخامًا من حاخامات الطائفة الإصلاحية .وقد صدر عن هذا المؤتمر مجموعة مـــن القرارات، وضحت موقف الحركة الإصلاحية، وحددت برنامجها الدينى، وتتضمـــن هذه القرارات :

١- الاعتراف بأن كل الأديان تحاول الوصول إلى الحقيقة الإلهية، وأن كل كتاب مقدس فى أى نظام دينى يوحى بهذا الشعور تجاه الله .وأن اليهودية تقدم فكرة الألوهية فى أحسن صورها، كما يوحى بهذا الكتاب المقدس، وكما طــــورت على يد العلماء اليهود بما يتفق والتقدم الأخلاقى والفلسفى فـــى عصورهـــم المختلفة .وقد حفظت اليهودية فكرة الألوهية كفكرة دينية رئيســية، وقدمتـــها للعالم كله من خلال التوراة والكتابات الأخرى المقدسة[٥] .

٢- الاعتراف بأن الكتاب المقدس قد كرس الشعب اليهودى، وجعل منـــه كاهنـــا للإله الواحد، وأن الاكتشافات العلمية الحديثة فى مجال الطبيعـــة والتـــاريخ

ليست معادية لتعاليم اليهودية وعقائدها، والاعتراف بأن الكتاب المقدس يعكس الأفكار البدائية لعصره، ويقدم عقيدة العناية الإلهية والعدالة فى روايات إعجازية[٦].

٣- الاعتراف بأن التشريع الموسوى نظام لتدريب الشعب اليهودى لتأدية رسالته خلال حياته القومية فى فلسطين وقبول القوانين الأخلاقية منه فقط، والمراسم التي تقدس وترفع من شأن حياتنا، ورفض كل مالا يتناسب مع آراء الحضارة المعاصرة وتقاليدها[٧].

٤- الاعتقاد فى أن كل القوانين الموسوية والربانية، مثل قوانين الطعام والطهارة الكهنوتية والثياب، كل هذه قد نشأت فى عصور قديمة وتحت تأثير أفكار غريبة على حالتنا الروحية والفكرية المعاصرة، لذلك لا يحس اليهودى بروح القداسة الكهنوتية كما تصورها هذه القوانين، وممارستها فى العصر الحاضر لا تساعد على الرفع من شأن الحالة الروحية للإنسان المعاصر[٨].

٥- الاعتراف بأن العصر الحاضر عصر حضارة عالمية، وعصر تحقيق أمل إسرائيل الخلاصى فى إقامة مملكة الحق والعدالة والسلام لكل البشر .اليهود ليست أمة ولكنهم جماعة دينية – ولهذا السبب لا يجب توقع العودة الى فلسطين، أو نظام عبادة يديره نسل هارون، ولا يجب استرداد أى قانون خاص بالدولة اليهودية[٩].

٦- اليهودية ديانة تقدمية تحاول أن تكون على اتفاق مع العقل، ويجب الاحتفاظ بالعلاقة التاريخية التي تربطنا بتراثنا، وتقدير رسالة المسيحية والإسلام (كأديان نابعة عن اليهودية ) فى نشر التوحيد والحقيقة الأخلاقية .الاعتراف

بأن الروح الإنسانية للعصر حليفنا لإنجاز رسالتنا، ولهذا فنحـــن نمـــد يـــد التعاون إلى كل من يتعاون معنا فى إقامة عصر الحقيقة والبر بين الناس (١٠) .

٧- تأكيد الاعتقاد اليهودى بأن روح الإنسان خالدة، وعدم الاعتـــراف بـــالبعث الجسدى ورفض الجنة والنار (١١) .

٨- ضرورة الاشتراك فى مهمة العصر الحاضر، وحل المشاكل الناجمـــة عـــن شرور النظام الاجتماعى .وهذا يتفق مع روح التشريع الموسوى الذي يســـعى لتنظيم العلاقة بين الغنى والفقير (١٢).

وبالإضافة إلى هذه القرارات الهامة التي حددت طبيعة الحركة الإصلاحيـــة وعلاقتها باليهودية، أبدى الاصلاحيون رأيهم فى الحركة الصهيونية، كما ذكرنا من قبل .ويجدر بنا هنا أن نشير إلى رفض الإصلاحيين لفكرة الصهيونية ســـببه الأول النظرة العالمية التي اتسم بها فكر الحركة الإصلاحية، كما يظهر ذلك فى اعترافـــها بالأديان الأخرى، والكتب المقدسة لهذه الأديان، وقبولها للحضارة العالمية ونظرتـــها إلى اليهود كجماعة يمكنها التعايش مع الآخرين.

وكل هذه آراء تعارض النزعة العنصرية التي سادت الفكر الصهيونى ومـــن أهم الموضوعات التي اختلف عليها الإصلاحيون والصهاينـــة موضـــوع طبيعـــة الخلاص .فالنزعة العالمية التي سيطرت على فكرة الإصلاحيين جعلتـــهم يفســـرون الخلاص تفسيرا يتناسب ونظرتهم العالمية، فأصبح الخلاص عندهم خلاصا عالميـــا هدفه البشرية ككل، واعتبروا اليهودية ديانة عالمية، وتعارض هذا من ناحية أخـــرى مع الصهيونية التي اعتبرت اليهودية ديانة قومية .وقد عبر إسحاق وايز عـــن رأى الإصلاحيين بقوله " أننا يهود بالدين فقط ". ويقصد من ذلك أن اليهودية كديانـــة لا

يمكن ربطها بأية قومية سياسية[١٣]. وعلاوة على هـذا دعـا الإصلاحيـون إلـى المساواة والأخوة العالمية ولعل هذا هو السبب فى أن أمريكا كانت الأرض الخصبة التي ازدهرت فيها حركة الإصلاحيين فقد جسـدت أمريكـا للإصلاحييـن فكـرة الخلاص العالمى، الذي يقوم على المساواة والأخوة بين البشر .ولهذا كانت أمريكـا صهيون الإصلاحيين كما أن واشنطن كانت بالنسبة لهم أورشليم تماما كما اعتـبر أسلافهم فى ألمانيا برلين أورشليم الجديدة[١٤].

وبعد انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول فى ١٨٩٧م واتضاح الأهداف القوميـة للصهيونية، اضطر الإصلاحيون إلى تحديد موقفهم من الحركة الصهيونية ووصف اسحاق وايز الصهيونية بأنها من خلق الفطرة، أو الطبيعة اليهودية الشـرقية، كمـا مثلها المهاجرون من يهود شرق أوربا إلى أمريكا.

ويعنى بهذا أن التفكير الصهيونى لا يخص العقلية اليهودية بشكل عام ولكنـه من طبيعة اليهود الأوربيين الشرقيين منهم فقط. وفى المؤتمر الذي عقده " المؤتمـر المركزى للحاخامات الأمريكيين" فى مدينة " مونتريال " بكندا فى نفس العام الـذي انعقد فيه المؤتمر الصهيونى الأول أصدر المجتمعون القرار التالى فيمـا يختـص برأيهم فى الصهيونية : " نحن نرفض على الإطلاق كل محاولة لإقامة دولة يهودية فهذه المحاولات تبين الخطأ فى فهم رسالة إسرائيل التي امتدت من نطاقها السياسـى والقومى الضيق إلى نشر الدين العالمى الذي أعلنه الأنبياء اليهود بين أفراد الجـنس البشرى عامة .هذه المحاولات لا تفيد إن لم تضر أخوتنا اليهود الذيـن يواجـهون الاضطهاد، بتأييدهم افتراض أعدائهم بأنهم أجانب فى البلاد التي اعتبروها موطنـا لهم، والتى هم فيها من أقوى المواطنين ولاء ووطنية " (١٥).

**(جـ) الحركة اليهودية المحافظة :**

نجد أن النمط الثالث من الحركات الدينية وهو النمط التجديدى يتمثل فى حركتين يهوديتين معاصرتين.

**الأولى :** هى حركة " اليهودية المحافظة ".

**والثانية :** حركة " إعادة بناء اليهودية ".

**(أ) اليهودية المحافظة :** حركة معقدة فى تركيبها، ومع أن اسمها يدل على نمط تقليدى، وربما كان من الأولى وضعها تحت النمط الأول إلا أن مضمون هذه الحركة الباعث على التجديد يجعلنا نضطر لتصنيفها ضمن النمط الثالث .وتعتبر هذه الحركة مرحلة وسط بين الحركتين الأرثوذكسية والإصلاحية فهى تقبل كل المفاهيم الدينية التقليدية، وتحاول فهمها فهما معاصرا .فهى لذلك تخلط بين القديم والحديث فى محاولة للتوفيق بينهما.

وقد كان " اسحاق ليزر (١٨٠٦ – ١٧٦٨) أول من نادى بهذه الدعوة فى أمريكا وقد عرف ليزر الأرثوذكسية بأنها ليست المعارضة الصارمة للتجديد، ولكنها فى نفس الوقت لا تستسلم لمطالب أصحاب البدع الذين يحاولون أن يجعلوا من الديانة اليهودية شيئا يتغير كل يوم لكى يناسب كل مرحلة تاريخية .ومثل هذا الدين لا يعتبر دينا على الإطلاق طالما أن قاعدته الأساسية عرضة للتغيير الدائم[١٦]. هذا فى الوقت الذي اعتقد فيه ليزر أن التقدم العصرى، وتبنى التجديد فى العقيدة مقبول إذا ما أثبت شرعيته .وهذا لا يعد خروجا على الأرثوذكسية ثم يوجه نقده إلى فريق الإصلاحيين من اليهود بأنهم لا يكتفون بهذه النظرة ولكنهم يرغبون دائما فى التغيير والتعديل، والتبديل الذي لا حدود له، والذى لا شك يضر بشكل الديانة اليهودية وطبيعتها. ويحاول أصحاب الحركة المحافظة فى أمريكا الاحتفاظ

بالعادات والتقاليد الدينية اليهودية ولكن فى إطار حديث يتفق وأنماط السلوك الأمريكية[١٧]. وقد تحدد هدف الحركة على النحو التالى :

١- تنمية اليهودية فى أمريكا، والتمسك بالتراث اليهودى وضرورة استمراريته التاريخية.

٢- تأكيد الولاء للتوراة ،والطاعة لوصاياها ومضمونها التاريخى.

٣- تطبيق قوانين السبت، والمحافظة على القوانين الخاصة بتحريم بعض أنواع المأكولات.

٤- الاحتفاظ فى الصلاة بالإشارة إلى الماضى الإسرائيلي، والأمل فى استرداد إسرائيل.

٥- الاحتفاظ بالشكل التقليدى للأدب الدينى، والاحتفاظ باللغة العبرية كلغة للصلاة.

٦- التأكيد على الحياة الدينية اليهودية داخل المنزل اليهودى.

٧- تشجيع إنشاء المدارس الدينية اليهودية، وإعطاء اللغة العبرية والأدب العبرى مكانة هامة فى برامجها، كوسائل للفهم الصحيح لليهودية، وكصلة تربط المجتمعات اليهودية فى العالم[١٨].

٨- قبول كل العناصر الوفية للديانة اليهودية التقليدية، ورفض العناصر التي تدعو إلى إدخال البدع الدينية التي تغير من شكل اليهودية ورفض كل محاولات الإصلاح التي لا تنبع من داخل اليهودية[١٩].

وفيما يتعلق برأى أصحاب الحركة اليهودية المحافظة فى الحركة الصهيونية فقد لقيت الصهيونية بعض التشجيع لأسباب إنسانية، أكثر منها قومية[٢٠]، وقد عبر بعض رواد اليهودية المحافظة عن بعض التحفظات ضد صهيونية هرتسل السياسية. فقد اعتقد بعضهم أن الصهيونية حلم رومانسى .وعبر البعض الآخر عن مخاوفه من الأيديولوجية العلمانية التي تسعى الصهيونية لنشرها، وهذا بطبيعة الحال مناف للنزعة الدينية التي تبنتها الحركة المحافظة، فقد شعر البعض بأن الطموح الصهيونى الخالى من الأفكار الدينية ربما يتطور إلى نزعة قومية متعصبة تهدد الديانة اليهودية[٢١].

هذا بالإضافة إلى أن الصهيونية السياسية التي تبناها "هرتسل" لم تكن تتفق مع عقلية سولومون ششتر (١٨٤٧ – ١٩١٥)، وهو المخطط الرئيسى لأيديولوجية الحركة المحافظة .فقد آمن "ششتر " بفكرة الوطن القومى اليهودى كمركز إشعاع روحى متأثر فى هذا بأفكار زعيم الصهيونية الروحية " آحادهاعم ".

فالوطن اليهودى كما تصوره " ششتر " و " آحادهاعم " ليس ملجأ للمضطهدين من اليهود، ولكنه مركز حضارى روحى[٢٢]. وقد أصبح " ششتر " فيما بعد من رواد الصهيونية الروحية، ومزج بينها وبين فكرة القومية لمصلحة الديانة اليهودية.

فقد اعتقد " ششتر " أن الصهيونية تمنع بشكل أو بآخر اندماج اليهود، وضياع شخصيتهم اليهودية .وهذه فى رأيه خطوة فى سبيل رفع الشعور اليهودى لدى العلمانيين من اليهود الذين قد يعودون إلى الديانة اليهودية عن طريق القومية، أو من خلالها .وفى الوقت الذي يؤيد فيه " ششتر " الصهيونية لم يرفض الحياة اليهودية خارج فلسطين .أو ما يسمى بحياة المنفى، فقد اعتقد "ششتر " فى أن فلسطين كمركز

روحى ستكون بمثابة مصدر للإشعاع الثقافى والدينى، فتبعث بذلك الروح فى الحياة اليهودية داخل وخارج فلسطين[٢٣]، وهو فى هذا يتفق تماما مع آراء "آحادهاعم ".

وبصفة عامة يحاول أصحاب الحركة المحافظة الجمع بين الصفات التى تجعل من عقيدتهم مذهبا وسطا بين الحركات اليهودية المعاصرة، فهم يعارضون التعديل المتطرف للطقوس، والعقائد الدينية، ويسمحون ببعض التغييرات فى الشريعة اليهودية كالسماح مثلا باشتراك الرجل والمرأة فى الصلاة، وبعض التغييرات فى نظام الزواج والخطوبة، وهى تغييرات عارضها الأرثوذكس من اليهود .والرأى السائد بين المحافظين هو أن اليهودية قادرة على الاستجابة للتحدى الذي تفرضه المتغيرات الدينية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية، وقادرة أيضا على تطوير ثقافة دينية عصرية لها طابعها المميز.

**( ب ) حركة إعادة بناء اليهودية :**

حركة إعادة بناء اليهودية هى نمط آخر من أنماط الحركات الدينية التجديدية، وهى حركة يهودية أمريكية دعا إليها "موردخاى كابلان " عام ١٩٣٤م، ولها أتباع بين المحافظين الإصلاحيين والعلمانيين الذين لا يتبعون حركة بذاتها. وحركة إعادة بناء اليهودية تطورت عن حركة اليهودية المحافظة .فقد كان مؤسسها "موردخاى كابلان " من اليهود المحافظين قبل أن يكون حركته الجديدة .ودعوة كابلان هى أن اليهودية ليست مجرد ديانة يعتقد فيها، ولكنها حضارة دينية وهذا تعريف أشمل للديانة اليهودية. وكحضارة دينية تشمل اليهودية التاريخ والأدب

واللغة والنظام الاجتماعى، والأخلاق والمبادىء الروحية والاجتماعية والاهتمامـات الفنية الذوقية، والتراث الشعبى الى آخره من المظاهر الحضارية المختلفة[٢٤].

ووجه " كابلان " دعوته إلى التوفيق بين متطلبات الحياة الأمريكية والـولاء لهذه الحضارة الدينية اليهودية، فعلى اليهودى فى أمريكا أن يؤمن بالمبادىء العامة، والأسلوب الحضارى الأمريكي، وأن يكون وفيـا فـى نفـس الوقـت للدسـتور الأمريكى، وبالإضافة إلى هذا يجب عليه أن يساهم بنشاط مع غيره من اليهود فـى كل جوانب الحضارة اليهودية (٢٥).

**ويمكن حصر مبادىء حركة إعادة بناء اليهودية فى النقاط التالية :**

١- أن اليهودية التي وحدت اليهود عبر العصور ليست فقط ديانة ولكنها حضـارة دينية[٢٦].

٢- أن على اليهودى أن يتعلم كيف يجمع بين الحياة فى حضارتـه التاريخيـة وحضارة البيئة التي يعيش فيها.

٣- أن الوحدة اليهودية تفوق الاختلاف والتنوع بين الجماعات اليهودية والنـاتج عن اختلاف بيئاتهم الجغرافية، وخلفياتهم الثقافية[٢٧].

٤- تجديد الميثاق القديم الذي وحد بين اليهود قديما، والذى يجب أن يوجـد الآن بين يهود إسرائيل ويهود العالم.

٥- أن أرض إسرائيل هى الموطن الروحى للعالم اليـهودى، ومقـر حضارتـه التاريخية[٢٨].

٦- على اليهود خارج إسرائيل تكوين مجتمعات عضوية تعمل على تأكيد القومية اليهودية والدين والثقافة.

٧- ضرورة بعث الروح الدينية من خلال الدراسة الحرة، وفصل الدولة عن الدين .

٨- أن بعث الديانة اليهودية يتطلب تفسير معنى الألوهية تفسيرا عالميا وفى ضوء التجربة اليهودية .

٩- أن استمرار الدين يتم بالمحافظة على مقدساته من نصوص، وأحداث تاريخية وأبطال وأماكن عبادة وأعياد.

١٠- أن التوراة والحضارة الدينية شيىء واحد، ولهذا فهى تتضمن كل التجارب الأخلاقية والثقافية والروحية للشعب اليهودى[٢٩] .

وهكذا تؤكد حركة إعادة بناء اليهودية على أن الدين صفة موروثة فى مادة الحضارة ولذلك لا يمكن فصل الدين عن الحضارة، على الرغم من أن الحضارة تشمل عناصر كثيرة غير دينية .ودعوة " كابلان " فى أساسها دعوة إلى احترام الطقوس التقليدية، والأسلوب الحضارى للحياة اليهودية، وقبول التنوع فى الفكر الدينى، وتوسيع مفهوم التوراة ليشمل الثقافة الأخلاقية وإثراء الحياة الدينية وتنمية الإبداع الفنى الجمالى .ومن الواضح أيضا الميول الصهيونية لهذه الحركة، وإن اتخذت خطا يوافق فكر الصهيونية الروحية، واعتبار أرض إسرائيل مركزا روحيا للحياة اليهودية فى العالم.

### ٣- موقف الحركة الصهيونية :

يتضح من العرض السابق للحركات الدينية المعاصرة فى اليهودية أن كل حركة من هذه الحركات اتبعت نمطا معينا من أنماط الحركات الدينية بين أرثوذكسية وإصلاحية وتجديدية، ويعنى هذا أن هذه الحركات تعبر عن اتجاه خاص، أو منهج خاص فى فهم الديانة اليهودية، وطبيعة الحياة اليهودية .كما وضعت كل منها نظاما دينيا خاصا بها مشتقا من اليهودية، ولكنه يعبر عن الرؤية الخاصة لكل حركة.

وإذا حاولنا مقارنة هذه الحركات الدينية اليهودية بالحركة الصهيونية لوجدنا أنه لا مجال للمقارنة من الناحية الدينية .فالحركة الصهيونية بحكم طبيعتها السياسية لم تأت ببرنامج دينى يجبرنا على تصنيفها بين الحركات الدينية السابقة الذكر، كما أنها لم تبد رأيا فى طبيعة الديانة اليهودية وفى عقائدها الدينية المختلفة باستثناء عقيدة المسيح المخلص .هذا بالإضافة إلى أن الصهيونية لا تمثل أيا من الاتجاهات التي تحكمت فى الحركات الدينية كالاتجاه المحافظ أو الإصلاحى أو التجديدي.

فالحركة الصهيونية لم تحاول الدعوة إلى المحافظة على القديم فى اليهودية أو إدخال إصلاحات عليها، أو تجديدها. وكل هذه الأدلة توضح أن الحركة الصهيونية حركة سياسية بحته، وأن العنصر الدينى فيها عنصر غير أصيل استخدمه الصهاينة لخدمة الحركة، وتسهيل مهمتها بين الأوساط الدينية اليهودية لتحضها على الانضمام إلى الحركة، والتعاطف معها ومساعدتها على تنفيذ مخططاتها .ولهذا يصيب المؤرخون للحركات الدينية اليهودية فى عدم ضمهم للحركة الصهيونية بين الحركات الدينية اليهودية المعاصرة، وذلك لعدم مطابقتها لأوصاف وطبيعة الحركة الدينية التي تضع لنفسها برنامجا دينيا محددا قائما على رؤية دينية خاصة، وإن كانت الفكرة الأساسية التي اعتمدت عليها الصهيونية فكرة دينية تلقت تفسيرا علمانيا على يد رواد الفكر الصهيوني.

هذا إلى جانب أن فكرة الخلاص ما هى إلا واحدة من بين عشرات العناصر التي تتكون منها العقيدة اليهودية، التي لم يعرض لها الفكر الصهيونى، أو يتخذ منها موقفا .وبالإضافة إلى الأدلة السابقة التي حاولنا بها إثبات علمانية الحركة الصهيونية نجد أن كل حركة دينية لها آراؤها السياسية فى الشؤون اليهودية عامة.

وقد اختلفت هذه الآراء حسب الرؤية الدينية، والفلسفة العامة التي تتحكم فى كل حركة .ولأن الفكر السياسى كثيرا ما ينضم تحت لواء الفكر الدينى فإن هذه الحركات الدينية قد عبرت عن رأيها السياسى فى المشكلة اليهودية ووسائل علاجها، بل واضطرت هذه الحركات إلى إبداء رأيها فى الحركة الصهيونية، واتخاذ موقف منها.

والنتيجة التي نخرج بها من هذا التحليل أن الصهيونية لم تكن ضرورة تاريخية بالقدر الذي يصورها بها مفكروها .فالمشكلة اليهودية قد عولجت بشكل أو بآخر داخل إطار الحركات الدينية اليهودية، ويمكن القول بأن كل ما فعلته الصهيونية هو عزلها للمشكلة اليهودية، وتركيزها على هذا الموضوع دون غيره، وجعلت منه هدفا لها بوازع من الحركات القومية المعاصرة للصهيونية .وقد أدى هذا العزل للمشكلة اليهودية إلى اثارة ردود الفعل المختلفة من قبل الحركات الدينية اليهودية بين معارض للصهيونية ومناصر لها.

ولو حدث أن ركزت إحدى هذه الحركات الدينية على ما يسمى بالمشكلة اليهودية لما كانت هناك حاجة إلى الصهيونية. والدليل على هذا أن الكثيرين من مؤيدى الصهيونية قد هجروها، بعد أن رأوا أنها قد حققت هدفها بإنشاء دولة إسرائيل ولم يعد لها دور معروف تقوم به فى حياة الشعب اليهودى .ويعنى هذا أن الصهيونية كحركة سياسية عرضة للزوال فى الوقت الذي ستظل فيه الحركات الدينية اليهودية تمارس سيادتها على القطاعات المختلفة من الجماعات اليهودية فى العالم.

# الباب الثالث

## الأيديولوجيات الصهيونية الأساسية

# الفصل الأول

## الصهيونية السياسية

الصهيونية السياسية هى إحدى المذاهب الإيديولوجية التى تطورت عن فكرة الصهيونية، وقد كان ظهور الصهيونية السياسية رد فعل مباشر لأحداث الاضطهاد التى تعرضت لها الجماعات اليهودية فى روسيا فبعد اغتيال القيصر الإسكندر الثانى فى عام ١٨٨١ م اجتاحت روسيا موجة من الاضطهادات ضد اليهود الذين اتهموا بقتل القيصر، وقد شاع بين الأوساط اليهودية أن الاضطهادات والمذابح التى وقعت الجماعة اليهودية فى روسيا ضحية لها تمت بمعرفة الحكومة الروسية وبدون تدخل منها لحماية اليهود. كما اتهمت هذه الأوساط اليهودية جماعة المثقفين فى روسيا بالسلبية التامة، وعدم تصديهم لهذه الأحداث، بل وجهت إليهم أيضا تهمة السلبية المقصودة، حيث توقع هؤلاء المثقفون أن يحدث هذا تغيرا اجتماعيا فى صالح العمال والفلاحين الروس على أثر التخلص من الجماعة اليهودية[١]. ولهذا فهم لم يعترضوا على ماوقع من شعبهم وحكومتهم ضد اليهود متوقعين أن ينتهى الاستغلال اليهودى لطبقات الفلاحين والعمال، بل رأى بعضهم أن الهجوم على اليهود هو أول خطوة ضرورية فى سبيل الثورة[٢].

ونتيجة لهذه الأحداث بدأت مجموعات من السكان اليهود تفكر فى الهجرة واتجه بعضهم إلى دول أوربا الغربية، كما كانت الولايات المتحدة الأمريكية وجهة الكثيرين منهم فى الفترة بين عام ١٨٨١ وعام ١٩١٤ وبينما هاجر البعض آثر البعض الآخر البقاء آملين فى الإصلاح القريب .غير أن المثقفين من يهود روسيا اعتقدوا أن الهجرة لن تحل مشكلة يهود روسيا ظنا منهم أن كراهية اليهود ليست محدودة فى روسيا، ولكنها موجودة خارج روسيا، والهجرة إلى البلاد الصديقة قد تكون حلا مؤقتا للاضطهادات الحالية، ولكنها فى رأى هؤلاء المثقفين لم تكن حلا شافيا لما أسموه بالمشكلة اليهودية ولهذا نجد الزعيم اليهودى "ليلينبلوم" يغير من وجهة نظره السابقة، والتى كانت تؤيد فكرة اندماج الإنسان اليهودى فى المجتمع

الغربى اندماجا كليا، كوسيلة للحصول على الحرية، إلا أن أحداث الاضطهاد الروسى المفاجىء جعلت "ليلينبلوم" الذى كان اشتراكيا يعيد النظر فى تفكيره الخاص بالفكر الثورى الذى تبناه فقد أكدت له هذه الأحداث أن الثورة الروسية لن تحقق حرية اليهود المنتظرة، وانقلب بهذا من يهودى مندمج إلى صهيونى سياسى ينادى بفكرة الوطن القومى لليهود.

١- ليوبنسكر والتحرر الذاتى :

وقد أدت هذه الأحداث أيضا إلى بداية تحليل ظاهرة " المعاداة للسامية " التى اتخذتها القيادات اليهودية ذريعة فصلت بها بين الجماعات اليهودية والمجتمعات المسيحية التى كانت تعيش بينها، وطورت على أساسها فكرة إنشاء الوطن اليهودى. ومن أول المفكرين الصهاينة الذين تناولوا ظاهرة " المعاداة للسامية " بالتحليل " ليوبنسكر " الذى فسر المعاداة للسامية على أنها ظاهرة مرضية وعقدة نفسية دائمة أصيب بها الإنسان الأوربى المسيحى. وهى ليست فقط ظاهرة اجتماعية أو اقتصادية، كما اعتقد الكثيرون[٣].

فالمعاداة للسامية فى رأى "بنسكر " هى كراهية الغريب، وطالما أن اليهود أقلية فى كل مكان يعيشون فيه، فهم كالأشباح المطاردين فى كل مكان، وغرباء على كل الشعوب التى تكره بطبيعتها كل ماهو أجنبى عليها. ولهذا فالسبب الأول فى كراهية اليهود هو أنهم لاينتمون إلى الأوطان التى يعيشون فيها، ومن ثم فهم عنصر غير مرغوب فيه، حتى لو حاولت الجماعات اليهودية تغيير أوضاعها داخل هذه المجتمعات، فالتغيير اليهودى لن يجلب رضا الأغلبية، ولهذا يؤكد "بنسكر" أن اليهود أجانب على المجتمعات التى يعيشون فيها، وأن حلم اندماجهم فى هذه المجتمعات لايمكن تحقيقه وهذا فى رأيه ليس مرجعه أن اليهود غير قادرين على الاندماج، ولكن لأن الأغلبية لن تسمح لهم بذلك.

وعلى هذا فالحل الذى يقترحه "بنسكر" هو نقل اليهود، وتهجيرهم من أماكنهم إلى قطعة أرض يملكونها، فيصبحوا أمة طبيعية، ويتغير هذا الوضع غير الطبيعي في رأى "بنسكر" ويجب أن نلاحظ أن بنسكر لم يصر على أن هذه الأرض التى يتحدث عنها هى أرض فلسطين بالذات[٤]. ولكنه اقترح أرضا تلاءم الاستيطان الحالى لليهود، كجزء من القارة الأمريكية مثلا، حيث يستطيع اليهود أن يتموا تحررهم، ويظهر من هذا تأثر "بنسكر" بالأفكار التحررية التى ترى مبدأ التحرر اليهودى أساسا لحل المشكلة اليهودية، كما يظهر هذا فى رغبة "بنسكر" فى قبول اليهود على قدم المساواة فى العالم مع غيرهم من الشعوب وهى فكرة ترجع أصولها إلى مبادىء المساواة التى بثتها الثورة الفرنسية .

وقد عبر "ليوبنسكر" عن آرائه الصهيونية فى مقال بعنوان **التحرر الذاتى : نداء من يهودى روسى إلى شعبه**، ويعتبر هذا العمل من الأعمال الكلاسيكية فى فكرة الصهيونية وهو يقترب فى أهميته من كتاب "هرتسل" **الدولة اليهودية** وكتاب **روما وأروشليم** "لموشى هس"[٥] ومن أهم الآراء التى وضعها بنسكر فى مقاله أن المشكلة اليهودية ليست مجرد مشكلة نظرية، ولكنها مشكلة عملية فى حاجة إلى حل حاسم والجانب النظرى من المشكلة هو أن اليهود يكونون عنصرا متميزا داخل المجتمعات التى يعيشون بينها، وهم على هذا الأساس لايستطيعون الاندماج فى هذه المجتمعات، كما أن هذه المجتمعات ليست مستعدة لقبولهم فى نفس الوقت[٦] .

ولهذا فالحل ينحصر فى إيجاد وسيلة لوضع هذا العنصر المتميز بين أمم العالم بطريقة لاتسمح بالحديث عن مشكلة يهودية مرة أخرى ويتهم بنسكر أمم العالم بأنها لاتطبق مبدأ المساواة فى معاملتها لليهود، فكل الشعوب تعيش فى سلام نسبى، تضمنه المعاهدات والقوانين الدولية، والإيمان بالمساواة بين الشعوب، أما الشعب اليهودى فهو لا يتمتع بهذه المساواة، لأن الاحترام المتبادل مفقود بينه وبين

الشعوب الأخرى، ولاتوجد معاهدات أو قوانين تحمى علاقاته ببقية الشعوب(٧). والسبب أن هذا الشعب لايشترك فى عادات وتقاليد متماثلة، وأن الأمم تعاملهم كيهود وليس كشعب أو أمة.

وفى رأى "بنسكر" أن العالم يكره الأشباح، وهى كراهية طبيعية، واليهود هم أشباح العالم ولذلك كرهتهم الشعوب جيلا بعد جيل إلى أن أصبحت هذه الكراهية مرضا مزمنا، مع مرور القرون تشترك فيه الإنسانية كلها وهى وهم نفسى ورثته الشعوب، ومرض انتقلت عدواه من شعب إلى آخر دون علاج على مدى عشرين قرنا(٨). ويقول بنسكر فى هذا المقال أن الكثيرين، من الأصدقاء والأعداء على السواء، حاولوا تبرير هذه الظاهرة بتوجيه الاتهامات إلى اليهود، فنسب إليهم البعض قتل السيد المسيح عليه السلام، وشربهم لدم المسيحيين، وتسميمهم آبار المياه، وأخذهم الربا، واستغلالهم الفلاح وفى رأى بنسكر أن كل هذه الاتهامات لاصحة لها، وأنها اخترعت لتبرير كراهية اليهود، وضرورة حرق اليهودى أو الشبح اليهودى. ويعترف بنسكر أن اليهود ارتكبوا بعض الأخطاء، ولكنها ليست أخطاء أو جرائم خطيرة تستدعى هذه الكراهية العامة للشعب اليهودى كله(٩).

وعلى هذا يرى بنسكر أن اليهودية والمعاداة للسامية تعيشان جنبا إلى جنب منذ قرون بعيدة عبر التاريخ ولهذا فالمعاداة للسامية لن تموت طالما كان هناك وجود لليهودية ولليهود ويقول بنسكر ساخرا أن من يدعى أن الشعب اليهودى ليس شعب الله المختار، فهو أعمى فهذا الشعب المختار للكراهية العالمية من كل الشعوب التى تختلف فيما بينها كثيرا، ولكنها تتفق على شىء واحد هو كراهية اليهود(١٠). وتختلف هذه الكراهية مع اختلاف المكانة الثقافية لهذه الشعوب، فهى أحيانا تظهر فى شكل الحقد على اليهود أو العنف الموجه ضدهم أو فى شكل التسامح المغرض،

والحماية الواهية.فلا فرق بين أن يتعرض للسرقة، أو أن يكون محميا، فكلاهما فى رأى بنسكر فيه إذلال وتدمير للشخصية اليهودية .

كراهية اليهود إذن أمر وراثى أشبه بكراهية الشيطان، والمعاداة للسامية تشكل وهما موروثا من أوهام العقل البشرى[11] . ولهذا لايجب فى رأى بنسكر التنديد بهذه الأمراض، فهى أشبه بالعواطف أو الغرائز التى يرثها الإنسان، ولايستطيع تغييرها. ولهذا فالدفاع ضدها لاجدوى منه، بل هو تضييع للوقت والمجهود.فالتعصب أو الشر الغريزى لاتحركه قوى عقلية، بل هو قوة عمياء يجب تجنبها .

يخرج بنسكر من هذا التحليل بأن جذور الكراهية والتعصب ضد اليهود جذور ثابتة فى النفسية الإنسانية.وهناك أسباب أخرى يمكن إضافتها إلى هذا العامل الرئيسى منها، أنه لايوجد شعب يحب الأجانب، وهذا ليس اتهاما من الناحية الجنسية.ولكن هل اليهودى خاضع لهذا القانون العام كما تخضع له الشعوب الأخرى ؟ يجيب بنسكر على هذا السؤال بالنفى.ففى رأيه أن الحق الذى يتمتع به أفراد الشعوب الأخرى لايتمتع به اليهودى فهو من ناحية ليس مواطنا أصيلا فى البلد الذى يعيش فيه، كما أنه ليس أجنبيا فى نفس الوقت.وبهذا فقد حقوق الأجنبى، وهو ليس بعدو كما أنه ليس صديقا، بل يذهب بنسكر إلى أبعد من هذا، فيعتبر اليهودى شحاذا ولاجئا، لامأوى له[12] .

ومن هنا كان الوضع الغريب لليهودى فى رأى بنسكر.فالقانون العام لايطبق على اليهود كأجانب، ولكن هناك قوانين خاصة باليهود فحسب، ويقرن بنسكر بين وضع اليهود، ووضع الزنوج والنساء، فكلهم فى حاجة إلى التحرر.وقد كان التحرر الشرعى لليهود أهم أنجاز للقرن الماضى، إلا أن هذا التحرر فى رأى بنسكر لم

يكن تحررا اجتماعيا .إذ أنه لم يخلص اليهودى من وضعه الاجتماعى المهين، على حد تعبير "بنسكر"[١٣].

وإذا كان هذا التحرر مطلوبا كغرض منطقى أو قانونى، أو كرغبة أو اهتمام ثقافى حضارى، إلا أنه لن يكون بأى حال من الأحوال تعبيرا عن شعور إنساني طبيعى وسواء أكان هذا التحرر نتيجة شعور تلقائى، أو لدوافع مقصودة، فهو ليس أكثر من زكاة موجهة إلى إنسان فقير، أو شحاذ متواضع يمكن أخذها منه فى أى وقت طالما أنه يعتمد على غير اليهودى[١٤]. ويلخص بنسكر وضع اليهودى فى العالم على النحو التالى :

"اليهودى الحى جثة فهو عند المواطن الأصلى أجنبى، وعند أصحاب الأملاك شحاذ، وعند الفقير هو مستغل و مليونير، وعند الوطنى هو إنسان بلا وطن وهو للجميع منافس مكروه" هذه العداوة الطبيعية كانت السبب فى عديد من الاتهامات، وكانت عاملا من عوامل سوء الفهم بين اليهود والشعوب وهنا يتهم بنسكر اليهود بالغباوة "لأنهم ينتظرون من الطبيعة الإنسانية شيئا لم تنتجه وهو الإنسانية"[١٥]، ويرميهم بالازدراء لأنهم لايملكون احتراما وتقديرا لأنفسهم، أو إحساسا ذاتيا بقوميتهم كما أنه يوجه نقده إلى عقيدة المسيح المخلص التى دان بها اليهود، ويعتقد أنها كانت سببا من أسباب تواكل اليهود وإهمالهم لمصيرهم حيث يقول : "وبالإضافة إلى هذا فالاعتقاد فى المسيح المخلص، وفى تدخل قوة إلهية لكى تحقق لنا البعث السياسى، وكذلك الافتراض الدينى بأنه يجب أن نتحمل صابرين العقاب الإلهي، كل هذا أدى بنا إلى هجر كل فكرة تتعلق بتحررنا القومى وبالوحدة والاستقلال وبالتالى فقد تركنا فكرة القومية وانشغلنا بحاجاتنا الحالية"[١٦].

وإذا كان هذا هو حال الإنسانية، كما يراه "بنسكر"، وإذا كان تعصب الإنسانية ضد اليهود يقوم على مبادىء أنثروبولوجية واجتماعية غريزية لايمكن استئصالها إذن لاضرورة فى رأى بنسكر من "انتظار التقدم البطىء للإنسانية، ولايجب على اليهودى أن يفكر فى المساواة مع غيره، ولايجب عليه أن ينتظر حتى توحد الأخوة الإنسانية شعوب الأرض" وأن الوقت قد حان للتفكير الجاد فى أن "الشعوب الأخرى سترفضنا دائما كيهود بسبب العداوة الطبيعية الموروثة. فالجنس البشرى لم يصل بعد إلى المرحلة الأولى من الكمال فى السلوك الإنسانى، ويجب أن ننسى أيضا الوهم القائل بأننا ننجز بتشتتنا رسالة إلهية"[١٧].

وهنا يقرر بنسكر مطلبه الرئيسى فى هذا النداء الذى يوجهه إلى يهود العالم : "يجب أن نبحث عن خلاصنا فى استرداد روابطنا القومية " ثم يؤكد هذا النداء بأن لليهود الحق فى ذلك، ولهم الحق أيضا فى مطالبة بقية الشعوب بالمساعدة فى تحقيق هذه الرغبة. فهذه الشعوب عليها أن تساعدنا إذا أرادت التخلص منا ويؤكد أيضا أن مايسميه بالمشكلة اليهودية يجب أن يصبح موضوعا من موضوعات السياسة الدولية. ثم يوجه اتهامه إلى الشعب والحكومة الروسية، ويؤكد أنها المسؤلة عن آلام اليهود. فالشعب الروسى فى رأيه، شعب متخلف ثقافيا، والتعصب ضد اليهود لايوجد فقط بين أفراد الشعب المتخلف ثقافيا، ولكن أيضا بين مجموعة المثقفين، وبين رجال الصحافة كذلك. ومن هنا لاأمل فى الإصلاح ولذلك نادى بنسكر بـ :

١- ضرورة البحث عن وطن خاص لليهود[١٨].

٢- ضرورة بداية الهجرة المنظمة، وتجنب الأخطاء التى وقعت فيها الهجرات الروسية والرومانية السابقة[١٩].

٣- أنه إذا تم الحصول على وطن آمن، وتوقفت حياة التشتت اليهودية، وحصل اليهود على كرامتهم المفقودة، لاضرورة إذن من "استرداد أرض يهوذا القديمة" أو الارتباط بالمكان الذى انقطعت فيه الحياة السياسية لليهود فالهدف الرئيسى الحالى ليس الأرض المقدسة " ولكن أرض لليهود يعيشون فيها ويمتلكونها[٢٠] ففى رأى بنسكر أن التوراة وفكرة الله هى التى جعلت الأرض المقدسة مقدسة، أى أن القدس أو الأردن أصبحت بلاداً مقدسة بسبب التوراة وفكرة الله[٢١]. وفى نفس الوقت لايرفض بنسكر أن تكون الأرض المقدسة لليهود، ولكنه يقبل أى أرض تقدم لليهود لكى تكون وطنا لهم، فهذا سيحقق المطالب اليهودية .

ويضع "بنسكر" أفكاره الصهيونية والبرنامج السياسى لتنفيذها فى النظام التالى:

١- أن اليهود أجانب فى كل مكان، ولهذا السبب فهم محتقرون .

٢- أن التحرير المدنى والسياسى لليهود غير كاف لرفع مكانتهم بين الشعوب[٢٢] .

٣- الحل الوحيد هو خلق قومية يهودية من شعب يعيش على أرض يملكها، إذ لابد من التحرر الذاتى لليهود، وعودتهم إلى مصاف الشعوب عن طريق حصولهم على الأرض .

٤- لا يجب الاعتقاد فى أن الإنسانية أو التنوير ستقدم علاجا لحالة الشعب اليهودى.

٥- أن فقدان التقدير القومى، والثقة فى النفس والوحدة السياسية هم أعداء البعث القومى لليهود .

٦- يجب ألا نعيش حياة التشتت والتجوال مرة أخرى، بل يجب أن يكون لليهود مركز يلتفون حوله .

٧- أن الوقت الحالى هو أنسب الأوقات لتحقيق هذه الخطة .

٨- أن المشكلة الدولية اليهودية لابد لها من حل دولى، ولابد من اتخاذ الخطوة الأولى فى هذا المجال(٢٣) .

٩- أن البعث القومى لليهود يجب أن يبدأ على يد مجلس من مشاهير اليهود وأغنيائهم .

١٠- يجب الاستعداد للتضحية من أجل هذا الهدف مهما بلغت تكاليفه .

١١- أن التمويل المادى لهذا المشروع لايجب أن يمثل مشكلة(٢٤).

وهكذا يضع " بنسكر " الأسس الأولى للفكر الصهيونى السياسى، فهو لم يقدم فقط أفكارا نظرية عن الصهيونية، ولكنه كان أيضا أول من يضع خطة واضحة لتنفيذ فكرة إنشاء الوطن القومى، وأول من يطالب بعرض المشكلة اليهودية كمشكلة سياسية دولية. ونظرا لهذه الأفكار التى أثرت فى فكر وعمل زعماء الصهيونية السياسيين بعد "بنسكر"، وبخاصة "تيودور هرتسل"، يعتبر "بنسكر" رائدا للفكر الصهيونى السياسى، وتحتل مقالته **التحرر الذاتى** مكانة هامة فى الأدب السياسى الصهيونى .

**٢- تيودور هرتسل " والدولة اليهودية " :**

فى عام ١٨٩٦ م نشر " هرتسل " كتابه المشهور **الدولة اليهودية**، الذى ناقش فيه المشكلة اليهودية، والوسائل التى يراها مناسبة لعلاجها .ويعتبر هذا الكتاب الأساس الذى بنيت عليه الصهيونية السياسية .فقد عرف "هرتسل" اليهود فى هذا

الكتاب على أنهم شعب لايمكنه الاندماج فى الشعوب الأخرى ولهذا فالعلاج الوحيد لمشكلتهم هو إقامة دولة يهودية، تحميها المعاهدات الدولية وهو بهذا يعنى أن المشكلة اليهودية مشكلة سياسية دولية ولذلك لابد من طرحها أمام الرأى العالمى، وحلها بالوسائل السياسية ونظرا للأهمية البالغة التى يحتلها كتاب **الدولة اليهودية** فى الفكر الصهيونى عامة، نرى ضرورة دراسته، وتحليل مادته وتوضيح أهم عناصرها التى أثرت على تطور الصهيونية من مجرد فكرة فى عقول بعض الشخصيات اليهودية السابقة على ظهور "هرتسل" إلى فكرة عملية، يمكن تحقيقها بالعمل السياسى والمجهود الدبلوماسى كما توقع "هرتسل".

يقدم "هرتسل" لكتابه برأيه فى أن الفكرة التى يحاول تطويرها، وبلورتها فى كتابه فكرة قديمة فى التاريخ اليهودى وهذه الفكرة هى استرداد وإعادة بناء الدولة اليهودية وعلى حد تعبير "هرتسل"، أنه لم يكتشف شيئا جديدا لم يكن معروفا من قبل فى تاريخ اليهود فالوضع اليهودى الذى يحاول وضع علاج وحل نهائى له وضع قديم بدأ منذ فقدت الجماعة اليهودية دولتها القديمة، كما أن المادة التى يبنى عليها فكرته مادة ملموسة وموجودة فى الواقع اليهودى(٢٥) .

وعلى هذه الأسس فالفكرة التى يعرضها كما يقول "هرتسل" ليست فكرة خيالية، كما أنها لاتنتمى إلى تلك الأفكار المثالية، التى تظهر بين الحين والآخر فى الفكر الإنسانى .المحاولة كما يصفها "هرتسل" هى محاولة بناءة تعتمد على قوة دافعة لها وجود حقيقى فى الواقع، وهذه القوة الدافعة ذات الوجود الحى هى "مأساة اليهود "(٢٦) .

يعرب "هرتسل" أيضا فى مقدمة كتابه عن اعتقاده فى أنه قادر على إنجاز هذه الفكرة، على الرغم من اعترافه بأنه لايعرف الشكل الذى ستكون عليه الدولة اليهودية .

فالعالم فى رأى "هرتسل" فى حاجة إلى الدولة اليهودية، وإذا كان الأمر كذلك فلابد لهذه الدولة من الظهور ثم يؤكد "هرتسل" أن فكرة إنشاء الدولة اليهودية قد تكون فكرة غير مقبولة عقليا إذا ما قرر القيام بها فرد واحد، ولكن إذا اتفق اليهود عليها، فالفكرة ممكنة التحقيق، وإنجازها لا يمثل صعوبة كبيرة. وفى نهاية المقدمة يذكر "هرتسل" أنه مع نشر فكرته هذه وذيوعها بين اليهود، تكون رسالته قد انتهت ثم يطرح فى النهاية عددا من الأسئلة عما إذا كانت فكرته بعيدة عن الحقيقة أو إن كان هو شخصيا بفكرته هذه سابقا لزمانه، أم أن المأساة اليهودية ليست بالحدة التى يتصورها هو[٢٧] .

يتعرض "هرتسل" بعد ذلك فى الفصل الأول من الكتاب لمشكلة تمس طبيعة الحياة اليهودية، وهى مشكلة طالما أثارتها فى رأيه الجماعات المعادية للسامية، وهى أن الجماعة اليهودية فى كل مكان لاترغب فى العمل اليدوى، بل هى لاتصلح له .

ولهذا ادعى المعادون للسامية أن اليهود يعتمدون على الأمم التى يعيشون بينها فى كل شىء بابتعادهم عن العمل اليدوى الزراعى أو الصناعى ولهذا فهم، أى اليهود، يعيشون عالة على الأمم، وضيوفا عليها، وأنه إذا لم تكون هناك أمة مضيفة فسيموت اليهود جوعا .ولا يحاول "هرتسل" أن يدافع عن هذا الاتهام إذ لاجدوى من الدفاع فى رأيه، ولذلك فهو يقدم على عرض المشكلة كما يتصورها فيقول أن المشكلة اليهودية أثر من بقايا العصور الوسطى، وقد فشلت الأمم المتحضرة فى علاجها. وقد أثبتت هذه الأمم أنها قادرة بالفعل على علاج المشكلة اليهودية عندما حررت اليهود، بالطبع يشير هنا إلى مافعلته الثورة الفرنسية من تحريرها لليهود، ومنحهم لحق المواطنة .ولكن هذا التحرير الذى ناله اليهود لم يكن كافيا .فالمشكلة اليهودية لازالت قائمة، وأنها تظهر فى أى مكان يعيش فيه اليهود داخل أغلبية

كبيرة، وحتى فى المناطق التى لاتوجد بها المشكلة، فإنها تظـــهر بمجـرد قـدوم مهاجرين يهود جدد إليها[٢٨].

ويقول "هرتسل" أنه من الطبيعى أن ينجذب اليـــهود إلـــى الأمـــاكن التـــى لايتعرضون فيها للاضطهاد، وظهورهم فى هذه المناطق يبعث على الاضطـهاد أى أن اليهود يحملون معهم بذور الاضطهاد إلى أى مكان ينزلون به .ويعلق "هرتســل" على هذا الوضع قائلا "هذه هى حالتنا وسنظل على هذا فى كل مكان، حتى فى تلك البلاد المتحضرة كفرنسا مثلا، طالما أن المشكلة اليهودية لم تحل علـــى المســتوى السياسى، والآن يحمل اليهود التعساء بذور المعاداة للسامية إلـــى إنجلــترا .كمــا أدخلوها معهم إلى أمريكا"[٢٩].

المعاداة للسامية فى رأى "هرتسل" حركة شديدة التعقيد، ويدعى "هرتسل" أنـــه يفهم سر المعاداة للسامية .فهو يقول أنه يعالج حركة المعاداة للسامية كيهودى ولكــن دون خوف منها " أو كراهية لها .ويرى فى هذه الحركة عنــــاصر قاســية، منـــها التعصب الموروث، والمنافسة التجارية العامة، وعدم التسامح الدينى، إلـــى جــانب عنصر الدفاع عن النفس[٣٠] وهرتسل لا يعتبر المشكلة اليهودية مشكلة اجتماعية أو دينية، حتى وإن أخذت أحيانا هذا الطابع .بل المشكلة من وجهة نظره مشكلة قومية، ولكى تحل يجب إثباتها كمسألة سياسية دولية تناقشها وتعالجها أمم العالم المتحضرة .

والشعب اليهودى فى نظر "هرتسل" شعب واحد[٣١]، مهما اختلفت البلدان التى يعيش فيها، والنظم التى يتبعها .وهذا الشعب حاول أن يختلط بالمجتمعات القوميـــة التى عاش فيها، إلى جانب محاولته الحفاظ على تراثه اليهودى وديانته، ولكنه فشــل فى ذلك لأن الدول التى يعيش فيها لم تسمح له بذلك .ويقول "هرتسل" أنه من العبـث

أن يصبح اليهود وطنيين مطيعين لهذه الدول، ومن العبث أيضا أن يضحى اليهود بالحياة والعتاد من أجل هذه الدول، كما يفعل المواطنون ومن العبث أيضا أن يحاول اليهود الإسهام فى شهرة هذه البلاد، ورفع شأنها فى العلوم والفنون، أو فى إثرائها عن طريق التجارة ففى هذه البلاد يقول "هرتسل" يعامل اليهود معاملة الأجانب، فالأغلبية هى التى تقرر عادة من هو الأجنبى، وتحدد علاقتها به على أساس القوة التى تملكها ولذلك يقول "هرتسل" أنه من العبث أن يعلن اليهودى ولاءه لهذه الأمم، وطاعته لقوانينها[٣٢] .

ثم ينتقل "هرتسل" لمناقشة موضوع الاضطهاد، والذى يتعرض له اليهود، فيذكر أن الاضطهاد والقهر لن يتمكنا من القضاء على اليهود، فبعد كل فترة اضطهاد يعود اليهودى أقوى منه قبل الاضطهاد وبعد عصر التحرير ارتفعت مكانة بعض اليهود ماديا وفكريا، وينتج عن ذلك أن فقدت هذه الجماعة شعورها بالوحدة مع أبناء دينهم ومعنى هذا أن الأمن السياسى يعرض اليهودى لخطر الاندماج وفقدان شعوره القومى، وهذا الخطر يمس فى المقام الأول الشخصية اليهودية فيعرضها للضياع فالاندماج لايعنى فقط الاندماج المظهرى فى الثياب والطعام والعادات والتقاليد الاجتماعية، وفى الحديث، ولكنه يتسرب إلى أعمال الإنسان اليهودى، فيغير سلوكه ويبعده عن تراثه والاندماج أيضا لايعنى انتهاء المشكلة، فهرتسل يعتقد أن مظاهر التعصب القديمة ضد اليهود لازالت موجودة، رغم مجىء عصر التحرر وهذه المظاهر لها جذورها القوية فى الحكمة الشعبية وفى الأدب الشعبى حيث يعتبر هما هرتسل محملين بكثير من أشكال المعاداة للسامية .

والدولة اليهودية التى يدعو إليها "هرتسل" سوف لاتضر، على حد قوله، بمن تم اندماجهم من اليهود الذين يخشون على أموالهم، وحقوقهم التى اكتسبوها فى

البلاد التى اندمجوا فيها ويطمئن هرتسل هؤلاء المندمجين من اليهود بأن إنشاء الدولة اليهودية سيكون فى صالحهم، حتى إذا لم يهاجروا إليها، وذلك لأنهم سوف يجدون ملاذا لهم فى أى وقت يتعرضون فيه للخطر، أو يفقدون فيه الأمان فى البلاد التى يعيشون فيها(٣٣).

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يعتقد "هرتسل" أن المعاداة للسامية ستنتهى من هذه الدول بمجرد قيام الدولة اليهودية، وذلك لأن الدولة سوف لاتشعر بالحاجة إلى اضطهاد اليهود ومن هنا سيكون فى استطاعة اليهود الذين قرروا البقاء فى بلادهم الاندماج فى يسر، بل إن اندماجهم السريع سيسهل بدوره اختفاء المعاداة للسامية ورحيل اليهود إلى الدولة الجديدة سيكون له فى رأى هرتسل أكبر النفع والفائدة بالنسبة لليهود المندمجين، إذ سيريحهم هذا من منافسة الطبقة اليهودية العاملة المهاجرة من بلد لآخر بسبب الفقر أو الضغوط السياسية(٣٤).

فمع إنشاء الدولة اليهودية سيستقر هؤلاء اليهود، وان كانت الحكومات المسيحية ستحاول الضغط لمنع هجرة هؤلاء، إلا أن المواطنين اليهود المندمجين أو القابلين للاندماج لن يمنعوا هجرتهم وذلك لأنهم أول من يحس بمنافسة هؤلاء اليهود، لأنهم يشتركون معهم فى دوائر العمل، وبالتالى فهم أول من يريد التخلص منهم، حتى يخلو لهم جو العمل، والكسب من ناحية، ويخففوا من حدة المعاداة للسامية من ناحية أخرى .

ويواصل "هرتسل" هذا التحليل لموقف الجماعة اليهودية المندمجة فيتهمهم بأنهم من العوامل المساعدة على تقوية المعاداة للسامية، بل والعمل على بعثها فى المناطق التى لاتوجد بها ويعتبر "هرتسل" هذا سرا من أسرار اليهودى المندمج، ويظهر هذا بوضوح فى الأعمال الخيرية التى يتولاها المندمجون، فهم يقومون بتنظيم هجرة اليهود القادمين إلى البلاد التى يعيشون فيها فمعظم الجمعيات اليهودية

الخيرية أنشأها هؤلاء المندمجون لهدف أساسى، وهو العمل على تـــهجير اليـــهود الجدد إلى أماكن أخرى ويرى "هرتسل" أن هدف هذه الجمعيات مضـــاد لمصلحـــة اليهودى المضطهد، ويستنتج هرتسل من ذلك أن كثيرين من المعادين للسامية هـــم من أصل يهودى يتسترون خلف ستائر العمل الخيرى، للعمل على عـــدم اســـتقرار اليهود المضطهدين فى بلادهم[٣٥] .

أما عن محاولات الاستيطان السابقة، فيحكم عليها "هرتسل" بالفشل وإن كانت مفيدة كتجربة سابقة على فكرة إنشاء الدولة اليهودية، ويجب دراسة هذه المحـــاولات للاستفادة من أخطائها حتى يمكن تفاديها عند القيام بمشروع الدولة الجديدة، ومـــن الأضرار التى تسببت فيها هذه المحاولات الاستيطانية الأولى أنها زرعـــت بـــذور المعاداة للسامية فى مناطق جديدة عن طريق تهجير بعض اليهود إليها .هـــذا إلـــى جانب أنها أثارت الشكوك بين اليهود حول القدرة على العمل اليدوى، ففشل عمليات الاستيطان معناه عدم قدرة الجماعة اليهودية على القيام بالأعمال اليدوية الشاقة التى تساعد على الاستيطان والاستقرار[٣٦] .

هذا بالإضافة إلى أنه ليس فى استطاعة أى إنسان، مهما كان ثـــراؤه، وثقلـــه السياسى أن ينقل شعبا بأسره من موطن إلى آخر، لأنه لايملك القوه على فعل هـــذا فالقوة على مثل هذا العمل كامنة فى فكرة الدولة وليس فى مجرد الاستيطان غـــير المنظم المرتبط بفكرة أو أيديولوجية معينة .

ويخاطب "هرتسل" المشاعر اليهودية فيستخدم التاريخ، والـــتراث اليـــهودى لإثارة الحماس لدى الجماعات اليهودية فيقول أن اليهود قد حملوا حلم الدولة خـــلال تاريخهم الطويل، ويستخدم شعار "العام القادم فى أورشليم" للدلالة على هذا الحلـــم الذى طال انتظار تحقيقه وقد آن الأوان على حد تعبير "هرتسل" أن يتحـــول هـــذا الحلم الغامض إلى فكرة واضحة براقة ثم يطمئن الذين سيقررون الذهاب إلى الدولة

الجديدة بأن خروجهم " سوف لايكون خروجا من الحضارة إلى الصحراء بل سيكون خروجهم فى إطار الحضارة : "سوف لانعيش فى أكواخ من طين، بل سنبنى بيوتا حديثة وجميلة ... ولن نترك منزلنا القديم حتى يكون المنزل الجديد جاهزا "(٣٧).

ثم ينظم "هرتسل" عملية الهجرة الدولة الجديدة، فيضع لها الخطة التالية : أن يرحل أولاً من اليهود من يريدون تحسين أوضاعهم ومستقبلهم، فيبدأ هرتسل بالمعدمين تماما من طبقات اليهود، ثم يليهم فى الهجرة الفقراء حتى يتمكن أفراد هاتين المجموعتين من ضمان حياة مستقرة، يتحسن فيها وضعهم كبديل لحياتهم البائسة فى المجتمعات التى يعيشون فيها ثم يسمح بعد ذلك بهجرة القادرين من اليهود وأخيرا فليهاجر من أثرياء اليهود من يريد فى المرحلة الأخيرة(٣٨).

وهدف هذه الخطة التى وضعها "هرتسل"للتهجير هو أن يرفع المعدمون والفقراء من مستواهم حتى تقترب المسافة بينهم وبين القادرين والأثرياء القادمين بعدهم وإذا ماتم الخروج على هذا الشكل التصاعدى ضاعت الفوارق بين الطبقات اليهودية أو تخفف حدتها على الأقل ولا يخفى أيضا أن أحد أهداف هذا الخروج التصاعدى هو قيام المعدمين والفقراء بالعمل اليدوى الشاق فى بداية عمل الاستيطان، حتى يستريح منها القادر أو الثرى الذى لاتجبره ظروفه المادية على القيام بمثل هذا العمل وبطبيعة الحال لم يذكر "هرتسل" شيئا عن هذا فى كتابه، ولكنه واضح من تصنيفه لطبقات اليهود على هذا الشكل .

بعد ذلك يتعرض "هرتسل" لأحوال الدول التى سيهاجر منها اليهود فيزعم أن رحيل اليهود من هذه الدول سوف لايعرضها لأى اضطراب اقتصادى، أو أزمات من أى نوع، بل يطمئن هذه الدول بأنها ستنتعش اقتصاديا بسبب رحيل اليهود، وستحدث هجرة داخلية حيث يقوم المواطنون المسيحيون باحتلال الأماكن التى

خلت بهجرة اليهود، ويتوقع "هرتسل" أن تتم هذه الهجرة الداخلية بطريقة منتظمة وتدريجيا حتى لاتحدث اضطرابا فى أحوال البلاد[٣٩]، وسيرتفع شأن المسيحيين فى هذه البلاد من الناحية الاقتصادية باحتلالهم للسوق التجارية التى سيتركها اليهود من ناحية، ثم بانتهاء المنافسة اليهودية لهم فى هذا القطاع من ناحية أخرى .

وإلى جانب هذا الانتعاش الاقتصادى ستنتهى المعاداة للسامية فى هذه البلاد بما تسببه من حين لآخر من اضطرابات داخلية، وسيترك اليهود هذه البلاد كأصدقاء مكرمين وإذا حدث أن عاد بعضهم إلى بلادهم السابقة فسيلقون معاملة كريمة كضيوف على هذه البلاد كما أن خروج الجماعات اليهودية سيكون خروجا منظما تنظيما جيدا، حتى لايحدث خروجهم المفاجىء ارتباكا للدول التى ستساعد من جانبها على تنفيذ عملية التهجير لما ستجنيه من فوائد كبيرة[٤٠] .

ويقترح "هرتسل" لتنفيذ فكرته إنشاء مؤسستين : الأولى أطلق عليها "مجتمع اليهود" والثانية "الشركة اليهودية"، ثم هناك هيئة ثالثة تتكون من "المجموعات المحلية" التى ستساعد بدورها فى تسهيل عملية التهجير من الأقاليم الموجودة بها. ويفضل هرتسل أن يبدأ بخلق "الشركة اليهودية" فى البداية، نظرا لأنها ستتكفل بتوفير الموارد المالية اللازمة لإنشاء "مجتمع اليهود"[٤١] .

وفى الفصل الثانى من كتاب "**الدولة اليهودية**" يناقش هرتسل المسألة اليهودية، فيصف الموقف اليهودى بالخطورة فاليهود فى رأيه مضطهدون فى كل مكان يعيشون به، وهم ممنوعون من تولى أى مناصب هامة فى جيوش الأمم التى يتبعونها أو فى أى مؤسسة عامة أو خاصة، والهجوم على اليهود يزداد يوما بعد يوم فى البرلمانات، وفى الصحافة، وفى الكنائس والمؤتمرات، وتختلف أنواع الاضطهاد ... باختلاف البلاد، واختلاف ظروفها السياسية واختلاف طبقاتها

الاجتماعية، ففى روسيا مثلا تدفع القوى اليهودية ضرائب خاصة، وفـى رومانيـا والنمسا تشتد العداء للسامية، والإرهاب ضد اليهود فى الحياة العامة وفى بـاريس لا يسمح لليهود بالاشتراك فى الدوائر الاجتماعية، ويستبعدون من النوادى وغيرها من الأنشطة العامة.

ثم يطرح "هرتسل" عددا من التساؤلات يوجهها إلى الجماعات اليهودية منها :

- أليس حقيقة أن وضع الطبقة الوسطى اليهودية أصبح مهددا للخطر ؟
- أليس حقا أن وضع الأطباء والمحامين والمدرسين وغيرهم من أصحاب المـهن من اليهود أصبح وضعا لايحتمل فى كثير من البلدان التى يعملون بها .
- أليس حقا أن الأثرياء منا أصبحوا موضع طمع العامة من الشعب[٤٢].

هذه الضغوط يرى "هرتسل" أنها موجودة فى كل مكان، وتسبب الاضطـراب والقلق بين الطبقات اليهودية الاقتصادية العليا، وتسبب اليأس للطبقة المتوسطة مـن اليهود وهكذا فكل الأوضاع التى نعيشها تؤدى بنا إلى نتيجة واحدة وهى ضـرورة الخروج.

أليس من واجبنا أن نرحل فى الحال، وإذا كان الأمـر كذلـك فكيـف يتـم الخروج؟ أم يجب أن نبقى على هذا الوضع ؟ وإذا بقينا فإلى متى ؟، وأمـا فيمـا يتعلق بالبقاء فهو مستحيل، فالدول التى نعيش بينها دول معادية للساميين وتكرهـهم كراهية صحيحة[٤٣].

ويستشهد "هرتسل" بالتاريخ فيذكر أن التاريخ يعيد نفسه، فأخطـاء العصـور الوسطى ترتكبها الآن أوربا ضد اليهود، ونحن اليهود من صنع الجيتو، ولا نستطيع أن نتخلص من هذه الصفة وقد دفعتنا أحوال العصر الوسيط إلى احتـلال المكانـة الأولى فى السلم الاقتصادى ،واستقرت الأموال فى يدنا، والآن يتكرر نفس الشـىء.

فاليهود مجبرون للمرة الثانية على العمل فى قرض الأموال، وذلك لعدم السماح لنـــا بالقيام بأى عمل آخر، واليهود مكروهون لهذا السبب، بل وينظر إليـــهم المجتمـــع بعين الاحتقار والمتعلمون المثقفون من اليهود أصبحوا اشتراكيين، وسيؤدى هذا إلى أن يصبح اليهودى فى دائرة الصراع الطبقى .لأن موقفـــه يجعلـــه وســـطا ببيـــن المعسكرين الرأسمالى والاشتراكى[٤٤] .

وعن المحاولات السابقة لحل المشكلة اليهودية يذكر "هرتسل" أنـــها كـــانت محاولات فاشلة ومن هذه المحاولات الفاشلة توطين اليهود أو تحويلهم إلـــى زراع فى البلاد التى هجروا اليها، ويتساءل "هرتسل" ما الذى سيتم على أثر تهجير بعـض آلاف من اليهود الى بلد آخر ؟ فهؤلاء إما أنهم سيكونون معدميـــن تمامـــا، أو إذا حدث وانتعشوا اقتصاديا فإن رخاءهم يعرضهم لأخطار المعاداة للسامية[٤٥] .

وهذه المحاولات وغيرها لاتقدم العلاج للمشكلة اليهودية، بـــل هـــى وســـيلة لتأجيل العلاج الحقيقى ." هذا بالإضافة إلى أن هؤلاء الذين يحاولون تحويل اليـــهود إلى فلاحين يرتكبون فاحشا، فالفلاح لايمكن صنعه، إذ أن الفلاح من صنع الماضى، كما نرى فى ملابسه وأدواته وعاداته، وتقاليده .هذا إلى جانب أن الفلاح فى ســـبيله إلى الانقراض كنموذج، إذ أن المشكلة الزراعية ستعالجها فى المســـتقبل الميكنـــة الزراعية، وتصبح الحاجة إلى الفلاح التقليدى نادرة، ولهذا فخلق فلاحين جدد علـــى النمط التقليدى القديم أمر غير مقبول عقليا، إذ ليس من بيننا من لديه القدرة المادية، والقوة على العودة بالحضارة خطوة واحدة إلى الوراء"[٤٦] .

هذه الوسائل التى اتخذت لعلاج المشكلة اليهودية وسائل سطحية لا تناســـب عمق المشكلة فظاهرة المعاداة للسامية لا يمكن التغلب عليها، إلا بالقضـــاء علـــى أسبابها ولكن هل هذا ممكن ؟ وبعد أن يطرح "هرتسل" هذا السؤال يناقش أســـباب

المعاداة للسامية فيقول : إنه لايريد مناقشة الأسباب غير العقلية لهذه الظاهرة، كالتعصب وضيق الأفق، ولكنه يناقش الأسباب السياسية والاقتصادية .

وفى رأى "هرتسل" لا يجب الخلط بين المعاداة للسامية فى شكلها المعاصر واضطهاد اليهود فى الماضي .فالمعاداة للسامية فى العصر الحاضر ليست لأسباب دينية، وان اتخذت هذا الشكل فى بعض البلاد .فكراهية اليهود اليوم تختلف عنها فى الماضى، فهى الآن نتيجة مباشرة لتحرير اليهود[٤٧] . ويقول هرتسل : "أنه عندما حررتنا الشعوب المتحضرة جاءت هذه الحرية فى وقت متأخر، فأخذت الحرية مظهرا خارجيا فقط، ولم نتحرر من الداخل .فقد نشأنا وتطورنا فى الجيتو الى طبقة بورجوازية، وخرجنا من الجيتو لننافس الطبقة الوسطى، وهكذا وجدنا أنفسنا نواجه ضغطا من الداخل والخارج .أما البورجوازى المسيحى، فقد أعتبرنا قربانا يتقرب به إلى الاشتراكية .

ومن ناحية أخرى يزعم " هرتسل" أن الحقوق التى حصل عليها اليهود على أثر تحررهم ومساواتهم لايمكن الرجوع فيها، فذلك مناف لروح العصر .إلى جانب أن رفض هذه الحقوق يجعل الحكومات الأوروبية تعتبر اليهود من العناصر المتمردة أو الرافضة داخل بنيانها، " وهذا يعرضنا، غنينا وفقيرنا، للخطر .وقد أختلف الوضع الآن، ففى الماضى كانت الحكومات تستطيع أن تسلبنا أموالنا ومجوهراتنا، أما الآن فثروتنا كلها أوراق بنكنوت محفوظة فى بنوك العالم، وهذا يجعل من الصعب على الحكومات أن تستولى عليها، وحتى إذا استولت الحكومات على أسهمنا وودائعنا عن طريق فرض الضرائب الباهظة عليها .فأن ذلك لن يؤدى فقط إلى الأضرار بأحوال اليهود، ولكنها ستضر الأموال المسيحية أيضا كما أن هذا يمكن أن يؤدى إلى أزمة اقتصادية تؤثر على المسيحيين واليهود على السواء .هذا

الوضع وهو استحالة الأضرار برأس المال اليهودى يغذى ويعمق كراهية الشعوب لليهود فى العصر الحالى"[٤٨] .

ومن أسباب المعاداة للسامية أن اليهودى فقد القدرة على الاندماج مع الشعوب وكان هذا من نتائج الحياة فى العصور الوسطى وقد استمر هذا فى العصر الحالى ولم تفلح المساواة فى القضاء على هذه المشكلة فالمساواة لم تقض على المعاداة للسامية وإن أفادت اليهود فى أنها وحدت الجماعات اليهودية فى مشاعرها. وجعلت من اليهود شعبا واحدا لديه القوة والقدرة على خلق دولة نموذجية فنحن نملك الموارد المادية والبشرية الكافية للقيام بهذه المحاولة"[٤٩] .

ويصف "هرتسل" خطته لإنشاء هذه الدولة بأنها خطة ممكنة، وتنفيذها أمر غير مستحيل، " خاصة إذا استطعنا إقناع الحكومات المعادية للسامية بمساعدتنا فى تحقيق هدفنا، وسيقوم بتنفيذ هذه الخطة المؤسستان السابق ذكرهما "مجتمع اليهود" و"الشركة اليهودية" وستكون الشركة اليهودية الوكالة التى ستتولى إدارة شؤون اليهود المهاجرين، وسوف تقوم بتنظيم الأعمال فى الدولة الجديدة، ويقول "هرتسل": أنه لايجب أن نتصور الخروج اليهودى على أنه خروج فجائى بل هو خروج تدريجى سيأخذ عددا من السنين"[٥٠] .

فسيذهب اليهودى الفقير أولا ليزرع الأرض، ويشيد الطرق، ويبنى الكبارى والسكك الحديدية وينظم الرى وسيؤدى عملهم هذا إلى خلق التجارة التى ستخلق بدورها الأسواق التجارية، التى ستجذب إليها المهاجرين الجدد وهؤلاء سيذهبون طواعية وعلى حسابهم الخاص، متحملين المسؤولية كلها، وسيجد هؤلاء أن العمل الزراعى له قيمته، فيرغبون فيه ويتخذونه عملا لهم .

وتأسيس دولة فى العصر الحاضر يختلف فى رأى هرتسل عنه فى الماضى. فمن الحماقة أن نتمسك بالأساليب القديمة لكى نبنى الدولة الحديثة ويقول " هرتسل" "لنفرض مثلا أننا اضطررنا إلى إخلاء بلد ما من الحيوانات المتوحشة فلا يجب أن ننفذ هذه المهمة بالطريقة التى اتبعها الأوربيون لا يجب أن نأخذ رمحا وحربة، ونذهب فرادى بحثا عن الذئاب بل يجب أن ننظم فرقة صيد عظيمة وكبيرة لنطرد الحيوانات مرة واحدة ونلقى بقنبلة فى وسطها"[٥١].

أما المبانى التى سنشيدها فيجب أن تكون عصرية وقوية لأننا نملك الآن الوسائل التى تمكنا من ذلك .

يتخذ "هرتسل" من رسالته هذه بداية لإرساء قواعد المناقشة العامة التى يجب أن تسير عليها المداولات الخاصة بعلاج المشكلة اليهودية فاليهود الذين يوافقون على فكرة الدولة اليهودية، يجب أن يعلنوا انضمامهم إلى " مجتمع اليهود"، لكى تأخذ هذه المؤسسات صفة رسمية، ويكون لها الحق فى أن تتحدث بأسم اليهود، ولها سلطة كافية لكى تتعامل مع الحكومات بالنيابة عن الشعب اليهودى وهذه المؤسسة ستكون القوة التى ستخلق الدولة اليهودية، واعتراف الدول بـ "مجتمع اليهود" هو فى حد ذاته اعتراف بالدولة اليهودية وهو يعنى بالفعل خلق هذه الدولة.

وإذا أبدت القوى الكبرى رغبتها فى منح اليهود السيادة المستقلة على أرض محايدة فعلى "مجتمع اليهود" أن يدخل فى المفاوضات المباشرة لامتلاك هذه الأرض.

وبالنسبة لهذه الأرض التى يتحدث عنها "هرتسل" فهو يذكر إقليمين بالذات تمت فيهما بعض تجارب الاستيطان، وهما فلسطين والأرجنتين وهو يعلل فشل هذه التجارب فيهما بأنها اعتمدت خطأ على مبدأ التسلل التدريجى لجماعات من اليهود.

فالتسلل كما يقول "هرتسل" نهايته دائما سيئة، فسيأتى الوقت الذى تكتشف فيه الحكومات هذا النهج فتضع نهاية للتسلل، استجابة منها لضغط المواطنين الذين سيشعرون بالخطر من جانب الجماعات اليهودية المتسللة .

" الهجرة إذن لا جدوى منها إلا إذا تمت على أساس الاستقلال الممنوح، والأرض التى تقترحها القوى الكبرى ويتعامل "مجتمع اليهود" مع السلطات الموجودة حاليا فى الإقليم المقترح، ويكون هذا التعامل تحت اشراف القوى الأوربية وبمعرفتها، ويمكننا أن نقدم للسلطات الحالية امتيازات كثيرة، فخلق الدولة اليهودية لاشك فيه فائدة كبيرة للأقاليم المجاورة، لأن زراعة وتعمير قطاع من ارض سيرفع من قيمة القطاعات المحيطة بها".

وأيهما أفضل كوطن لليهود : فلسطين أم الأرجنتين ؟ يضع هرتسل هذا السؤال ويجيب عليه بقوله أن "مجتمع اليهود" سيقبل أى إقليم يمنح له، ويفضله الرأى العام اليهودى والأرجنتين من أعظم بلاد العالم خصوبة، وتمتد على مساحة شاسعة من الأرض، وليست عامرة جدا بالسكان، كما أن لها مناخاً معتدلاً وسيكون من المهم لحكومة الأرجنتين أن تتنازل لنا عن جزء من أراضيها ولاشك أن تسلل اليهود إلى الأرجنتين قد سبب فى الوقت الحالى بعض القلق لدى حكومة الأرجنتين وشعبها. ومن الضرورى توضيح الأمر، وإقناع الحكومة الأرجنتينية بالاختلاف الجوهرى بين حركة التسلل السابقة وبين الهجرة الجديدة لليهود"[٥٢] .

أما فلسطين فيقول عنها هرتسل : إنها وطننا التاريخى الذى لاينسى وإذا وافق جلالة السلطان على إعطائنا فلسطين، نستطيع فى مقابل ذلك أن نتولى الإدارة التامة لشؤون تركيا المالية، ويمكننا أن نكون فى فلسطين حائطا دفاعيا لأوربا فى آسيا، ونقطة حضارية وسط البربرية، وكدولة يجب أن نبقى على اتصال بأوربا

التى يجب أن تضمن وجودنا .أما الأماكن المسيحية المقدسة فمن الممكن أن توضع تحت أى شكل يتفق عليه من الحماية الدولة، أو الإشراف الدولى[٥٣].

وفى خاتمة الكتاب يعلق هرتسل على النتائج التى وصل إليها بقوله أن اليهود فى دولتهم سيكون لهم أعداء، شأنهم فى ذلك شأن كل الأمم .ولكن إذا تم استقرار اليهود فى أراضيهم فلن يتعرضوا للشتات مرة أخرى، ولن يبعث من جديد عالم المنفى إلا إذا دمرت الحضارة الإنسانية .ولكن عالم اليوم عالم متحضر له من القوة مايمكنه من الدفاع عن نفسه، والاعتراضات على هذا المشروع كثيرة تماما، كما أن الوقحاء من الناس أكثر عددا من النبلاء فى هذا العالم .لقد حاولت الرد على أفكار بعض المتعصبين وضيقى الأفق، ومن يسير خلف العلم بنجومه السبعة يجب أن يساعد فى حملة التنوير .فالمعركة ستبدأ ضد الأشرار قصيرى النظر من اليهود"[٥٤].

" والآن قد يبدو هذا كله كحلم، وحتى فى أحسن الظروف قد تمر سنين عديدة قبل أن يبدأ تأسيس الدولة .وإذا بدأنا تنفيذ هذه الخطة فستنتهى المعاداة للسامية فى الحال وفى كل مكان .وبأنشاء الشركة اليهودية سيأتى العون من أقصى الأرض، وسيجد المثقفون منا مكانا لهم فى منظماتنا – كأساتذة وموظفين إداريين وأطباء ومحامين وضباط، وستقدم الصلوات فى المعابد والكنائس على السواء" .

" إنه الخلاص من العبء القديم الذى قاسى منه الجميع، ودعنى أكرر الكلمات التى أفتتحمت بها رسالتى : أن اليهود الذين يريدون هذه الدولة سيحصلون عليها، وسيتحرر العالم بحريتنا ، ويثرى بثرائنا، ويعظم بعظمتنا، وما نحاوله هنا لخيرنا سيكون فيه الخير للإنسانية كلها "[٥٥].

٣- تحليل لصهيونية هرتسل السياسية :

ومن هذا العرض التفصيلى لكتاب الدولة اليهودية يتضح الأثر الـذى تركـه فكر "ليوبنسكر" على آراء "هرتسل" فقد اعتبر كلاهما ظـاهرة المعـاداة للسـامية الأساس الأول للمشكلة اليهودية، ولذلك لاعلاج لهذه المشكلة فـى رأيـهما بـدون استئصال أسباب المعاداة للسامية فالشعب اليهودى شعب غريب بين الشـعوب ولا يمكنهم الاندماج التام فى حياة هذه الشعوب، والتى بدورها لن تسمح لهم بالاندماج. ويتفق بنسكر وهرتسل على ضرورة اتحاد يهود العالم وتنظيـم قواهـم البشـرية ومواردهم المادية، والاستفادة من القوى الأوربية لتحقيق فكـرة الدولـة اليهوديـة كعلاج وحيد للمعاداة للسامية .

ويبدو "هرتسل" أكثر تفاؤلا من "بنسكر"، فهو، أى هرتسل، لم يذهب إلى حـد اعتبار المعاداة للسامية خللا عقليا، أو مرضا نفسيا كما اعتقد بنسكر ولكنه اعتـبر المعاداة للسامية تعبيرا عن شعور طبيعى له منطقه، وأسبابه المقبوله عقليـا، بـل يذهب هرتسل إلى أبعد من هذا باعتباره أن المعاداة للسامية ليست كل نتائجها سلبية على الإطلاق ولكنها من جانب آخر ساعدت على توحيد المشاعر اليهوديـة، بـل وتوحيد اليهود كشعب يعانى فى رأيه من مشكلة عامة ومشتركة .

وقد اعتقد "هرتسل" أن القوى الكبرى يجب أن تعمل من جانبها على مساعدة اليهود فى التخلص من العداء للسامية عن طريق إنشاء دولة يتم تهجير اليهود إليـها فيتحقق لهذه الدول الخلاص من العنصر اليهودى، وتنتهى بذلك ظـاهرة المعـاداة للسامية .

وفى هذا يختلف أيضا "هرتسل" عن "بنسكر" الذى لم يكن يطمع فى أكثر مـن موافقة العالم غير اليهودى على إنشاء الدولة التى اعتقد أن تنفيذها يعتمـد أساسـا على جهود اليهود الذاتية، وتوجيه كل طاقاتهم فى هذا السبيل .

أما هرتسل فقد عبر عن اعتقاده فى أن الأمم الغربية ستعمل مع اليهود على خلق الدولة اليهودية، وأن خلق هذه الدولة سيعود بالخير على الأمم الغربية، بل على العالم كله، وربما يعود الاختلاف فى الروح التى عمل بها بنسكر وهرتسل من أجل تحقيق فكرة الدولة إلى اختلاف نشأة كل منهما، وتجاربه الذاتية.

فقد نشأ "هرتسل" متأثرا بأفكار الحرية والمساواة التى سادت العالم الغربى، بينما عاش "بنسكر" وسط المذابح اليهودية فى روسيا فلم يشعر بما شعر به هرتسل من حرية .ولهذا كان فكر بنسكر بداية لخيط فكرى متشائم فى الأدب الصهيونى، ويقابل تفكير بنسكر المتشائم نظرية "هرتسل" التى رأت فى الصهيونية علاجًا لمشكلة التوتر بين الإنسان اليهودى والعالم .وقد صاغ هرتسل نظريته فى شكل عقلانى، ومنطق يلائم العقل الغربى، فكل الناس فى رأى هرتسل عقلاء حتى الذين يكرهون اليهود من بينهم .ولأنهم عقلاء فسيقومون بعمل ماهو فى صالحهم. والمعاداة للسامية تسبب اضطراب السلام فى أوربا، ولذلك فالدول الغربية يهمها أن يستتب الأمن والسلام، وستعمل على تحقيقهما بالقضاء على المعاداة للسامية .ولهذا ففكرة الصهيونية فكرة معقولة، وسيقبلها العقل الأوربى ويعمل على تنفيذها لما فيها من تحقيق لمصالحه .

وهكذا يجعل هرتسل المعاداة للسامية مشكلة العالم الغربى، وليست فقط مشكلة خاصة باليهود .وقد وضح هرتسل هذا الرأى فى المؤتمر الصهيونى الأول الذى انعقد فى "بازل" ١٨٩٧م. ففى هذا المؤتمر صرح "هرتسل" بأن المشكلة اليهودية هى مأساة الحكومات الأوربية .فإذا اتخذت الحكومات الأوربية جانب اليهود ضد إرادة شعوبها فقد تتسبب فى إثارة هذه الشعوب ضد حكوماتها، وإذا وقفت الحكومات ضد اليهود فربما تتسبب فى إحداث أزمة اقتصادية لنفسها، وذلك بسبب النفوذ اليهودى فى الدوائر المالية العالمية .وإذا حدث أن أخذت الحكومات

موقفا محايدا بين شعوبها واليهود فان اليهود يجدون أنفسهم بدون حماية من الحكومة، مما قد يؤدى بهم إلى الثورة والتمرد، أو على الأقل الوقوع فى قبضة المناهضين للحكومات[٥٦] .

وهكذا يصور "هرتسل" الموقف وكأنه مشكلة عسيرة بالنسبة للأمم الأوربية، والمخرج الوحيد منها هو بتأييد الصهيونية[٥٧] . الصهيونية إذن، وحسب هذا المنطق، تعمل من أجل السلام والوفاق بين الشعوب وحكوماتها .

والخيوط العامة التى تتحكم فى فكر "هرتسل" والتى على أساسها قامت صهيونيته السياسية بل والتى أصبحت أساسا فيما بعد للصهيونية السياسية عامة، يمكن تلخيصها فى النقاط التالية :

أولا : أن تحرير اليهود فى المجتمع الأوربى كان خطأ جسيما وعملا فاشلا. وقد عبر هرتسل عن هذا الرأى فى خطابه إلى بسمارك الذى نص فيه على أنه كان من أكبر الأخطاء التى وقع فيها المجتمع الأوربى منحه لليهودى كل حقوق المواطن ومساواته بالمواطن الأوربى فتحرير اليهود لم يكن ليتم بهذه الطريقة الفجائية. وكان من الواجب أن تمنح هذه الحرية للإنسان اليهودى تدريجيا، حتى يتم اندماجه فى المجتمع الأوربى فى سهولة ويسر[٥٨] . ويعنى هذا أن "هرتسل" لم يكن معترضا فى بداية الأمر على سياسة الاندماج ولكن تفكيره السياسى دفعه إلى الاعتقاد فى أن هذا الاندماج لايحقق حرية الإنسان اليهودى .

ففقدان الشخصية اليهودية فى المجتمع الأوربى ليس تحررا فى نظره، هذا فى الوقت الذى نجده فى خطاب آخر إلى " البابا ليو" الثالث عشر يعرض على البابا فكرة حل المشكلة اليهودية عن طريق التحويل الجماعى لليهود إلى المسيحية حيث تقول إحدى فقرات الخطاب وعلى لسان "هرتسل" : "ساعدنى ضد المعادين للسامية

وأعدك بأن أقود حركة ضخمة حرة وكريمة لتحويل كل اليهود إلى المسـيحية"[٥٩].
ولاشك أن هذا التناقض الواضح فى فكر "هرتسل" تناقض مقصود، فهو سمة مـن سمات الدبلوماسية التى اتبعها هرتسل لإقناع الاطراف المختلفة بالمشكلة اليهوديـة واستعداده لقبول أى حل لها، مهما كان متطرفا، وهو يعلم تماما أن مايعد به لايمكن تحقيقه وهكذا نجده يخاطب "بسمارك" بلغة تخالف تماما اللغة التى يخـاطب بـها البابا، وهى بدورها تختلف عن حديثه مع السلطان التركى .

**ثانيا :** يؤكد هرتسل فى كثير من كتاباته على فكرة ارتباط كرامـة الأمـة، وتكاملها الأخلاقى بالقوة فاليهود فى نظره جماعة مهانة لاكرامة لـها ولاشـرف لانهم جماعة بلا قوة سياسية، وهذه الفكرة هى من تـأثير الأيديولوجيـة القوميـة الألمانية على هرتسل وقد طور هرتسل فكرة أن الأمة التى لاتملك القوة هى أمـة بلا روح، وبدون حياة روحية[٦١].

وقد انسجم هذا الرأى مع فكرة الصهيونى السياسى، مع أنها لم تجد قبولا لدى أصحاب الصهيونية الروحية من اليهود، وبخاصة " آحادهاعم" الذى اعتقد أن الفكـر الروحى والحضارى هو الأساس الأول لقوة الأمة، وهـو المصـدر الأول للقـوة السياسية[٦١]. وهكذا يستخدم "هرتسل" فكرة القوة بمعناها القومى الألمانى، ويطبقـها على الوضع اليهودى فقد اعتقد أنه بدون القوة لن يكون هنـاك حـل لمـا أسـماه بالمشكلة اليهودية، وبدون إنشاء وطن لليهود لن يكون فـى اسـتطاعتهم اسـترداد كرامتهم، وهو فى هذا الشأن متأثر بالفكر القومى الألمانى الذى يركز على القـوة كمبدأ أول لحل بقية مشاكل الأمة.

والسبب الأول لضياع شخصية اليهودى وكرامته هو تحرير اليهود، فالخروج من الجيتو كان بالنسبة لهرتسل إعلانا بالتخلى عن الروح القومية اليهودية. فالجيتو

مجتمع يهودى منعزل تماما عن المجتمع الأوربى، يتمتع فيه اليهود بإدارة شـــؤون حياتهم فهو أشبه بالدولة داخل الدولة وقد احتفظ الإنسان اليهودى داخـــل الجيتـــو بتراثه وثقافته، وإحساسه بيهوديته .

ثم جاء التحرير ليعلن خروج اليهودى من الجيتـــو، وتعـــريض شـــخصيته للضياع فى المجتمع الكبير، ولهذا نظر يهود روسيا وأوربا الشرقية عامة إلى يـــهود الغرب الذين قبلوا التحرر على أنهم " عبيد فى حرية ". وقد التقط "آحادهاعم" هـــذا الرأى، وأكد عليه فى كتاباته، فيهود أوربا المتحررون هم، فى رأيه، يهود أحـــرار فى عبودية[٦٢]. وقد تكررت فكرة العبودية الجوانية فى الأدب الصهيونى أكثر مـــن نصف قرن، وقد غفل زعماء الصهيونية عن أن اليهود اختـــاروا الحيـــاة خـــارج الجيتو، وفضلوا الحياة كأفراد أحرار فى مجتمع حر على النمـــط الغربـــى عندمـــا أتيحت لهم الفرصة، ورفض معظمهم الحياة المغلقة داخل أسوار الجيتو وعلى نمـــط العصور الوسطى .

**ثالثا :** أن العنصر اليهودى فى أى مجتمع من المجتمعـــات عنصـــر مثـــير للاضطراب والتمرد داخل المجتمع الأوربي[٦٣]. وهذا أمر يتعلق بطبيعة اليـــهودى، فهو بطبيعته لايستطيع الحياة مع الشعوب الأخرى، وإن عاش فلكى يكون عنصـــرا مدمرا لقوة هذه الشعوب، ومحرضا على الثورة وقلب الأوضاع وقد استند هرتســـل الى هذا الرأى فى مراسلاته مع ملوك وحكام أوربا، فقد صور لهم أن بقاء اليـــهود داخل المجتمعات التى يحكمونها ليس فى صالح هذه المجتمعات ولا فـــى صـــالح حكوماتها ولهذا يجب على هذه الحكومات تشجيع فكرة الصهيونية وإنشاء الوطـــن اليهودى حتى تتخلص هذه الحكومات من العناصر المناهضة لها .

رابعا : أبرز هرتسل أيضا فكرة الشعب اليهودى كشعب واحد(٦٤). وكان هذا افتراضا ضروريا، رغم أن الواقع اليهودى يوحى بعكس ذلك تماما ففكرة الدولة اليهودية لاقيمة لها إذا لم يكن هناك شعب متحد متجانس لإقامتها. وقد تأثر "هرتسل" فى فهمه لفكرة الشعب بالنظرية القومية الألمانية التي استندت إلى فكرة الشعب الألمانى ككائن عضوى، أو على الأصح ككائن بيولوجي(٦٥). وقد اقتبسها "هرتسل" لكى يؤكد التركيب العنصرى البيولوجى للجماعة اليهودية، ويخضع مفهوم الوحدة السياسية القومية لهذه الوحدة العضوية البيولوجية فهى كافية فى رأيه للتعبير عن العبقرية اليهودية فى طلبها للقوة والوحدة السياسية، كما كان الحال بالنسبة للألمان وكان هدف "هرتسل" البعيد هو الدلالة على أن اليهود عنصريا لا يمكنهم أن يكونوا جزءا من أى أمة أوربية، وإقناع الحكومات والشعوب الأوربية بمساعدة اليهود على تكوين أمة مستقلة بهم.

وهذا الرأى يتعارض مع فكر "هرتسل" فى مرحلته الأولى، وهى المرحلة الاندماجية فى حياته، حيث كان "هرتسل" من اليهود المندمجين الذين قبلوا الانضمام إلى المجتمع الأوربى، والحياة فيه كمواطنين ولم يكن "هرتسل" فى هذه المرحلة مهتما بالحياة اليهودية، أو متمسكا بأهداف التراث اليهودى، كما كان بعيدا كل البعد عن الجماعات اليهودية ومشاكلها، بل كان من المدافعين عن سياسة الاندماج وقد اعتقد أن جيلين من الحياة الحرة الخالية من تهديد المعاداة للسامية كفيلان بتحقيق الاندماج الذى يحقق للإنسان اليهودى فرصة تكوين شخصية يهودية جديدة هى شخصية اليهودى الأوربى الحديث المتحضر، بصرف النظر عن الشكل الحضارى الذى يتبعه فرنسيا كان أو ألمانيا أو غيره وكان من رأى "هرتسل" أيضا أنه فى ظل الاندماج يستطيع اليهودى أن يرتفع إلى مستوى التكامل الذاتى، والشعور الشخصي

بإنسانيته. ومن خلال الشخصية المتكاملة داخل المجتمع الأوربى يمكنه أن يحتفظ بتراثه الدينى ويمارسه.

تغيرت هذه الآراء وانتقل فكر "هرتسل" إلى مرحلة جديدة معبرة عن تغير طارىء فى شخصية هرتسل وحياته وربما كان السبب الأول فى هذا التغير هو التطرف الذى انساقت إليه القومية الألمانية، فقد أصبحت أكثر عنصرية، وغرقت فى بحر تمجيد الجنس الآرى، واعتبار الرابطة الدموية العماد الأول للشعور القومى فقد رأى "هرتسل" فشل جهود مثقفى اليهود فى الاندماج، رغم محاولاتهم الدائبة، فمع تطرف القومية الألمانية أصبح من الصعب على اليهودى أن يكون مواطنا ألمانيا بمعنى الكلمة وما كان من هرتسل وأمثاله من المندمجين سوى الانصراف عن فكرة الاندماج، وتطوير فكرة القومية اليهودية، التى اتخذت عند "هرتسل" شكلا قوميا ألمانيا والغريب أنه نفس الشكل الذى رفض أن يعيش تحت لوائه فالقومية التى دعا لها "هرتسل" تشبه فى كثير من مقوماتها القومية الرومانسية التى تمجد الشعب وتقدسه وقد عبر " مارتن بوبر" عن هذا الشعور القومى الرومانسى عند "هرتسل " بقوله : " أصبح الشعب بالنسبة لهرتسل مجتمعا من البشر، يكون وحدة واحدة لها خصائص تميزها عن بقية الجماعات وأن الشعب اليهودى له أفضلية مطلقة على كل الشعوب تشبه تماما ما ادعاه الشعب الألمانى لنفسه من فضائل وصفات لاتوجد فى غيره من الشعوب وهذه الأفضلية بالنسبة لليهود تتمثل فى أنهم شعب الله "[٦٦] وقد استخدم "هرتسل" نفس الاصطلاحات القومية التى استخدمها القوميون الرومانسيون الألمان، وبخاصة عبارة "الأرض والدم " وغيرها من العبارات الدالة على العبقرية الألمانية التى تحولت على يد القوميين الألمان إلى " عبقرية ميتافيزيقية ".

ويعلل أحد المفسرين اليهود للفكر الصهيوني بأن هذا التطرف اليهودى كان نوعا من الافتخار، أو الاعتزاز المجروح الذى دفع "هرتسل" إلى بعث الروح اليهودية، ومحاولة الاكتفاء الذاتى والاستغناء عن بقية الأمم. وهى فى رأى هذا المفسر آراء متطرفة غير عقلانية، ولايحكمها منطق، كما هو حال معظم الاتجاهات الرومانتيكية فى السياسة والأدب والفن فهى اتجاهات رافضة للنظام الكونى العالم، ورافضة لكل ماهو معقول ولاتقبل إلا الروح العنصرية الأصلية، وعبادة الشعب. وهذه الفلسفة تنطبق على كل الجماعات العنصرية(٦٧).

خامسا : يتفق "هرتسل" مع "المعادين للسامية" فى موقفهم من الجماعات اليهودية فى بلادهم، وهو يعتبر "المعاداة للسامية" تعبيرا طبيعيا عن الشعور الشعبى العام للأوربيين(٦٨). ومع ارتفاع شأن القومية الألمانية، اعتقد هذا الشعور القومى على الرابطة الدموية التى ربطت قديما بين القبائل القديمة، وجعلت منها عصبة واحدة وبنفس المنطق اعتبر "هرتسل" الجماعات اليهودية جماعة عنصرية، ولم ير عيبا فى هذا، ولهذا السبب فهو لم يعتبر المعاداة للسامية امتدادا لتعصب العصور الوسطى، أو وسيلة لكسب الشعور القومى، ولكنها فى رأيه تعبير أصيل عن مشاعر الشعوب الأوربية. إذ يقول : "المعادون للسامية على حق .. المعادون للسامية سيكونون أصدقاءنا الذين نعتمد عليهم، والدول المعادية للسامية ما هم إلا حلفاؤنا ".

وكانت هذه إحدى الحيل الدبلوماسية التى حاول بها "هرتسل" اكتساب تأييد الحكومات الأوربية وشعوبها وعلى الرغم من دبلوماسية هرتسل الفائقة، وقدرته على تحويل المسألة اليهودية إلى مسألة سياسية دولية، إلا أنه وقع فى بعض الأخطاء الجوهرية التى وصمت بها الصهيونية من بعد(٦٩). ففى محاولته التأكيد على منافع الصهيونية والفوائد التى ستجنيها الدول الأوربية من تأييدها أكد هرتسل بوعى أو بدون وعى على أن اليهود عنصر لايمكن الاطمئنان إليه ولذا فواجب

الشعوب الأوربية أن تتخلص من هذا العنصر بتأييدها فكرة إنشاء الوطن الخـــاص باليهود، ومع أن جهود هرتسل نجحت فى الحصول علـــى التـــأييد، إلا أن دعـــوة "هرتسل" عمقت الشعور الأوربى العام ضد اليهود، وقد تعرض كثير مـــن اليـــهود للضرر الناجم عن اعتراف "هرتسل" بأن اليهود عنصـــر شـــغب وتمـــرد داخـــل المجتمعات الأوربية، إلى جانب اعتراف "هرتسل" الضمنى بان اليهود هم المتسببون فى معظم الأزمات الاقتصادية التى تعرض لها العالم الغربى ولعل آخر الأخطـــار التى تعرضت لها الجماعة اليهودية بسبب رغبتها فـــى السـيطرة علـــى الحيـــاة الاقتصادية للمجتمع الأوربى ماحدث فى ألمانيا فى عصر "هتلر" الذى اضطر إلـــى تهجير وتشريد جماعات كبيرة من يهود بلاده وهكذا فبدلا من أن يعمل "هرتســـل" على التقريب بين اليهود والشعوب سعى إلى توسيع الهوة بيـــن الفريقيـــن، وقـــد عرضت هذه السياسة معظم اليهود الذين لم يهاجروا إلـــى فلســطين لكثـــير مـــن المضايقات ويرجع الخطأ الأول فى ذلك إلى " هرتسل " الـــذى عـــالج العنصريـــة بعنصرية أشد وأقوى.

# الفصل الثاني

## الصهيونية الروحية

### أولا : آحاد هاعم والصهيونية الروحية :

أهملت الصهيونية السياسية التي نادى بها "هرتسل" الجانب الروحى من الحياة اليهودية، بينما اهتمت بالبحث عن علاج سياسى دبلوماسى للمشكلة اليهودية .وقد أدى هذا التقصير في الفكر الصهيونى إلى ظهور دعوة صهيونية جديدة، أطلق عليها "الصهيونية الروحية" وقد دعا إليها المفكر الصهيونى "أشر جنزبرج" الذى اشتهر باسم "آحاد هاعم" (١٨٥٦-١٩٢٧)، والذى اهتم بالجانب الأخلاقى والثقافى في حركة بعث القومية اليهودية .وعلى الرغم من أن أفكار "آحاد هاعم" الصهيونية قد رفضت من جانب معظم التابعين للحركة الصهيونية، إلا أنها أثرت في عدد لابأس به من رواد الصهيونية، وبخاصة "حاييم ويزمان" الذى تبنى أفكار "آحاد هاعم" وأعطاها مكانا بارزا في فكره الصهيونى وكذلك مارتن بوبر ومورد خاى كابلان .

وفى الوقت الذى كانت فيه المشكلة اليهودية مشكلة سياسية في نظر "هرتسل"، قدم "آحاد هاعم " هذه المشكلة على أنها مشكلة حضارية روحية أخلاقية. ومن هنا اختلف الاثنان على كيفية عرض ومعالجة المشكلة، فاعتقد "آحاد هاعم" أن[1] اليهودية، وليس اليهود، هى التي يجب أن تكون محور التفكير القومى اليهودى. ولهذا فالمشكلة في نظره هى كيفية المحافظة على الروح اليهودية في العالم الحديث. وقد حذر "آحاد هاعم" من خروج اليهودى إلى العالم، واندماجه فيه، ففى ذلك ضياع الروح اليهودية، والتراث الحضارى اليهودى .ولكن كيف يواجه اليهودى العالم الجديد بمتغيراته ؟ وهل له أن يقبل الحياة المعاصرة بمفاهيمها التي لا تتفق في كثير من جوانبها مع التراث القديم ؟ وهنا يحاول "آحاد هاعم" تقديم حل يختلف عن حل "هرتسل" وهو التوفيق بين قيم الحضارة اليهودية، وقيم الحضارة العلمانية، وهى حضارة العالم الحديث[2] .

ولم يختلف "آحاد هاعم" عن "هرتسل" فقط في العلاج الذى قدمــــه للمشـــكلة اليهودية ولكن أيضا في وسيلة تحقيق هذا العلاج فوسيلة "هرتســـل" كـــانت العمـــل السياسى والدهاء الدبلوماسى، ولم يكن هذا العمل يناسب شـــخصية "آحـــاد هـــاعم" وفكره، فهو لم يكن يطمئن إلى عالم غير اليهود اطمئنان "هرتسل" إليه ولـــهذا لـــم يتخذ من الطريق السياسى منهجا له، بل حاول أن يجد حل المشكلة من داخل العـــالم اليهودى، ودون الاعتماد على العالم الخارجى ولم يكن هذا إلا عن طريـــق إحيـــاء الروح اليهودية من الداخل، وبعثها حضاريا وأخلاقيا، لكـــى يقـــاوم بـــها ضيـــاع الشخصية اليهودية في العالم المعاصر ولاشك أن تربية "آحاد هاعم" ونشـــأته فـــي الجيتو وبين يهود شرق أوربا أثرت على تطور فكره الصهيونى، وجعلته يختلـــف تماما، بل ويعارض صهيونية "هرتسل" بشدة فقد احتفظ "آحاد هاعم" بشعور أهـــل الجيتو، وهو شعور معاد للعالم الخارجى، بينما كان "هرتسل" يثق في هذا العالم الذى نشأ في أحضانه، واعتمد عليه كثيرا في تنفيذ برنامجه .

**آحاد هاعم والمركز الروحى :**

قدم "آحاد هاعم" فكرة المركز الروحى كإحدى الدعائم الرئيسية التـــي تقـــوم عليها صهيونيته، فهو يرى ضرورة أن يبنى اليهود لأنفسهم مركزا روحيا لقوميتهم في فلسطين فاليهود في رأيه قوم يشتركون في شعور قومى واحد، ولابد لهذا الشـــعور القومى المشتت من الاتحاد في مركز واحد يتجه إليه يهود العالم، ويحســـون فيـــه بوحدتهم الروحية ولهذا أطلق "آحادهاعم" على هذا المركز اسم "المركز الروحـــى" الذى سيؤدى إلى تقوية الشعور القومى في أرض الشتات، ويعيـــد إلـــى اليـــهودى استقلاله الفكرى واحترامه للنفس، كما سيعطى مضمونا قوميا أصيلا فـــيربط بيـــن يهود فلسطين ويهود الشتات[٣].

ويعترف "آحاد هاعم" أن فكرة المركز الروحى لليهود تعنى الرفض لفكـــرة العودة الكلية للجماعات اليهودية إلى فلسطين، وقد تعرض بسبب هذه الفكـــرة لنقـد شديد من جانب الصهاينة السياسيين فقد فهم هؤلاء دعوة "آحاد هاعم" علــــى أنــها تعنى أن اليهود لايحتاجون إلى الاستقرار المادى، وإنشاء المستعمرات الاســتيطانية أو العمل بالصناعة والتجارة وغيرهما من الأنشطة وقد اضطر "آحاد هاعم" إلـــى الدفاع عن فكرة المركز الروحى بقوله : أن الصفة الأولى لهذا المركز هى صفــة روحية تحدد وظيفته في العمل على بعث الروح اليهودية، ولكن هذا المركــز ككـل المراكز الحيوية يهتم بالمشاكل المادية، ويعمل على بناء نظام اقتصـــادى يناســبه. ولابد له من أن يحتاج إلى الزراعيين والعمال والحرفيين والتجار وغيرهم.

ووظيفة المركز الروحي الإشراف على كل هذه الأنشطة، والاطمئنان إلى أن النظام الاقتصادى للشعب اليهودى يجب أن يعتمد على الجانب الروحى، كما وضعه التراث اليهودى ففى هذا المركز سيظهر من جديد الإنسان اليهودى الأصيل حاخاما كان أو عالما أو مزارعا أو صاحب حرفة[٤] .

وفى رأى "آحاد هاعم" أن علاج المشكلة المادية ليس بالحصول على بيــــت يعيش فيه الإنسان اليهودى، ولكن برفع روحه المعنوية، وبعث إحساسه القومـــى .إذ لاينتظر أن يتم ذلك تلقائيا بعد الاستقرار والاستيطان في فلســـطين فالمســـتوطنات الزراعية مهما ارتفع عددها، وعظم شأنها، فهى لن تنقذ الروح اليهودية، ولن تجمــع شمل القوى اليهودية المشتتة في العالم ولذلك فاليهود في حاجة إلى مركـــز روحـــى يجتمعون حوله، وهو مركز روحى واحد يضم كل الأنشطة اليهودية الروحى منـــها والمادى[٥] .

وكان هدف "آحاد هاعم" من هذا أن الصهيونية لا يجب أن تحـــدد أهدافـــها بالعمل المادى على استيطان فلسطين، بل كان يرى ضرورة الجمـــع بيـــن هـــدف

الاستيطان وبناء المركز الروحى، ليكون مصدرا دائما للثقافة اليهودية، تتطور داخله العلوم والفنون والآداب، فترفع من المستوى الثقافى للشعب اليهودى[٦].
وطالب "آحاد هاعم" بإنشاء الأكاديميات الثقافية والتعليمية، فهذا في رأيه عمل عملاق ويفوق تأثيره على مايمكن أن يحدثه إنشاء مئة مستعمرة زراعية فهذه المستعمرات لن تحدث الثورة التي يتوقعها "آحاد هاعم" للحياة اليهودية عامة، وللجوانب الدينية والثقافية منها بشكل خاص[٧].

ويعترف "آحاد هاعم" بأن التطور الطبيعى لحياة الأمة يبدأ بالمراحل السفلى ويتدرج إلى المراحل العليا، ولهذا فالاهتمام الأول يجب أن يوجه إلى تأمين موقف الأمة الاقتصادى والسياسى ثم يتجه بعد ذلك إلى الجانب الروحى إلا أنه يعتقد أن هذا الموقف لاينطبق على وضع الأمة اليهودية، فهو يدعى أن الأمة اليهودية ليست أمة جديدة، ولكنها أمة قديمة صعدت السلم الحضارى من أسفله إلى أعلاه، ثم انقطع نموها الطبيعى وتوقف، وأصبحت الأمة اليهودية أمة معلقة في الهواء، وتحمل أثقالا حضارية لاتجد لها الأساس الصحى للتطور الحر، والنمو الطبيعى .

والآن بعد أن ظهر الأمل في بناء الحياة اليهودية من جديد، فهل يصح في رأى "آحاد هاعم" أن يهمل اليهود هذا التراث الثقافى، ويركزون على المصالح المادية. ورأى "آحاد هاعم" أن يهتم اليهود بالجانبين الثقافى والمادى من حياتهم، وأن يبنوا من القاع والقمة معا، لأن الوضع اليهودى ليس وضعا عاديا، ولهذا ليس من الضرورى أن يقتدى اليهود بغيرهم من الأمم في هذا الشأن، بل عليهم أن يتبعوا طريقتهم الخاصة، مهما بدت غريبة أو غير عادية في نظر الآخرين[٨].

وفى النهاية يعتقد "آحاد هاعم" أن على الصهيونية أن تحدد هدفها البعيد قبل أن تنغمس في تيارات السياسة والدبلوماسية، فتنسى الهدف الأهم وهو إحياء الروح

اليهودية ومن رأيه أيضا أن الجهود التي يبذلها الصهاينة السياسيون لتحسين الموقف السياسي والاقتصادى لليهود ليست من مهام الصهيونية كفكرة روحية، وأن هذا التحسن الاقتصادى والسياسي لن يغير الروح اليهودية وهو يرى أن أصحاب الصهيونية السياسية لايمكنهم الاهتمام بالجانب الروحي[٩]، طالما أنهم مهتمون بالجانب المادى البحت من حياة الأمة اليهودية، والذى قد تستفيد منه مجموعة قليلة من اليهود .أما العمل الثقافي الحضارى فستكون فائدته عامة لليهود جميعا، سواء في فلسطين أو خارجها، ولهذا لابد وأن يكون العمل الثقافي الروحي الأساس الأول للعمل الصهيوني حتى يتحرر الإنسان من العبودية الروحية[١٠].

**آحاد هاعم والمشكلة اليهودية :**

بعد أن انعقد المؤتمر الصهيوني الأول الذى حضره آحاد هاعم كتب أحاد هاعم مقالا عن الدولة اليهودية عبر فيه عن آرائه في هذه الدولة، وعن معارضته للتفكير الصهيوني السياسي الذى تزعمه "هرتسل" في هذا المؤتمر. وكان رأى "هرتسل" هو ضرورة الإسراع في اتخاذ الخطوات اللازمة لإنشاء الدولة اليهودية، فأوضاع اليهود في العالم تستوجب ضرورة البدء في مشروع الدولة.

ورأى "هرتسل" أيضا أن إقامة الدولة ربما كان أسرع وأيسر من فكرة استعمار فلسطين واستيطانها .وقد وافق أعضاء المؤتمر الصهيوني الأول على رأى "هرتسل" بينما اعتبر "آحاد هاعم" انتصار "هرتسل" في هذا المؤتمر انتصارا رخيصا إذ أن جمع الشتات اليهودى غير ممكن بالوسائل الطبيعية، وخلق الدولة اليهودية في رأيه أمر غير طبيعي .وآحاد هاعم لا ينكر أن عدد اليهود في فلسطين قد يزداد إلى أن تمتلىء الأرض ولكن على الرغم من هذا فستظل الغالبية العظمى من اليهود يعيشون خارج فلسطين مشتتين في الأقطار المختلفة .

ومن المستحيل في رأى "آحاد هاعم" جمع هذا الشتات مـــن أقطـــار الأرض المتعددة وحتى إذا كان إنشاء الدولة اليهودية لايعنى جمع الشتات اليهودى كله، بـــل استقرار جزء صغير من الشعب اليهودى في فلسطين، فكيف تعالج الدولة اليهوديـــة المشكلة المادية لكل اليهود في أرض المنفى وهنا يشكك "آحاد هـــاعم" فـــي قـــدرة الصهيونية السياسية على حل مشاكل اليهود المادية[١١]. وهذا يعنـــى فشـــل الفكـــر الصهيونى السياسى على المستويين المادى والروحى فالمشـــكلة علـــى المســـتوى المادى لن تنته بقيام الدولة اليهودية، وذلك لأن الموقف اليهودى يعتمد من الناحيـــة المادية على الأوضاع الاقتصادية للعالم الذى تعيش فيه الجماعات اليهودية.

ومن الناحية الروحية يرى "آحاد هاعم" أن المشكلة الروحية اليهودية تظـــهر في شكلين مختلفين فهناك مشكلة روحية شرقية، أى خاصة بيهود الشرق، وهنـــاك مشكلة روحية غربية خاصة بيهود الغرب[١٢]. ويرجع هذا الاختلاف إلى الاختـــلاف بين صهيونية يهود الشرق وصهيونية يهود الغرب ويتهم "آحـــاد هـــاعم" أعضـــاء المؤتمر الصهيونى الأول بأنهم عالجوا مشكلة اليهودى الغربـــى، وأهملـــوا يـــهود الشرق تماما، ويوضح هذا الاتهام الاتجاه العنصرى داخل الحركـــة الصهيونيـــة. ولاشك أن هذا قد ظهر بعد ذلك بوضوح في بناء المجتمع الإسرائيلى الحالى.

ثم يتعرض "آحاد هاعم" لتحليل موقف اليهودى الغربى فيقول أن هذا اليهودى الذى ترك حياة الجيتو، واندمج في الأغلبية المسيحية هو يهودى تعس لأنه عنصـــر غير مقبول بين الأغلبية المسيحية كما أنه لا يجد في حياة الجيتو ما يحقق آماله بعد أن تعود على الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية في المجتمع الكبير وهكذا لايجـــد هذا اليهودى التعس أمامه سوى الصهيونية[١٣]. ويشرح "آحاد هاعم" كيفية انجـــذاب اليهودى الغربى إلى الصهيونية بقوله: أنه عندما لايجد الإنسان اليهودى مكانه فـــي المجتمع الغربى، ولايستطيع من ناحية أخرى تحقيق رغباته في الجيتو، فهو يفكـــر

تلقائيا في الدولة اليهودية التي يستطيع فيها أن يحقق الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية المرغوب فيها، ويحقق بهذا الارتياح النفسى لمجرد التفكير في هذه الدولة وحاجة الإنسان اليهودى إلى هذه الدولة حاجة روحية. وذلك لأن الأوضاع المادية ليهود غرب أوربا أوضاع جيدة، ولهذا فحاجته إلى الدولة اليهودية تعبر عن رغبة روحية لا مادية[١٤].

أما الصهيونية التي اعتنقها يهود الشرق، فقد كانت في رأى "آحاد هاعم" تعبيرا عن حاجة مادية وروحية. فحالتهم المادية كانت حالة سيئة لاتقارن بوضع اليهودى الغربى، كما أن الجانب الروحى من مشكلتهم كان يخص اليهودية. ولذلك فهى مشكلة قومية، بينما كانت مشكلة فردية لدى يهود الغرب الذين نشأوا على التعليم والثقافة الأوربية وابتعدوا عن التراث اليهودى. وبالنسبة لليهودى الشرقى فقد كانت مشكلته أعصى على الحل، فهو لم يتعرض بمفرده لأضرار الخروج من الجيتو، ولكن اليهودية أيضا تعرضت معه للخطر. فاحتكاك اليهودية بالثقافة العلمانية أدى إلى ضرورة البحث عن وسائل جديدة للدفاع عن اليهودية ولأن الثقافة المعاصرة ثقافة قومية، فلامكان فيها لمن يريد أن يتخلى عن شخصيته الموروثة وتقاليده. وأصبحت اليهودية بهذا غير قادرة على التطوير من نفسها بطريقتها الخاصة والخطر الذى يراه "آحاد هاعم" أنه بمجرد خروج اليهودية من الجيتو فهى تنفصم إلى أكثر من يهودية لكل شخصيتها وحياتها المختلفة حسب اختلاف دول المنفى[١٥].

اليهودية إذن في خطر إذ يرى "آحاد هاعم" أن اليهودية لاتقبل حياة المنفى، بل تسعى إلى العودة إلى مايسميه "آحاد هاعم" بمركزها التاريخى حيث تتطور تطورا طبيعيا ولكى تحقق اليهودية هذا الهدف فهى لاتحتاج إلى دولة، بل تحتاج فقط إلى خلق الظروف القديمة التي عاشت فيها اليهودية[١٦]. وهكذا يعرض "آحاد هاعم" المشكلة على أنها ليست مشكلة اليهود، كما صورها الصهاينة السياسيون، ولكنها

مشكلة اليهودية والدولة التي يرى "آحاد هاعم" إمكانية إيجادها هي دولة يهودية لا دولة يهود ولهذا فالصهيونية السياسية في رأيه لاتشبع رغبة المهتمين باليهودية وقوتها الروحية، وهذه القوة الروحية عند "آحاد هاعم" هي التي ساعدت على بقاء الإنسان اليهودي .

ويحذر "آحاد هاعم" من فشل الأهداف السياسية، فيفقد اليهودي الأساس القديم بعد أن خسر الجديد ويتهم أصحاب الفكر السياسي من الصهاينة بأنهم بعيدون روحيا عن التراث اليهودي وهذا يعني ضياع اليهودية في الدولة التي تفكر الصهيونية السياسية في إنشائها، وذلك لأن أصحابها لايفهمون طبيعة اليهود ولايدركون قيمهم وستكون النتيجة أن الدولة التي يودون إقامتها ليست دولة يهودية لكن دولة يهود ألمان وفرنسيين وإنجليز .. ومثل هذه الدولة ستأتي بالموت والعار التام للشعب اليهودي، ولن تحصل هذه الدولة على القوة السياسية التي تمكنها من اكتساب احترام الجميع وهي بعيدة عن القوة الروحية، ولا تستمد أخلاقياتها من الأخلاق والثقافة اليهودية(١٧).

ومثل هذه الدولة ستعتمد على الحظ في استمرارها، مستفيدة من التغييرات السياسية ومثل هذه الدولة في رأى "آحاد هاعم" لن تمنح الإنسان اليهودي الشعور القومي الذي يجعله يقدر تراثه، ويحترم ثقافته اليهودية، وستصبح هذه الدولة دولة صغيرة لا أهمية لها، ولن يضيف وجودها مجدا إلى التاريخ اليهودي(١٨). أليس من الأفضل لهذا الشعب أن يختفي من على وجه الأرض خيرا من أن تصل به الحال إلى هذا المستوى؟(١٩).

# الفصل الثالث

## الصهيونية الدينية
## تاريخها وطبيعتها وعلاقتها بالصهيونية السياسية

١- نبذة تاريخية :

يشير مصطلح الصهيونية الدينية إلى الفكر الصهيوني الديني الذي نظر إلى الصهيونية على أنها حركة تسعى إلى إحياء التراث الديني اليهودي وإحياء اليهودية[١]. كما يسعى إلى تحقيق مفهوم الدولة اليهودية بالمعنى الديني، ونظرًا لأن اليهودية ديانة قومية فإن الصهيونية الدينية صهيونية عنصرية إثنية تقوم على أساس من الفكر الديني اليهودي الخاص بالعهد والاختيار والخلاص، وهي التي طورت العلاقة العنصرية بين الإله والشعب، وترجمت هذه العلاقة في صورة مادية لينتج في النهاية ثالوث الإله والأرض والشعب. فالدين اليهودي إذن هو أساس القومية اليهودية، والعقيدة اليهودية هي مصدر الفكر القومي. وهي تختلف في هذا عن الأشكال الأخرى للصهيونية التي إما أنها أنكرت الأساس الديني للقومية اليهودية أو اعتبرت الدين اليهودي مجرد عامل واحد من العوامل التي أدت إلى ظهور القومية، ويضيف عوامل أخرى منها التاريخ اليهودي والثقافة اليهودية[٢]. وتضفي الصهيونية الدينية على الشعب اليهودي نوعًا من القدسية وتنظر إلى الدين نظرة عضوية حلولية يتساوى فيها الشعب اليهودي مع الإله ويصبح الشعب في منزلة الإله لأن الإله حلٌ في الشعب، ولهذا يتصف الشعب اليهودي بصفة الوحدة العضوية التي أدت إلى التماسك العضوي على أساس ميتافيزيقي، وقد اتخذت الصهيونيات الأخرى أسسًا أخرى للوحدة العضوية منها العملية التاريخية أو العامل التاريخي الذي وحد اليهود مصيريًا، ومنها ما يسمى بروح الشعب، ومنها ما عبر عنه بن جوريون بالاختيار المتبادل فالإله اختار الشعب والشعب اختار الإله. كذا تقوم الصهيونية الدينية على أساس من فكرة التميز التي تعزل اليهود عن غير اليهود، فقد اتصل اليهود بغيرهم أو تم اندماجهم فيهم، وتعمق مفهوم الشعب اليهودي من خلال تركيز على فكرة الهوية اليهودية المحددة للمشروع الصهيوني

والتركيز على التميز اليهودي. وانطلاقًا من هذه الفكـــرة فالدولـــة التـــي تســـعى الصهيونية إلى إنشائها يجب أن تكون دولة يهود ودولة يهودية في نفـــس الوقـــت بحيث لا يسكن هذه الدولة إلا اليهود، وتكون اليهودية ديانة الدولة ولا تشاركها فـــي ذلك ديانة أخرى أو غير يهود.

وتهتم الصهيونية الدينية بالأمور المرتبطة بالطبيعة الدينية للدولة من حيـــث ديانة الدولة ولغتها ونوعية القوانين السائدة فيها، وعلاقة الدولة بالتراث اليـــهودي، وربط الدولة بيهود الخارج من خلال المشروعات الدينية والثقافية.

وتتقبل الصهيونية الدينية معظم الأفكار الصهيونية الأساسية بعـــد صبغـــها بالصبغة الدينية. وفي عام ١٩٠١م تولى الصهاينة الدينيون البرنامج الديني الـــذي أقره المؤتمر الصهيوني الخامس بتأسيس حركة دينية هدفها تثقيف اليـــهود ثقافـــة قومية تبرز التلاحم بين القومية والدين. وقد استجاب الصهاينـــة الدينيـــون لـــهذا البرنامج الثقافي القومي وطرحوا جانبًا بعض الأفكار الدينية التقليديـــة، وأعـــادوا صياغة بعض الأفكار مثل فكرة العودة التي تم تفسيرها بشكل يتفق مع متطلبـــات الاستيطان الصهيوني الذي كان يرفضه اليهود المتدينون. وفُسِّر الاستيطان تفســـيرًا دينيًا بمعنى أن الاستيطان مجرد عملية إعداد لقدوم المسيح المخلص. وتم تفســـير الفكرة القومية اليهودية بمعنى ديني يشير إلى كون اليهود أمة متميزة عن بقية الأمم لأن الإله هو مؤسس هذه الأمة. فهناك وحدة بين التوراة والأمة وأن هذه الوحـــدة تأخذ شكلها الكامل في فلسطين حيث تكتمل عناصر التوراة والشـــعب والأرض أو الإله والشعب والأرض.

وقد نشأ صراع بين الصهيونية الدينية والصهيونيات الأخرى وبخاصة مـــع الصهيونية السياسية ومع الاتجاهات العلمانية والصهيونية. وقد استمر النزاع حتـــى بعد قيام إسرائيل.

وقد أدت حرب ١٩٦٧م إلى غلبة الاتجاه الصهيوني الديني وانتشاره داخل النخبة الحاكمة في إسرائيل، وأصبحت الصهيونية الدينية أساس اليمين الصهيوني، وأصبح اليهود الأرثوذكس يمثلون قادة العمل الاستيطاني. وتسيطر المؤسسة الصهيونية الدينية على نسبة عالية من الجمهور من خلال سيطرتها على المدارس والمعاهد الدينية والمؤسسات المالية وحركة الاستيطان بالإضافة إلى مسئوليتها الدينية في الأمور الخاصة بالزواج والطلاق وشئون الدين.

وتمثل حركة مزراحي التجسيد الأساسي للفكر الصهيوني الديني وقد اتخذت شعارها الأساسي القائل بأن " أرض إسرائيل لشعب إسرائيل حسب شريعة توراة إسرائيل وشعار التوراة والعمل الذي يقضي على الصهيوني المتدين بتعلم الشريعة والعمل لإعادة بناء إسرائيل".

وفي عام ١٩٠٢م وكنتيجة من نتائج المؤتمر الصهيوني الأول قام الحاخام يعقوب راينس بتأسيس حزب ديني داخل المنظمة الصهيونية وذلك لمواجهة الجهود العلمانية اليهودية وبرنامجها الخاص بتنمية الوعي القومي اليهودي على أسس علمانية(٣).

وفي عام ١٩٠٣م عقدت حركة مزراحي أول مؤتمر خاص بها للاعتراض على قرارات مؤتمر منسك التي اعترفت بالصهيونية العلمانية.

وفي عام ١٩٠٤م عقدت الحركة أول مؤتمر عالمي وضعت فيه صياغة الحركة والذي طالب بالالتزام ببرنامج المؤتمر الصهيوني في بازل والتمسك بالتوراة وبمفهوم العودة إلى ما سمى بأرض الآباء ونشر الوعي الديني القومي. وفي عام ١٩٠٥م تم الاعتراف بحركة مزراحي كتنظيم مستقل داخل الحركة الصهيونية. ونقلت الحركة نشاطها إلى فلسطين وأنشأت أول مدينة دينية عام ١٩٠٨م. ونشطت الحركة بعد وعد بلفور في مجال الاستيطان وأسست دار

الحاخامية والمحاكم الدينية اليهودية. وأصبح للحركة منظمتها الاستيطانية وأقامت أول مستوطنة تعاونية عام ١٩٢٥م وأول مستوطنة جماعية ١٩٣٠م، وقد اندمج حزب مزراحي وحزب هابوعيل المزراحي وكونا حزبًا جديدًا تحت اسم حزب المفدال (الحزب الديني القومي). وقد شارك هذا الحزب منذ ١٩٦٧م في كل الحكومات الائتلافية في إسرائيل. وقد سيطرت على الحزب العناصر المطالبة بما يسمى أرض إسرائيل الكاملة وانضم هذا الحزب إلى الليكود عام ١٩٧٧م وأصبح الحزب القومي الديني عنصرًا أساسيًا في اليمين الديني في إسرائيل.

بالإضافة إلى حركة مزراحي تأسست في عام ١٩١٢م حركة دينية أخرى هي حركة أجودات يسرائيل التي عارضت في البداية الحركة الصهيونية ثم تعاونت معها منذ عام ١٩٣٧م. فقد قاومت هذه الحركة (التي ضمت الجماعات الدينية الأرثوذكسية في ألمانيا وبولندا وليتوانيا) النشاط الصهيوني السياسي الذي يسعى إلى تغيير الحياة اليهودية وطالبت الحركة بضرورة انفصال اليهود الأرثوذكس من غير اليهود الأرثوذكس حفاظًا على الطبيعة الدينية للحياة اليهودية.

أما برنامج حركة أجودات يسرائيل فهو توحيد اليهود حسب تعاليم التوراة. وفي عام ١٩١٩م أنشأت الحركة فرعًا في فلسطين وأخذت الحركة شكلاً عالميًا بداية من عام ١٩٢٧م حيث فتحت لها فروعًا في نيويورك ولندن والقدس. وقد عارضت الحركة عمليات الاستيطان في فلسطين واعتبرتها منافية لتعاليم اليهودية التي تقضي بأن جمع الشتات اليهودي عمل إلهي من خلال المسيح المخلص، وليس عملاً إنسانيًا كما فهمه الصهاينة السياسيون(٤).

وقد حدث تحول في فكر حركة أجودات يسرائيل، ففي عام ١٩٣٧م صرح زعماء هذه الجماعة بالاعتراف بوعد بلفور وبأنه يتفق مع " روح الوعد الإلهي بالخلاص ". ومنذ عام ...... بدأت عمليات استيطان تابعة لهذه الحركة التي وفقت

أوضاعها مع الصهيونية السياسية وانظم أعضاؤها إلى منظمة الهاجاناه وقبلت اتفاق بن جوريون الذي تم فيه التوفيق بين الصهيونية السياسية والصهيونية الدينية ونجحت الصهيونية السياسية في الحصول على تأييد الصهاينة المتدينين وانتهى الأمر إلى الاعتراف بالدولة والاشتراك في العملية السياسية مع الحفاظ على الأيديولوجية الدينية الرافضة شكليًا للدولة ومؤسساتها(٥).

وهناك حركات أخرى تنتمي إلى الصهيونية الدينية منها حركة ديجل هتوراه وحزب شاس وجماعة ناطوري كارتا. وهي تمثل استمرارية للسياسة المتمسكة بالدين كأساس للحياة في إسرائيل، ويصل الأمر مع بعضها إلى حد رفض الدولة على أساس ديني كما هو الحال مع الحركة الأخيرة التي لا تعترف حتى الآن بالصهيونية ومع ذلك تعيش داخل الدولة التي أنشأتها الصهيونية.

**٢- طبيعة الصهيونية الدينية :**

اختلفت الآراء حول تحديد طبيعة الحركة الصهيونية. فقد اعتقد فريق من أنصار الصهيونية أن حركتهم حركة دينية مرتبطة بالديانة اليهودية وتستمد أصولها من المصادر الدينية اليهودية الأساسية ممثلة في التوراة وبقية أسفار العهد القديم وأيضًا من التلمود. ويبرهنون على دينية الحركة الصهيونية من خلال ربطها ببعض المعتقدات اليهودية الواردة في هذه الكتب الدينية المقدسة عند اليهود. وقد تطرف بعض الصهاينة المتدينين فاعتبروا الصهيونية دينًا، وربطوا بينها وبين اليهودية في رباط عضوي جعلوا معه كل يهودي صهيونيًا حيث تم تحول الفكرة الصهيونية إلى فكرة دينية تشبه العقيدة أو المذهب الديني، وصبغوا الديانة اليهودية بصبغة قومية تلزم اليهودي بأن يكون صهيونيًا. وفي مقابل هذه الصهيونية الدينية تطور تيار صهيوني آخر اعتبر الصهيونية حركة سياسية قومية تنبع أساسًا من الواقع اليهودي السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وتأثرت زمن ظهورها

بالأوضاع اليهودية في أوربا خلال عصر القوميات حيث أدى ظهور القوميات الأوروبية إلى ضرورة تبلور الفكرة القومية اليهودية والاستفادة من الفكر القومي الأوربي في تطوير قومية يهودية اتخذت فيما بعد شكلاً سياسيًا نتج عنه ما سمى بالصهيونية السياسية التي حددت هدفها في النهاية في إنشاء وطن قومي لليهود. وقد وضع تيودور هرتسل الإطار السياسي للصهيونية، ووضع خطة إنشاء الدولة اليهودية وبدأ في السعي لتحقيق هذا الهدف. وكان المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧م هو نقطة الانطلاق نحو تأسيس الدولة اليهودية حسب رؤية تيودور هرتسل السياسية.

وقد لعب الدين دورًا مهمًا في تشكيل الصهيونية الدينية والسياسية على السواء. فالصهيونية الدينية ارتبطت بالديانة واستمدت أفكارها من المصادر الدينية مباشرة. أما الصهيونية السياسية فعلى الرغم من التوجه السياسي فإنها اعتمدت على الدين اليهودي واستغلت بعض المفاهيم الدينية استغلالاً سياسيًا لإقناع الإنسان اليهودي بضرورة الصهيونية، ولتبرير قيام الصهيونية تبريرًا دينيًا يتناسب مع العقلية اليهودية المتمسكة بالدين، ولكي تضمن أيضًا تأييد الحركات الدينية اليهودية المختلفة التي توزع عليها يهود العالم وهي الحركة اليهودية الأرثوذكسية والمحافظة والإصلاحية. وكان من الضروري ربط الصهيونية السياسية بالتراث الديني اليهودي حتى تتقبلها الجماعات المنتمية إلى هذه الحركات الدينية اليهودية(٦).

وقد اعتمدت الصهيونية الدينية على مفاهيم العهد والاختيار والخلاص وفسرتها تفسيرًا صهيونيًا تم فيه الربط بين الصهيونية واليهودية. وبالنسبة لمفهوم العهد فهو العهد المقطوع بين الإله وجماعة بني إسرائيل والذي يقضي بوجود علاقة خاصة بين " إله إسرائيل " وبني إسرائيل. ويقضي هذا العهد بأن يتعهد الإله بعبادة بني إسرائيل هذا الإله الواحد ولا تعبد غيره من آلهة الأمم الأخرى، كما

يقضي بأن يتعهد الإله بحماية جماعته وتخليصها من أعدائها. وقد تمت ترجمة هذا العهد المقطوع بين الإله والشعب ترجمة قومية بأنه عهد بالأرض التي سميت لذلك بأرض العهد أو بأرض الميعاد. وتم تحديد هذه الأرض بواسطة الصهيونية الدينية حسب التحديد التوراتي وهي أنها الأرض الممتدة من الفرات إلى النيل. ولا تزال الصهيونية الدينية تؤمن بحرفية هذا التحديد. وقد تأثرت إسرائيل بهذا الفهم الصهيوني الديني فلم ترسم لنفسها حدودًا حتى الآن. ولم يتم وضع خريطة لإسرائيل أملاً في التوسع لتحقيق هذه الحدود التوراتية لأرض إسرائيل، ولقد ارتبط مفهوم العهد بمفهوم الاختيار الإلهي لبني إسرائيل فأصبح الإله إلهًا خاصًا اختار له جماعة خاصة ميزها على غيرها من بقية خلقه ودخل معها في هذا العهد بشروطه المعروفة.

واعتمدت الصهيونية الدينية أيضًا على مفهوم الخلاص وفسرته تفسيرًا صهيونيًا وحولته من عقيدة دينية إلى عقيدة صهيونية قومية. ففكرة الخلاص والمسيح المخلص في أصلها فكرة دينية غيبية حشرية حيث اعتقد اليهود في قدوم مسيح مخلص في نهاية الأيام يدخل بالجماعة اليهودية في المستقبل في عصر جديد هو عصر الخلاص ليحقق قيام مملكة الله ويعيد تأسيس المملكة. وتطورت فكرة الخلاص في عصر السبي البابلي حيث اعتقد في جمع الشتات تحت زعامة قائد أو بطل من ذرية داود ووصف بأنه مسيح الرب المختار لتحقيق الخلاص اليهودي وتأسيس مملكة الله. وتجسدت فكرة الخلاص في شخص مسيح مخلص يضع نهاية لاضطهاد اليهود وللمنفى، وبدأت فكرة الخلاص تأخذ بعدًا سياسيًا قوميًا بعد أن كانت مجرد عقيدة دينية. وكلما مرت الجماعة اليهودية بأزمة في تاريخها تزدهر الآمال المسيحانية أي الآمال في قدوم المخلص. وازداد هذا حدة مع نهاية كل مائة عام ومع نهاية كل ألفية وبداية ألفية جديدة. وقد أدى هذا إلى ظهور مسحاء كذبة

يدعون أنهم المسيح المخلص ثم سرعان ما يظهر كذبهم وتفشل دعواهم. وانتشوت ظاهرة المسيح الدجال في أوقات الاضطهاد والأزمات التي مر بها اليهود عبر التاريخ.

وقد استغلت الصهيونية الدينية فكرة المسيح المخلص لإقناع اليهود بأن الصهيونية امتداد لليهودية ومحققة للخلاص الذي تحدثت عنه المصادر الدينية اليهودية. وتم تقديم الصهيونية على أنها محققة للخلاص القومي لليهود، وأنها ستضع نهاية لحياة النفي والاضطهاد، وسيتم جمع الشتات اليهودي وتأسيس المملكة التي تحدثت عنها المصادر الدينية. وتم تعريف هدف الصهيونية الدينية بأنه هدف ديني حشري يتم الوصول إليه بالجهود السياسية والدبلوماسية. فالصهيونية مسئولة، من هذا المنطلق، عن تحقيق الخلاص وما يتبعه من أمن امتداداً للفكر الخلاصي اليهودي. ورمزًا لمفهوم " نهاية الزمان " وتحقيقًا للتحرر من حياة المنفى ونهاية للشتات والتجوال اليهودي، وبداية للاستقرار والاستيطان(٧).

ومن أجل إقناع اليهود اعتبرت الصهيونية نفسها امتداداً لليهودية وللفكر الخلاصي فيها ولكنها تستخدم وسائل سياسية لتحقيق الخلاص الذي يتم بواسطة الجماعة ككل وليس عن طريق مسيح مخلص. والصهيونية الدينية حسب هذا الفهم هي الحلقة الأخيرة في سلسلة الأحداث التاريخية التي بدأت بالسبي البابلي وتشريد اليهود، وتدمير الهيكل على يد البابليين ثم على يد الرومان والدخول في الشتات العام. والصهيونية الدينية مسئولة كذلك عن وضع نهاية لهذا الشتات وتحقيق خلاص اليهود بجمع شتاتهم في دولة.

### ٣- علاقة الصهيونية الدينية بالصهيونية السياسية :

تتضح هذه العلاقة منذ بداية الحركة الصهيونية حيث أثيرت تساؤلات عديدة حول طبيعة الحركة الصهيونية، واختلاف المذاهب الصهيونية حول هذه الطبيعة

وبخاصة الخلافات التي نشأت بين الصهاينة والحريديم المتشددين دينيًا والرافضين للصهيونية في نفس الوقت، والعلمانيين اليهود الذين اعتبروا الصهيونية حركة علمانية وليست دينية. وتطرق الخلاف أيضًا إلى علاقة الصهيونية بالديانة اليهودية بالنظر في مسألة هل الصهيونية حركة قومية نابعة من الدين اليهودي أم أن الدين اليهودي هو الذي تشكل بواسطة القومية اليهودية ؟

وفي تاريخ الحركة الصهيونية برزت عدة إشكاليات متعلقة بطبيعة الصهيونية الدينية وعلاقتها بالصهيونية السياسية العلمانية. ومن هذه الإشكاليات كون الصهيونية في أساسها حركة تمرد على التقاليد إلى حد اعتبار اليهودية التقليدية خصمًا أو عدوًا للصهيونية حيث أعتبر اليهود الأرثوذكس الصهيونية خطرًا يهدد اليهود واليهودية، وذلك لأن غالبية المفكرين الصهاينة أتوا من دوائر ثقافية يهودية علمانية، وأنهم كانوا من العلمانيين المعادين للدين والمتشككين في قدرة الديانة اليهودية على إدارة شئون اليهود وحل مشاكلهم مع العالم. فالصهيونية حسب هذه الرؤية ثورة على الزعامة الدينية التقليدية، وهي مشروع تجديدي للحياة اليهودية يدعو إلى الأخذ بالحداثة والمعاصرة وتغيير الاتجاه التاريخي لليهود. وكانت المشكلة الرئيسية لزعماء الصهيونية هي كيفية التعامل مع المؤسسة الدينية الأرثوذكسية بنفوذها الديني ومكانتها في العالم اليهودي(٨).

وتزيد مشكلة تحديد العلاقة بين الصهيونية والديانة اليهودية حدة بإعلان رجال الدين اليهود الأرثوذكس في بداية الحركة الصهيونية بأن الصهاينة مجموعة من الأشرار الذين يهدفون إلى القضاء على اليهودية واقتلاعها من جذورها، والسعي إلى خلق إنسان يهودي بدون التوراة، وأن الصهيونية خرجت على كل حدود التيارات الدينية في اليهودية التي ارتبطت بالتوراة رغم المطالب الإصلاحية

والتجديدية التي تبنتها. ويزعم أصحاب هذا الرأي من اليهود الأرثوذكس أن الصهيونية تدعو إلى يهودية بدون توراة[٩].

هناك إذن تناقض واضح في مصطلح " الصهيونية الدينية " لأن الصفة الدينية لا تتناسب مع الفكرة الصهيونية بأساسها العملي وبنظرتها المعادية للدين. ويؤكد المؤرخون للحركة الصهيونية على هذه العداوة التقليدية بين الصهيونية والفكر الديني اليهودي التقليدي، وفي هذا يشير جوزيف سولومون المتخصص في تاريخ الصهيونية الدينية إلى الجهود التي بذلها المعسكر الصهيوني والتنويري ضد المعسكر اليهودي الديني الأرثوذكسي وضد التيارات الدينية اليهودية الإصلاحية. فحسب رأيه نادى الصهاينة بالتجديد والإصلاح على النمط التنويري المضاد للاتجاه الأرثوذكسي. وهو نمط سعى إلى تطبيع الحياة اليهودية والخلاص الديني المرتبط بظهور المسيح المخلص حسب الرأي الديني الأرثوذكسي[١٠]. ويشير سولومون إلى الرسائل النقدية التي وجهها الحاخامات الأرثوذكس إلى بعض الجامعات الصهيونية التي هاجرت إلى فلسطين ويتهمونها بأنها دنست الرب والتوراة والأرض المقدسة بابتعادهم عن تعاليم الرب.

ومن ناحية أخرى كان التأييد الديني للصهيونية قد تم بصفتها حركة سياسية وليس بصفتها حركة دينية. فقد كان هناك تخوف لدى اليهود المتدينين من أن تكتسب الصهيونية صفات روحية وبخاصة في مسألة الخلاص. ولذلك لم تهتم الصهيونية بالقضايا الثقافية والدينية وظهر اتجاهان بين الدوائر الصهيونية : اتجاه يسعى إلى إقامة حركة تجمع كل التيارات اليهودية، وتيار آخر يسعى إلى جمع اليهود على مبدأ قومي بدلاً من المبدأ الديني. وطالب فريق من الصهاينة الثوريين بتغيير طبيعة الجماعة اليهودية وتحويلها من جماعة دينية إلى جماعة قومية. وتشير بعض المصادر اليهودية إلى أن مجموعة الحاخامات التي التقت بتيودور هرتسل

في المؤتمر الصهيوني الأول سعدوا بإعلان هرتسل أنه مجرد زعيم سياسي وليس المسيح المخلص وأنه لا يهتم بمراعاة التقاليد اليهودية في مسألة إنشاء ما سمى بالوطن القومي لليهود والاكتفاء باعتبار الدين أحمد مكونات الثقافة اليهودية التي هي ثقافة قومية وليست دينية(١١).

والجدير بالذكر أن بعض الجماعات اليهودية التقليدية طالبت بعدم تدخل الصهيونية في الشئون الدينية وأن تتولى فقط المسائل السياسية والاقتصادية وذلك خشية أن تدخل الصهيونية تعديلات على اليهودية أو أن تحاول الصهيونية أن تحل محل اليهودية. وقد نشأ صراع قديم حول مفهوم الثقافة بين المتدينين والعلمانيين داخل الحركة الصهيونية وقد انتهى هذا الخلاف حول مفهوم الثقافة إلى اعتبار الثقافة هي التعليم المرتبط باللغة العبرية وبالأدب العبري والتاريخ وبعيدة عن أمور الدين. وهذا التحديد لمفهوم الثقافة هو الذي أبقى المتدينين داخل حظيرة الصهيونية.

كل هذه كانت محاولات من جانب اليهود المتدينين لإبعاد الصهيونية عن العمل الديني، والتأكيد على أن الصهيونية ليست حركة خلاص دينية مرتبطة بالمسيح المخلص وأن الصهيونية لا تسعى إلى تحقيق " صهيون الدينية " بل "صهيون السياسة "(١٢).

ويلاحظ بطبيعة الحال هذا التوتر الشديد بين الصهيونية الدينية والصهيونية السياسية في تاريخ الحركة الصهيونية، وهو توتر يصل إلى حد الرغبة في تحديد الصهيونية داخل الإطار والعمل السياسي وبعيدًا عن شئون الدين والثقافة الدينية. ويعكس هذا الموقف تخوفًا يهوديًا دينيًا تقليديًا من أن تتحول الصهيونية إلى حركة دينية أو اتجاه ديني يؤثر بالسلب على الديانة اليهودية، ويصل هذا التأثير السلبي إلى حد التخوف من أن تحل الصهيونية الدينية محل الديانة اليهودية.

# الباب الرابع

## أزمة الصهيونية ومستقبلها



# الفصل الأول

## وضع الصهيونية بعد قيام إسرائيل

**أولاً : اتجاهات الرأي العام الإسرائيلي حول وضع الصهيونية :**

أجرى معهد ساميت للمجلس الصهيوني في إسرائيل استطلاعًا للرأي بين الشباب الإسرائيلي حول مكانة الصهيونية عندهم. وأتت نتيجة الاستطلاع مثيرة للدهشة والاستغراب بين الإسرائيليين أنفسهم. فقد أجاب ١٠% فقط من الذين اشتركوا في الاستطلاع بأنهم "صهاينة جدًا". وأجاب ٣٨% بأنهم " مجرد صهاينة " فحسب، بينما كانت إجابة ٣٥% من الشباب بأنهم " ليسوا صهاينة بما فيه الكفاية "، و ١٤% أجابوا بأنهم لا يعتبرون أنفسهم صهاينة[١].

وفي تحليل لهذا الاستطلاع أجرته جريدة معاريف بتاريخ ١٩٩٧/١٠/٢٧م ورد ما يلي: "إن الشعور بالانتماء إلى الصهيونية ضعيف جدًا بين أبناء إسرائيل الشبان حيث أن ٤٠% من الشباب المولود في إسرائيل وصفوا أنفسهم بأنهم ليسوا صهاينة، بينما وصف ٩٢% من المهاجرين القدامى أنفسهم بأنهم صهاينة[٢].

ومعنى هذا أن الصهيونية في إسرائيل يتبناها بشكل قوي المهاجرون إلى إسرائيل وليس الجيل المولود فيها. وتعليل ذلك أن الصهيونية خارج إسرائيل عادة ما تركز جهودها على اليهودي في الخارج وتحضه على الهجرة إلى إسرائيل، وتغذي فيه المبادئ الصهيونية بينما الشباب المولود في إسرائيل بعيد عن سلطة الصهيونية وضغوطها ولذلك فهو متهم في صهيونيته. ويقول التحليل أن هناك ظاهرة من القطيعة وعدم الانتماء تجاه المبادئ الصهيونية، وهي ظاهرة تسود بين الجماعات الشابة المنتمية إلى الأجيال الإسرائيلية التي تطلق على نفسها شعارات " جيل السلام " أو الجيل الكامل ". وهي جماعات تبتعد عن أفكار ومفاهيم "أرض إسرائيل " كما تروج لها الصهيونية.

ويرى أعضاء المجلس الصهيوني في إسرائيل أن بيانات هذا الاستطلاع فيها دليل قوي على وجود إحساس متزايد بالقطيعة والابتعاد عن الشعب اليهودي، وعدم الارتباط بالتعاليم اليهودية وبخاصة لأن ٧٠% من الشباب يرى أن دولة إسرائيل لمواطنيها، وأن الطابع اليهودي للدولة ليست له أهمية عندهم. ويرد المجلس الصهيوني هذه النتائج إلى فشل الجهاز التعليمي في إسرائيل في إعادة الصهيونية

كمفهوم يعتبرونه وثيق الصلة بدولة إسرائيل بينما تأتي إجابات الشباب لتؤكد على عدم الربط بين إسرائيل والصهيونية حيث قل التعاطف مع الصهيونية التي بدأت تواجه العديد من المشاكل بعد قيام إسرائيل(٣).

والمسألة هناك ليست جديدة فإن أشد قادة إسرائيل صهيونية وهو بن جوريون سيطر عليه هذا الشعور بعد الإعلان عن قيام الدولة فقد اعتبر بن جوريون قيام الدولة إعلاناً عن نهاية الصهيونية التي بدأها تيودور هرتسل. فقد ركب بن جوريون قطار الصهيونية ولكنه ترك الصهيونية بعد أن وصل هذا القطار إلى محطة الدولة. ويصف يوسف فريدلاندر قطار الصهيونية بأنه فقد الهدف والاتجاه وأصبح قطاراً قديمًا لا يواكب العصر(٤).

**ثانيًا : المؤتمر الصهيوني الثالث والثلاثون وأزمة الصهيونية :**

انعقد المؤتمر الصهيوني العالمي الثالث والثلاثون في شهر ديسمبر ١٩٩٧م وذلك في ظل مناخ يهودي يعتقد أن الصهيونية في أزمة بعد تقلص دورها في الحياة اليهودية، واعتقاد الكثيرين في أنها حققت أهدافها الرئيسية، ولم يعد لها دور حقيقي وبخاصة بعد قيام إسرائيل.

ولمواجهة هذه الأزمة اهتم المؤتمر الصهيوني الثالث والثلاثون بالتأكيد على استمرارية الحركة الصهيونية من ناحية، وضرورة تطوير عملها لكي تناسب الأوضاع اليهودية الجديدة التي تطورت بعد قيام الدولة. ومن أهم الأمور التي ناقشها المؤتمر في هذا الخصوص ما يلي:

١- توسيع صفوف المنظمة الصهيونية العالمية في ظل إطارها الحالي وهو إطار عالمي وتجديد الأطر الصهيونية وتطويرها وتعزيزها وتوسيعها في كافة البلاد. وتجنيد أعضاء المنظمة، واستحداث أنظمة التسجيل والعضوية في الحركة الصهيونية.

٢- الحفاظ على وضع المنظمة الصهيونية العالمية في ضوء استقلالية المنظمة كهيئة مستقلة وفي ضوء الأهداف المشتركة مع إسرائيل، واتخاذ الإجراءات اللازمة لاستمرار الوضع الخاص، للمنظمة وضمان أوضاعها وتجديد أنشطتها مع إسرائيل من خلال اللجنة المشتركة، وتأليف لجنة لدراسة التعديلات في دستور المنظمة الصهيونية العالمية وتقدم هذه اللجنة توصياتها وتقريرها إلى المجلس الصهيوني القادم.

٣- إنشاء دائرة جديدة للأنشطة الصهيونية من أجل تجديد الصهيونية في أنحاء العالم وتعمل وفقًا لبرنامج عمل " ملائم ليهود الشتات "، وتركز في عملها على دراسة إسرائيل من خلال الزيارات والبرامج التعليمية التي تعني بتوصيل الثقافة الإسرائيلية واللغة العبرية إلى جميع اليهود، وتعزز العلاقات بين الإسرائيليين والجاليات اليهودية في العالم، ومحاولة تضييق الهوة التي تفصل يهود إسرائيل عن يهود العالم. وتهتم الدائرة الجديدة بتطوير القيادة الصهيونية للشباب والطلبة، وإتاحة مواقع قيادية لهم في مجتمعاتهم.

**ومن أهم الأعمال التي ناقشها المؤتمر الصهيوني الثالث والثلاثون ما يلي :**

**أ – التعليم الصهيوني – اليهودي :**

التأكيد على دور التعليم الصهيوني اليهودي في مساعدة اليهود على الحفاظ على الهوية اليهودية والارتباط القوي بإسرائيل، وذلك من خلال التركيز في التعليم على المفاهيم والثقافة واللغة التي تربط اليهود وتقوي علاقاتهم وتحول دون عزلتهم. وقد نظر المؤتمر إلى مفهوم التعليم بالمعنى الواسع الذي يضم كل التيارات الدينية والروحية اليهودية. ولأهمية التعليم تم التأكيد على توفير الميزانيات الكافية لتغطية كل أشكال التعليم النظامي وغير النظامي في الأطر الاجتماعية والأكاديمية والحركية للأطفال والشباب، والعلوم التربوية مع إشراك الجميع في عملية التعليم بالاستفادة من الاكتشافات العلمية والعلوم التربوية والاجتماعية وعلوم الاتصال والحاسب الآلي. كما طالب المؤتمر بإعادة تأهيل التعليم الصهيوني اليهودي في إسرائيل وبين يهود العالم، وتعريف أبناء اليهود بتراثهم وثقافتهم اليهودية، وعقد زيارات تبادلية للأساتذة والمفكرين والطلاب بين إسرائيل والمراكز اليهودية في الخارج، وإقامة دورات وحلقات دراسية مشتركة في هذا الشأن(٥).

**ب – تشجيع الهجرة إلى إسرائيل من الغرب :**

من المعروف أهمية الهجرة بالنسبة للأيديولوجية الصهيونية ولذلك فقد أكد المؤتمر الثالث والثلاثون على إعطاء الهجرة والاستيعاب الأولوية القومية العليا، ومطالبة إسرائيل والوكالة اليهودية بضرورة توفير الموارد اللازمة للهجرة

وتهيئة الظروف للاستيعاب. وطالب المؤتمر بإصلاح مجال الهجرة والاستيعاب من خلال التخطيط الجيد لمصادر العمالة المتنوعة، وتبسيط إجراءات الاستثمار المـالي في إسرائيل، والتشجيع على المبادرات الاقتصادية، والارتقــاء بمســتوى الوعـي الإسرائيلي للاستيعاب، وتحسين صورة المهاجرين، وتعزيز الروابط بين المهاجرين القدامى والمهاجرين الجدد، والتركيز على هجرة الشباب والطلبة كمخزون محتمـل للهجــرة، والتسويق المدروس لبرامج الهجرة الطويلة الأجل، والحفاظ على نظــام الاستيعاب المباشر وتنويع وسائله لكي يلائم الفئات المختلفة من المهاجرين، وطالب المؤتمر إسرائيل بإيجاد حل مقبول لمشكلة التهود وذلــك لتأثيرهــا علــى حركــة الهجرة، والعمل على جذب الإسرائيليين المقيمين خارج إسرائيل، وتسهيل إجراءات الهجرة بشكل عام، ومنع الهجرة العكسية بكل الوسائل، ومراعاة التنــوع الثقــافي للمهاجرين، واحترام تنوع القيم الدينية والثقافية والتربوية، وتشجيع الهجرة المؤقتـة من الغرب، وتيسير سبل الإقامة المؤقتة في إسرائيل على سبيل التجريب من خلال البرامج الصيفية، وتبادل الطلاب، والتسجيل لبرامج المدارس المختلفة في إسرائيل، وتشجيع مشاريع الأعمال الصغيرة بين المهاجرين إلى إسرائيل للعمــل التجــاري، وتشجيع هجرة الأشخاص الأكبر سنًا، وتمكين العائلات الكبيرة من الــهجرة معًــا وإلى أماكن قريبة(٦).

**ج – دعم سياسة الاستيطان :**

أشاد المؤتمر الصهيوني بسياسة الاستيطان الإسرائيلية وبخاصة بعد مرور مائة عـام على المشروع الصهيوني وخمسين عامًا على قيام إسرائيل. وأعطــى المؤتمــر الأولويــة القصوى للحفاظ على المناطق الريفية في إسرائيل وعلى الطابع الريفي للمستوطنات. وطالب المؤتمر بضرورة حماية الأراضي عن طريق مؤسسة صهيونية مختصة بهذا الشأن(٧).

**د – إعداد برنامج عمل الوكالة اليهودية :**

طالب المؤتمر بدعم الوكالة اليهودية وتطوير عملها من خلال برنامج عمـل جديد يمكن الوكالة من ممارسة أنشطتها وبخاصة فــي مجــال الــهجرة، وتقديـم المساعدات إلى القطاعات الصيفية في إسرائيل(٨).

هـ- مصادر تمويل الحركة الصهيونية :

للمحافظة على استقلالية الحركة الصهيونية طالب المؤتمر بتدبير مصـــادر تمويــل الحركة الصهيونية حتى تتمكن من تحقيق عملية إعادة التنظيم والالتزام بالحفاظ على جمــع ممتلكات المنظمة العالمية، وجمع رسوم الاشتراك في برامج منظمة ودفع رسوم العضويـــة للمنتمين إلى الحركة الصهيونية داخل إسرائيل وخارجها.

و- دعم عمل المنظمة الصهيونية في دول الاتحاد السوفيتي المستقلة :

نظرًا لأن الجاليات اليهودية في الدول المستقلة عن الاتحاد السوفيتي الســابق تشكل ثاني أكبر جالية يهودية في العالم اهتم المؤتمر بتبني برامــج يهوديـــة إلـــى التنظيم الذاتي ليهود هذه الدول وذلك لأهميتهم الخاصة سابقًا في تأسيس الصهيونية وإسرائيل ومساهمة اليهود السوفييت في الصهيونية الحديثة. واعـــترف المؤتمــر بأهمية دمج اليهود والمؤسسات الصهيونية في هذه الـــدول بالمنظمـــة الصهيونيـــة العالمية، وضمان استمرار تمثيل يهود هذه الدول في المجلــس العــام الصـــهيوني وإعداد برامج دعم وتنمية المؤسسات الصهيونية فيها.

ز- مكافحة المعاداة للسامية :

اهتم المؤتمر الصهيوني الثالث والثلاثون بدعوة المؤسسات الصهيونية فـــي الخارج إلى المشاركة في جهود مكافحة الظواهر المعاديـــة للســامية، والتصـــدي للجهات والأشخاص الذين ينكرون أحداث النازي والمحرقة النازية بدعوى أن هــذه المكافحة تدعم الهوية اليهودية والتضامن مع إسرائيل.

ح- دعم التمثيل النسائي في المؤسسات الصهيونية وتعيين مستشارين بشأن أوضاع النساء.

٣- رد الفعل الصهيوني تجاه المؤتمر الصهيوني الثالث والثلاثين :

انعقد المؤتمر الصهيوني الثالث والثلاثون خلال شهر ديسمبر ١٩٩٧م فـــي ظل الأزمة التي تعاني منها الحركة الصهيونية بعد مرور مائة عام على تأسيســـها في المؤتمر الصهيوني الأول الذي انعقد في مدينة بازل بسويسرا عام ١٨٩٧م.

وتقف الحركة الصهيونية الآن على مفترق الطرق. فالتغيرات الكثيرة التـــي أجريت على الصهيونية قبل المؤتمر وخلاله تشير إلى بداية تقلص أهمية الحركـــة

ودخولها في أزمة شديدة لها تأثيرها على الاتجاه المستقبلي للصهيونية. فالمهام التي كانت ملقية على أكتاف الصهيونية في القرن الماضي انتقل الكثير منها إلى دولة إسرائيل مما أدى إلى تدهور الحركة الصهيونية. فالمسائل المرتبطة بالهجرة إلى إسرائيل وبالتعليم اليهودي أصبحت مسائل إسرائيلية تقوم بها الدولة واضمحل الدور الذي تقوم به الصهيونية. وقد تم إجراء تغيير هيكلي مهم في الجانب التعليمي وهو إلغاء قسم تعليم التوراة وثقافتها، وتم إنشاء هيئة تعليمية موحدة يشك الجميع في إمكانية نجاحها بسبب تدهور التعليم التوراتي الذي كان يحتل جزءاً كبيرًا من النشاط التعليمي بين اليهود في العالم وأصبح الآن يحتل مكانة هامشية.

وكرد فعل تجاه هذه التغيرات قرر المعسكر الصهيوني الديني إنشاء حركة يهودية عالمية مستقلة للتعليم اليهودي يواجه بها المخاطر التي تهدد التعليم الديني داخل إسرائيل وخارجها، واستعادة دور الصهيونية في المجال التعليمي من خلال إنشاء مركز عالمي للتعليم الديني التوراتي. وتدور الشكوك حول إمكانية نجاح هذا المركز في سد الفراغ التعليمي في مجال الدين. ومن أهم المشاكل التي سيواجهها هذا المركز مشكلة التمويل.

ويتفق الجميع على أن التغيرات الهيكلية في الحركة الصهيونية من شأنها إضعاف هذه الحركة وتحجيم دورها في حياة اليهود. ويرى فريق من المتعصبين للحركة أن دور الصهيونية في الحياة اليهودية لن يضعف وبخاصة إذا تفرغت هذه الحركة لمواجهة قضية الاندماج التي تبتلع في كل عام عدداً كبيرًا من اليهود في العالم. ويرمز إلى الاندماج بأنه الموت المفاجئ الذي تتعرض له الجماعات اليهودية في الخارج حيث يترك العديد من اليهود في أوروبا وأمريكا اليهودية وأساليب الحياة اليهودية مفضلين عليها العلمانية وأسلوب الحياة الغربي غير المرتبط بالدين.

ويعلق بعض الصهاينة المتطرفين بأن المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين قد طعن الصهيونية في مقتل من خلال التغييرات الهيكلية التي أجراها والتي تمثل خطرًا شديدًا على مستقبل الصهيونية بعد إتمامه مائة عام من عمرها وقبل دخولها القرن الحادي والعشرين.

# الفصل الثاني

## ما بعد الصهيونية ورؤية المؤرخين الجدد

تعرض المشروع الصهيوني في السنوات التالية لقيام إسرائيل إلى نقد يهودي من داخل المجتمع الإسرائيلي يرفض الوصاية الصهيونية التي حاولت المنظمة الصهيونية العالمية أن تفرضها على الدولة الإسرائيلية الناشئة. ووصل هذا النقد إلى حد طرح قضية مشروعية الصهيونية بعد قيام الدولة واعتبار أن الأيديولوجية الصهيونية انتهت بتحقيق هدفها وهو إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين. وبدأ المؤرخون الإسرائيليون يتحدثون عن " أزمة الصهيونية" ويعلن بعضهم " إفلاس الفكر الصهيوني "[1]. وفي الفترة الأخيرة بدأ الحديث عما يسمى بفترة "ما بعد الصهيونية " باعتبار الصهيونية مرحلة تاريخية منتهية، وأن المجتمع الإسرائيلي بدأ يدخل في مرحلة جديدة يطلق عليها مرحلة " ما بعد الصهيونية ". وقد أثار هؤلاء المؤرخون التساؤلات حول مستقبل المشروع الصهيوني، وهل هناك ضرورة لاستمرار الفكرة الصهيونية بعد قيام إسرائيل. ويتزعم هذا الاتجاه الناقد للصهيونية مجموعة من المثقفين الإسرائيليين من المؤرخين الجدد وعلماء الاجتماع والذين وصلت مناقشاتهم إلى حد التشكيك في مشروعية وجود إسرائيل ذاتها مركزين على التناقضات الدينية والأخلاقية الموروثة في المشروع الصهيوني، ويطالب هذا الفريق من العلماء بإعادة كتابة تاريخ الصهيونية وتاريخ إسرائيل من منظور تاريخي موضوعي نقدي، وفي ضوء ما تم الوقوع فيه صهيونيًا من عدوان واضطهاد ومظالم وقعت بالفلسطينيين وبالعرب عمومًا[2].

وقد ظهر هذا التوجه واضحًا في مناقشات المؤتمر الصهيوني الأخير الذي انعقد في القدس وهو المؤتمر الثالث والثلاثون. لقد انعقد المؤتمر في ظل هذه الأزمة التي تعاني منها الحركة الصهيونية. ومن المفارقات العجيبة أن التشكيك في قيمة الصهيونية ومصداقيتها يحدث في الوقت الذي يتم فيه الاحتفال بمرور مائة عام على قيام الحركة الصهيونية وعلى انعقاد أول مؤتمر صهيوني عام في سنة

١٨٩٧م، وأيضًا يتم فيه الاحتفال بمرور خمسين عامًا على قيام إسرائيل وهو أكبر منجزات الحركة الصهيونية على الإطلاق.

لقد انتهى المؤتمر الصهيوني الثالث والثلاثون إلـــى تقليــص دور الحركــة الصهيونية وأهميتها وطرح التساؤلات حول مستقبلها. واعتبر المؤتمـــر أن أهــم المهام التي قامت بها الحركة الصهيونية قد تمت ولم تعد تحتل المكانة الأولى التــي كانت عليها من قبل. فالمشروع الصهيوني الاستيطاني القائم على أساس من الهجرة قد تحقق. وما بقى من أطماع توسعية تحتاج إلى استيطان تقوم به إسرائيل الآن ولا يوجد دور حقيقي للصهيونية. وموضوع التعليم اليهودي، كمهمة صهيونية ثانية من حيث الأهمية لم يعد هو الآخر يحتل المكانة المناسبة في الحياة اليهودية. وقد اقترح في المؤتمر الصهيوني الأخير إلغاء قسم تعليم ثقافة التوراة واقتراح إنشـــاء هيئــة تعليمية بديلة للقيام بهذه المهمة مع وجود اعتقاد سائد في فشل هذه الهيئـــة وذلــك بسبب انحسار التعليم التوراتي بين اليهود في جميع أنحاء العالم حيث أصبح يحتــل مكانة هامشية في التعليم اليهودي، وكرد فعل لهذا الاتجاه قرر المعسكر الصـــهيوني اليهودي إنشاء حركة عالمية مستقلة للتعليم الديني هدفها الرفع من شأن اليهوديـــة الأصولية. ولا يزال البعض يدافع عن الصهيونية ويعتبرها الحركة الوحيدة القــادرة على مقاومة اندماج اليهود في المجتمعات الغربية. وينظر هذا الفريق إلى التعديلات الهيكلية التي أجراها المؤتمر الثالث والثلاثون على أنها تمثل خطرًا حقيقيًا مـــهددًا للصهيونية.

والحقيقة أن الهجوم على الصهيونية يأتي من كل اتجاه. فهناك هجـــوم مــن جانب المعسكر الديني القومي المتشدد الذي يستتر خلف قناع الصهيونية ذاتـــها ولا يرضى بما يعتبره تسامحًا من جانب الحركة الصهيونية، ويدعو إلى التشدد القومــي الديني، ويتهم الصهيونية بالتسامح في هذا الاتجاه. وهناك هجوم على الصهيونيـــة

يأتي من المعسكر الحريدي وهو معسكر ديني متشدد ولكنه رافض للصهيونية منذ البداية. أما الهجوم الأخير فيتولاه معسكر المؤرخين الذين يتحدثون عن عصر ما بعد الصهيونية.

وهذا الهجوم الأخير هجوم أكاديمي علمي يتزعمه فريق من العلماء والمثقفين والمؤرخين وتتميز هذه المجموعة من الأكاديميين برؤية ذاتية وثورية مستعدة لرفض كل ما هو صهيوني. وهم ينتمون ثقافيًا إلى الاتجاه الماركسي أو الماركسي الجديد، أو إلى تيار ما بعد الحداثة. وهم ينظرون إلى التاريخ من زاوية أنه مجموعة من الروايات ذات الطابع القصصي التي تعبر عن جماعات مختلفة لم يتحدث عنها التاريخ الرسمي، وعلى المؤرخ أن يأخذ بهذه الروايات ولا يكتفي بالشهادات أو الوثائق التي يمكن أن يتطرق الشك إلي مصداقيتها أو أن يكون قد تم تحديدها بشكل فردي أو عن طريق الصفوة[٣].

ويرغب هؤلاء المؤرخون الجدد وعلماء الاجتماع النقديين في أن تتحول إسرائيل إلى دولة عادية ليس لها ارتباط خاص أو رسمي بيهود الخارج. ويطالبون بتغيير قانون العودة باعتباره قانونًا ينطوي على الظلم ويضر بحقوق عرب فلسطين. وجدير بالذكر أن هناك تيارًا بين مؤرخي ما بعد الصهيونية لا يعترف بالشرعية الصهيونية ويرفض الممارسات الوحشية التي ارتكبت ضد العرب. ويبرز من بينهم بني موريس الذي يركز في دراساته على المظالم التي وقعت بالعرب على يد الصهيونية مثل عمليات الطرد وتدمير القرى العربية، ويرفض التاريخ الإسرائيلي الرسمي، ويطالب بالنظر من جديد في الروايات الخاصة بحرب ١٩٤٨ وعمليات مصادرة الأراضي التي تمت عقب قيام الدولة، وتقييم أحداث الماضي الصهيوني في ضوء الحقائق الجديدة التي تمليها الوثائق الخاصة بأرشيف الدولة قبل ثلاثين عامًا والتي تثبت وقوع المذابح بالفلسطينيين، وحدوث معاناة فلسطينية

كبيرة، وعمليات طرد جماعية للسكان، وهدم قراهم ومصادرة الأراضي.

ويثير المؤرخون الجدد قضية غياب الأخلاق في المشروع الصهيوني ويرون أن إسرائيل وُلدت وهي منغمسة في الخطيئة. ويعتبر هــؤلاء المؤرخــون الجــدد القومية اليهودية اختراعًا صهيونيًا، ويتهمون المؤرخين وعلماء الاجتماع الصهاينــة بأنهم مجندون، وأن الحركة الصهيونية حركة استعمارية.

وقد تكونت هذه الرؤية الجديدة للمؤرخين على أثر دراستهم للوثائق السياسية التي وُضعت تحت تصرف العلماء والمثقفين بعد ثلاثين عامًا من وقوع الأحــداث. وقد اكتشفوا وجهًا آخر لم يكن معروفًا للمؤرخين القدامى الذين قاموا بأبحاثهم بعــد وقوع الأحداث مباشرة. فقد تأكدوا أن الدولة التي قامت ليست لها قيمة يهوديــــة أو إنسانية. ومن الناحية السياسية عبروا عن رغبتهم في أن تتخلى الدولة عن طابعــها اليهودي، وتصبح دولة ذات قوميتين يهودية وعربية، وتهتم بثقافة البحر المتوســط، وتبني لنفسها قاعدة أخلاقية وتتخلى عن القوة كقاعدة للدولة بــدلاً مــن الأخــلاق. وتتحرر من السياسة الاستعمارية التي ورثتها عن الاستعمار الغربي. وهم يعتبرون المهاجــر اليهودي واللاجئ الفلسطيني ضحايا للصهيونية التي ابتدعت العديد مـــن المفاهيم مثل الهجرة والاستيطان والطلائعية والخلاص. إن تاريخ الصهيونية مـــن وجهة نظرهم هو تاريخ الظلم، وأن قيام دولة إسرائيل قد سبب كارثة للفلســطينيين. إن الصهيونية من وجهة نظر المؤرخين الجدد طردت العرب ولم تنقذ اليـــهود أو تخلصهم، كما ظلمت الطوائف اليهودية الشرقية[٤].

إن نشأة إسرائيل ليست نشأة طبيعية في منظـــور المؤرخيــن الإســرائيليين الجدد: " فهي لم تنشأ بمقتضى الطبيعة التلقائية للتطور وفي إطار ما يسمى بالقانون الطبيعي، ولا بمقتضى التراضي العام بين الحاكم والمحكوم علـــى الأرض فيمــا يعرف بالعقد الاجتماعي، كما لم تنشأ استنادًا إلى الانسجام الوظيفي بين أطرافها في

سياق النظرية العضوية وإنما جاءت بدعوى غيرها. ففي حين جاءت نشأة الدولة القومية الحديثة بعد أطوار من النضوج وصولاً إلى الطور الأعلى بفعل الصراع مع الذات، ظهرت إسرائيل إلى الوجود نتيجة مشروع سياسي ثقافي له خلفيته الأسطورية وقوته العسكرية. ولذلك لم تشهد التجربة الإسرائيلية خبرة التطور من الداخل وإنما جاءت نتيجة الهجرة من بلاد الشتات إلى ما سمى بـ " أرض الميعاد"(٥).

وهكذا ينتهي المؤرخون الجدد وعلماء الاجتماع الناقدون لطبيعة المجتمع الإسرائيلي إلى التشكك في شرعية الدولة وفي دعوى الصهيونية الخاصة بتحقيق البعث القومي اليهودي، ودعوى إقامة مجتمع قائم على المساواة والعدل. فالنشاط الاستيطاني الصهيوني لا يتفق مع مفاهيم العدل والحرية والمساواة ولا يقوم على أساس أخلاقي لأنه تسبب في طرد سكان البلاد الأصليين.

إن تيار ما بعد الصهيونية جاء كمبرر أخلاقي فلسفي لمسيرة التفسخ في المجتمع الإسرائيلي على المستويات الأيديولوجية، والقانونية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والروحية. ويذهب بعض المحللين إلى أن ظهور ما بعد الصهيونية يبشر بنهاية الدولة وانهيارها من الداخل. أو أنها تعبر عن مرحلة انتقالية لهذا المجتمع من مجتمع الزعامة القومية الصهيونية إلى مرحلة المجتمع المدني المتعدد الثقافات.

ويمكن تلخيص أهم آراء تيار ما بعد الصهيونية أو " المؤرخين الجدد " في :

١- أن دولة إسرائيل قامت على أساس خاطئ يجب تصحيحه، وأن حرب ١٩٤٨ لم تكن حربًا بطولية، وأن هدف النشاط الصهيوني الاستيلاء على الأراضي العربية وأن الرغبة في تحقيق السلام مع العرب ليست حقيقية(٦).

٢- أن الصهيونية لم تضع نهاية لمشكلة اليهود في العالم، وأن إسرائيل لم تستوعب غالبية اليهود.

٣- أن الحركة الصهيونية قد انتهى دورها بعد قيام الدولة، وقد حسم بن جوريون الخيار بين الدولة والحركة الصهيونية لصالح الدولة.

٤- ضرورة إعادة كتابة تاريخ إسرائيل والحركة الصهيونية وتاريخ الصراع العربي الإسرائيلي من جديد وبصورة موضوعية محايدة اعتماداً على الوثائق مع رد الاعتبار للفلسطينيين واعتبارهم ضحايا للصهيونية.

٥- أنه قد حان الوقت لكي تتخلى الدولة عن طابعها اليهودي الصهيوني وتتحول إلى دولة لكل مواطنيها يهوداً أو غير يهود، وكذلك ضرورة إعادة تقنين الروابط بين إسرائيل ويهود العالم[٧].

ولعل أهم ما ينسب إلى المؤرخين الجدد اعترافهم بنهاية الصهيونية واعترافهم بالمظالم التي تعرض لها الفلسطينيون، ودعوتهم إلى إصلاح هذه الأوضاع.

# الفصل الثالث

## الصهيونية وإشكالية الهوية اليهودية



من هو اليهودي ؟ سؤال مطروح منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام وله جذور في التاريخ تعود به إلى ما يقرب من أربعة آلاف عام. وحتى هذه اللحظة لم يتم الوصول إلى تحديد دقيق للهوية اليهودية، ولذلك سيظل السؤال مطروحًا يتلقى عبر الزمن إجابات غير شافية وتحديدات غير مرضية. ويجب أن نلاحظ أن السؤال لم يطرحه غير اليهود إنما هو مطروح يهوديًا وعلى الساحة اليهودية وعبر التاريخ اليهودي دون أن يتفق اليهود على تحديد دقيق لهويتهم(١). ولذلك فإن تحديد الهوية مسألة خلافية بين اليهود وإن كانت مسألة غير خلافية عند غير اليهود، وبخاصة عند المسيحيين والمسلمين. فالمسيحيون والمسلمون يعرفون تحديدًا من هو اليهودي ولا توجد إشكالية في الفكر المسيحي أو في الفكر الإسلامي حول مسألة الهوية اليهودية. ومعنى ذلك فإن في اليهودية خاصية أو سمة جعلت هذا التساؤل مطروحًا بصفة مستمرة على الساحة اليهودية. وأن تحديد الهوية في اليهودية ليس محسومًا على المستوى الديني. وأن هناك عوامل أخرى بخلاف الدين تتدخل في تشكيل الهوية اليهودية وتلعب دورًا رئيسيًا في تحديدها، وأن الدين ما هو إلا عامل واحد من بين عدة عوامل مشكِّلة للهوية اليهودية، حيث ارتبطت قضية الهوية اليهودية بعدة عوامل خارجية وداخلية جعلتها من أعقد القضايا في تاريخ الديانة اليهودية وفي تاريخ اليهود. والقضية المثارة اليوم عن : من هو اليهودي ؟ ليست قضية حديثة ولكنها من أقدم القضايا التي مر بها التاريخ اليهودي، والتي يرتبط ظهورها في العصر الحديث بعوامل ومؤثرات قديمة من تاريخ اليهود والديانة اليهودية في الماضي.

**أولاً : العامل التاريخي في تطور الهوية اليهودية :**

ولعل من أهم العوامل المؤثرة في مسألة تحديد الهوية اليهودية العامل التاريخي فهو في الحقيقة السبب الأول في عدم ثبات الهوية اليهودية، كما أنه

السبب الرئيسي في استمرارية طرح التساؤل الخاص بماهية الهوية اليهودية. ولـن يتوقف طرحه في المستقبل إلى الحد الذي يمكن أن نقول معه أنه لا يوجد تحديـد دقيق للهوية اليهودية، وأن إحدى خصائص هذه الهوية تغيّرها، وإعادة تشكّلها مـع الزمن وبتأثير العوامل التاريخية والدينية.

إن أهم سمة في الديانة اليهودية هي السمة التاريخية. فهي ديانـة خاضعـة للتاريخ ومعطياته، وقابلة للتشكّل بفعل الأحداث التاريخية، وبالتـالي فالشـخصية اليهودية الناتجة عن الدين اليهودي خاضعة هي الأخـرى لنفـس العـامل، فـهي شخصية تاريخية متغيرة ومتطورة بفعل خضوعها المسـتمر للتـاريخ وأحداثـه. والمنطق يقول إذا كان الدين في تغير مستمر فلا شـك أن الشـخصية اليهوديـة المرتبطة بهذا الدين لا بد وأن تكون هي الأخرى متغيرة و غير ثابتة، وفي حالـة تشكل دائم. وقد نتج عن هذه السمة التاريخية -أي كون اليهودية ديانـة خاضعـة للتاريخ وإفرازاته -أن اتصفت الشخصية اليهودية بصفتين رئيسيتين : الأولى هـي صفة التناقض، والثانية صفة الازدواجية. وهما نتيجة حتمية للتناقض الموروث في الشخصية اليهودية. ومن خلال التناقض والازدواجية يمكن الحكم على الشـخصية اليهودية بأنها شخصية غير سوية بمفهوم علم النفس والاجتماع. فـهي شـخصية متناقضة في سلوكها مع نفسها ومع غيرها. وهذا التناقض مع النفس والغـير أدى إلى تطور ازدواجية في الشخصية حكمت حركة هذه الشخصية في التاريخ علـى المستويات السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية.

فعلى المستوى السياسي مثلاً اتصفت الشخصية اليهودية بازدواجية الـولاء السياسي. ونقول الولاء السياسي لأن اليهود عبر التاريخ لـم يتمتعـوا بشـخصية سياسية مستقلة نتيجة لعدم وجود كيان سياسي يهودي مستقل بذاته عـن الكيانـات السياسية الأخرى. فاليهود كانوا دائمًا وأبدًا تابعين لغيرهم سياسيًا، وقـد اكتسـبوا

صفة التبعية السياسية من طبيعة الإقليم الذي اشتركوا مع غيرهم في الحياة فيه قديمًا. فمنطقة فلسطين، وقعت في تاريخ الشرق الأدنى القديم على حدود القوى الكبرى في ذلك الشرق حيث أحاطت بها مصر من الجنوب، وبلاد النهرين وفارس من الشرق، وبلاد الأناضول من الشمال، والقوى المتحكمة في حوض البحر الأبيض المتوسط من الغرب مثل مصر واليونان والرومان وغيرهم فضلاً عن " شعوب البحر " الذين سكنوا جزر حوض البحر الأبيض المتوسط. هذا الوضع السياسي لفلسطين وموقعها الاستراتيجي جعلها دائمًا وأبدًا موضع صراع وأطماع من القوى الكبرى المحيطة بها وقد جعل هذا تاريخها السياسي والعسكري تاريخًا متواضعًا وحولها دائمًا وأبدًا إلى منطقة تابعة – ولا نقول دولة تابعة – لأن نفس هذه الظروف أدت إلى عدم قيام دولة في هذه المنطقة وأصبحت مسكونة بجماعات تابعة للقوة المعاصرة، وهي جماعات لأن بنيتها السكانية بنية مركبة من عدة عناصر وجماعات وأقوام، وهي أقرب إلى القبائل في بنيتها السياسية منها إلى نظام الدولة.

ولم تكن هذه صفة العبريين فقط في هذه المنطقة بل كانت صفة كل الجماعات الأخرى التي سكنت فلسطين مثل الآراميين والكنعانيين والفينيقيين والفلسطينيين والأدوميين والعمونيين واليبوسيين والموآبيين وغيرهم من الجماعات التي اشتركت في سكنى المنطقة السورية دون أن تتوحد في شكل دولة في مواجهة القوى الكبرى المحيطة بها من الجنوب والشرق والشمال والغرب. والدور السياسي والعسكري الوحيد لمثل هذه الجماعات تمثل في كيفية استرضاء القوى الكبرى المحيطة أو تجنب شرورها من خلال بعض السياسات غير الثابتة والقائمة على دراسة الأمر السياسي الواقع ومحاولة التكيف معه[٢].

وهنا يبرز الإسرائيليون القدامى واليهود فيما بعد في تطوير سياسة مزدوجة يبدو عليها التناقض للمحافظة على الوجود والبقاء داخل هذا العالم السياسي العسكري للشرق الأدنى القديم. ومن أبرز صفات هذه السياسة ازدواجها من حيث الولاء أولاً فقد كان هناك ولاء مزدوج يتم في صور متعددة وله نتائج سياسية متناقضة، وازدواجها أيضًا من حيث تناقضها واختلاف نتائجها وتأثيرها على مصير اليهود ومستقبل التاريخ اليهودي.

وقد اتخذت الازدواجية السياسية اليهودية آلية معينة في التنفيذ وهي آلية ميزت التفكير السياسي اليهودي قديمًا وحديثًا ومن أهم عناصر هذه الآلية :

١- توزّع الجماعة اليهودية سياسيًا إلى جماعتين إحداهما توالي قوة سياسية بينما توالي الجماعة الثانية قوة سياسية أخرى. وكثيرًا ما يتخذ هذا التوزيع السياسي شكلاً جغرافيًا يشير إلى وجود تفكير جيوبولتيكي بسيط يتناسب مع طبيعة الموقف السياسي. فالشمال الفلسطيني عادة ما كان يوالي القوة السياسية المسيطرة على الحدود الشمالية لفلسطين مثل الولاء للآشوريين والبابليين والفرس، بينما يوالي الجنوب الفلسطيني القوة المسيطرة على الحدود الجنوبية، وهي عادة ما تكون مصر. وهكذا توزع الولاء قديمًا بين الولاء لبلاد النهرين وفارس في الشرق والشمال والولاء لمصر في الجنوب. وتصبح فلسطين جغرافيًا منقسمة إلى شمال يتبع بلاد النهرين وجنوب يتبع سياسيًا مصر. وفي الفترات التي يتوحد فيها الشرق الأدنى القديم تحت قوة واحدة فالولاء لهذه القوة كما حدث مثلاً في الولاء لليونان أو الفرس أو الرومان.

٢- الولاء لإحدى القوى لفترة من الزمن يتلوها ولاء سياسي للقوة المضادة لها في فترة زمنية تالية. وقد حدث هذا كثيرًا في علاقة الإسرائيليين القدامى أو اليهود بكل من مصر وبلاد النهرين المتصارعين على السيادة في الشرق الأدنى القديم. ففي فترات السيادة المصرية التامة يحدث خضوع إسرائيلي تام لمصر. وفي فترات السيادة العراقية القديمة يحدث خضوع تام لبلاد النهرين كما حدث في زمن السبي البابلي. وقد تخضع جماعة إسرائيلية لقوة بينما تخضع جماعة أخرى لقوة أخرى وفقًا للظرف السياسي. فمثلاً خضع الجزء الشمالي من فلسطين للآشوريين بينما ظل الجزء الجنوب شبه مستقل سياسيًا، وذلك لظهور البابليين كقوة جديدة في بلاد النهرين أوقفت الزحف الآشوري على الجنوب الفلسطيني وأجبرت الآشوريين على العودة إلى بلاد النهرين لمواجهة هذه القوة البابلية فأصبح نصف فلسطين تحت الحكم الآشوري والنصف الآخر مستقلاً إلى حين تمام السيطرة البابلية ومعاودة غزو بقية فلسطين وتوحيدها تحت الحكم البابلي في الفترة المعروفة في التاريخ اليهودي باسم السبي البابلي (٥٨٦-٥٣٨ ق.م).

٣- محاولة استرضاء بعض القوى السياسية العسكرية في الشرق الأدنى القديم والتمكن من تحييدها سياسيًا في علاقتها باليهود، وتوجيه سياستها فيما بعد لخدمة المصلحة السياسية اليهودية. وقد غلبت هذه الظاهرة على علاقة اليهود بالفرس في التاريخ القديم. فقد كان الفرس قوة مناهضة لقوى بلاد النهرين وكان الصراع السياسي والعسكري قويًا بينهما. وجاءت سياسة الفرس مع اليهود على عكس

سياسة الآشوريين والبابليين معهم، ويكفي أن نذكر أن الفرس خلصوا الإسرائيليين من السبي البابلي، وسمحوا لهم بالعودة إلى فلسطين، وإعادة بناء الهيكل إلى غير ذلك من السياسات المتعاطفة مع اليهود. ويمكن القول بأن هذا التعاطف مع اليهود نوع من رد الفعل السياسي المضاد للموقف الآشوري والبابلي تجاه بني إسرائيل، كما أن الحصول على هذا التعاطف السياسي يشير إلى جهود يهودية لتحييد فارس والاستفادة من خلافاتها السياسية مع الآشوريين والبابليين.

٤- حسن استغلال بعض فترات الضعف السياسي والعسكري لقوى الشرق الأدنى القديم التقليدية مثل مصر وبلاد النهرين. وتعتبر فترة حكم داود وسليمان عليهما السلام نموذجًا لهذه السياسة. فقد مرت قوى بلاد النهرين ومصر بفترة ضعف استغلها داود وسليمان في تأسيس دولة لبني إسرائيل انقسمت بعد موت سليمان إلى دولتين شمالية هي إسرائيل، وجنوبية هي يهوذا. ويعود الانقسام ثم السقوط إلى استعادة القوى الكبرى لسيادتها ولقوتها وتمكنها من فرض سيطرتها على فلسطين مرة أخرى.

٥- استعداء بعض القوى السياسية ضد قوى سياسية أخرى. وقد تم ذلك على مستوى القوى الكبرى والقوى الصغرى في المنطقة. فاستعداء مصر على آشور وبابل، واستعداء فارس على آشور وبابل، واستعداء بعض الأقوام التي تعيش داخل فلسطين وعلى حدودها ضد بعضها البعض كان من الأبعاد السياسية الواضحة للإسرائيليين القدامى. وهي سياسة تستفيد من الواقع والظروف السياسية وتعمل

على الحفاظ على الجماعة اليهودية في ظل السياسات المتغيرة في الشرق الأدنى القديم.

٦- قامت هذه الازدواجية السياسية على أشكال من الخداع أو النفاق السياسي أو نوع من الدبلوماسية التي ترضي جميع الأطراف.

وقد نتج عن هذه الازدواجية في الولاء السياسي نتائج بعضها إيجابي وبعضها سلبي فيما يتعلق بتاريخ الجماعة اليهودية. ولعل من أهم النتائج الإيجابية أن الولاء المزدوج أدى إلى حماية فريق من اليهود ربما على حساب فريق آخر. ولكن النتيجة النهائية الإيجابية هي عدم تعرض الجماعة اليهودية ككل للهلاك. واستطاع فريق أن يبقى ويحافظ على البقاء اليهودي. وتمكنت الجماعة الباقية من تحسين ظروف الجماعة الواقعة تحت الاضطهاد أو المتعرضة للفناء، وأن تكون ملاذًا لها أو أن تعمل على تخفيف الضغوط السياسية والعسكرية عليها من خلال استمالتها للقوى الأخرى وحثها على حل المشكلة اليهودية. وهكذا كتب لفريق البقاء وانتفى بذلك الدمار الشامل للجماعة اليهودية في التاريخ القديم.

وقد نتج عن ازدواجية الولاء عدم استمرارية العداء لقوة ما على حساب قوة سياسية أخرى فعدو الأمس هو صديق اليوم، والمضطهد لليهود في فترة ما قد يكون هو المخلص في فترة أخرى. وهكذا يصبح العداء وقتيًا والباب مفتوح لاستعادة العلاقات مع تغير ظروف قوى الشرق الأدنى القديم. وقد مكنت هذه السياسة المزدوجة الإسرائيليين أو اليهود من حسن استغلال قوى العصر لتحقيق بقائها أولاً ومصالحها السياسية ثانيًا. وقد يكون من نتائج هذه الازدواجية في الولاء تحقيق الدعم للجماعات اليهودية على المستوى الاقتصادي والاجتماعي. فإعلان الولاء يحفظ لليهود أملاكهم وأرواحهم وحياتهم الاجتماعية وذلك من خلال إحداث توازن سياسي يحفظ الحياة اليهودية ويدعم أنشطتها. فمثلاً ولاء الشمال الفلسطيني

لبلاد النهرين، وولاء الجنوب الفلسطيني لمصر يؤدي إلى تحقيق الحفاظ على الفريقين معًا وعدم تعريض الحياة اليهودية للدمار من خلال قبول الأمر السياسي الواقع. وكان قبول الحياة في السبي والتكيف مع أوضاعه أهم أسباب البقاء اليهودي. فقد تكيفت الجماعة اليهودية في هذه البلاد واستمرت في حياتها، ومارست أنشطتها الأمر الذي أدى إلى تطور مراكز جديدة للحياة اليهودية خارج فلسطين مثل آشور وبابل والإسكندرية وغيرها ازدهرت فيها الحياة اليهودية على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والدينية.

ومن أهم سلبيات الازدواجية السياسية تولد شك تجاه اليهود لدى القوى الكبرى في الشرق الأدنى القديم نتج عنه حرص شديد في التعامل مع الجماعات اليهودية كما تولد عنه اضطهاد مستمر من عدة شعوب وعلى فترات مختلفة وتكرار لظاهرة السبي والشتات، كما أدى إلى حدوث عزلة يهودية داخل مجتمعات الشرق الأدنى القديم. وبالإضافة إلى هذا كله نتج عن هذه الازدواجية السياسية صراع يهودي داخلي بين الشماليين والجنوبيين، وبين ملوك الشمال وملوك الجنوب في عصر الانقسام، وحتى بين أنبياء الشمال وأنبياء الجنوب. وأصبح هناك عداء تقليدي بين الشمال والجنوب أسفر عن اختلافات دينية خطيرة من أهم مظاهرها تشتت اليهود دينيًا حول مركزين دينيين أورشليم في الجنوب والسامرة في الشمال، وتطور لاهوت شمالي مختلف عن اللاهوت الجنوبي(٣).

ولعل من النتائج السلبية لهذه الازدواجية تولد عنف شديد في التعامل السياسي والعسكري سواء من جانب القوى الكبرى في تعاملها مع الإسرائيليين القدامى أو من جانب القوى الصغرى، أو من جانب القوى اليهودية الداخلية ضد بعضها البعض. والأمثلة متعددة على هذا العنف الشديد تمثل في أحداث السبي والشتات والاضطهاد والقتل وغير ذلك من الوقائع التي ارتكبتها القوى الكبرى والصغرى

ضد الإسرائيليين، أو التي ارتكبها الإسرائيليون ضد القوى الصغرى أو داخليًا ضد بعضهم البعض وبصرف النظر عن الإيجابيات والسلبيات الناتجة عن هذه الازدواجية في الفكر السياسي اليهودي فإن التاريخ اليهودي أصبح مقسمًا بفعل الازدواجية إلى فترات اضطهاد وتدهور، وفترات تسامح وازدهار. فالازدواجية السياسية عادة ما تؤدي إلى ازدهار الحياة اليهودية في منطقة وتعرضها للخطر والفناء في منطقة أخرى. ففي الداخل تزدهر حياة جماعة يهودية لتتعرض حياة جماعة أخرى للخطر. وهكذا يصبح التاريخ اليهودي تاريخ صراع وتوتر وقلق ناجم عن الازدواجية في الولاء السياسي. ويمكن أن نقرب هذا الوضع قديمًا بما حدث في القرن العشرين حيث مرت الجماعة اليهودية بأحداث النازي التي أثرت عليها سلبيًا ثم تزدهر الحياة اليهودية بعد عصر النازي، وتحقق أكبر قدر من ارتفاع الشأن اليهودي سياسيًا واقتصاديًا في النصف الثاني من القرن العشرين. وربما يؤدي هذا الازدهار وما تبعه من قوة سياسية واقتصادية لليهود إلى إثارة العداء لليهود مرة أخرى ودخولهم في مرحلة جديدة من الاضطهاد في المستقبل. وهذه صفة التاريخ اليهودي المستمرة. ورغم الذكاء اليهودي المعروف فإن العقل اليهودي طبع على الازدواجية وأصبح غير قادر على التخلص منها رغم سلبياتها الواضحة والتي لعبت دورًا مهمًا في تشكيل الرأي العام العالمي تجاه الشخصية اليهودية. وأقول الرأي العام العالمي لأن هناك شبه اتفاق على الشخصية اليهودية رغم اختلاف الاتجاهات والسياسات. وعلى الرغم من وقوف بعض القوى السياسية إلى جانب اليهود لكن وقوفها لا يعني الاقتناع بسلامة الشخصية اليهودية وبعدم ازدواجيتها. فمسألة ازدواجية الولاء اليهودي مسألة مطروحة على كل المستويات رغم اختلاف السياسات تجاه اليهود في بلدان العالم المختلفة.

**ثانيًا : البعد الديني في تطور الهوية اليهودية :**

وهذا البعد الديني له مستويان، مستوى داخلي أي من داخل اليهودية يتمثل في ظهور الفرق الدينية اليهودية التي تدعي أنها تمثل اليهودية الصحيحة وترفض اليهودية الحاخامية (الأرثوذكسية). وهناك مستوى خارجي وهو ظهور أديان توحيدية هددت الهوية اليهودية تهديدًا خطيرًا.

وهي المسيحية والإسلام باتخاذهما موقفًا دينيًا نقديًا تجاه اليهودية أدى بها إلى إعادة النظر في طبيعتها وجوهرها، واتخاذ مواقف متناقضة إما من خلال التشدد الديني والتمسك بالوضع الديني اليهودي التقليدي، أو الاستجابة للنقد المسيحي والإسلامي، وتبلور اتجاهات تصحيحية داخل اليهودية تمخض عن بعضها ظهور فرق يهودية جديدة معارضة للاتجاه الديني الأرثوذكسي.

أولاً : وبداية فقد أحدث العصر المسيحي تغييرات جذرية في مسألة الهوية اليهودية فظهور المسيحية عبّر عن أزمة حادة في الهوية اليهودية. فدعوة عيسى عليه السلام هي رد فعل ديني وأخلاقي ضد تدهور الأوضاع الدينية اليهودية وتحول اليهودية إلى ديانة قومية وجمود الديانة وتحولها إلى ديانة طقوس وشعائر وكهنوت. كما مثلت الواجبات الدينية عبئًا على كاهل الإنسان اليهودي. ولذلك كان من أبرز معالم دعوة عيسى عليه السلام اتجاهها العالمي ومخاطبتها للإنسانية ككل وتركيزها على المحبة والسلام وروحانيتها وتخفيفها من العبء التشريعي ومن التكاليف الدينية ومحاولتها بعث الروح في الديانة.

ولاشك في أن المسيحية باتجاهها العالمي وجهت ضربة قوية إلى الهوية اليهودية باتجاهها القومي العنصري الإثني. فالاتجاه إلى العالم أدى إلا استقلال تلم للمسيحية عن أصلها اليهودي وظهور هوية دينية جديدة مبنية على أساس من عالمية الإله ووحدة البشرية في مقابل خصوصية الإله وقسمة البشرية إلى يهود

وغير يهود. ومن عالمية الإله نشأ مفهوم عالمية العهد، وعالمية الاختيار، وعالمية الخلاص بمعنى أن هناك تغييرًا تامًا في الهوية قد تم على يد دعوة عيسى عليه السلام والمسيحية الناشئة من بعده. وبعالمية المسيحية ونجاحها في الانتشار ازدادت الهوية اليهودية إثنية وعنصرية، ولذلك كان الموقف اليهودي المتشدد في رفض كون عيسى عليه السلام هو المسيح المخلص ورفض الهوية الجديدة ممثلة في الإنسان المسيحي الجديد، ونتج عن ذلك أيضًا زيادة في رفض الآخر، وزيادة في التقوقع على النفس وعزله عن البشرية على أساس من دعاوى نقاوة الدم. وأن اليهود يمثلون إسرائيل الحقيقية والعهد الحقيقي والاختيار الحقيقي. ويمكن القول بأن هناك تدرجًا ملحوظًا في التحول من الهوية اليهودية إلى الهوية المسيحية مع وجود مرحلة وسط جمعت بين اليهودية والمسيحية فيما عرف باسم المسيحية اليهودية. وذلك يعني أن لدينا ثلاث هويات واضحة تسببت دعوة عيسى عليه السلام في بلورتها الأولى هي بطبيعة الحال الهوية اليهودية بصفاتها القومية الإثنية وتعدداتها الداخلية الممثلة في الفرق والاتجاهات الدينية المختلفة داخل الديانة اليهودية. وكرد فعل فوري لدعوة عيسى عليه السلام دخلت فئة يهودية في دعوة عيسى وآمنت بنبوته وبأنه المسيح المخلص دون أن تؤله عيسى عليه السلام. وهذه هي التي كونت ما سمي بالمسيحية اليهودية. أي المسيحية المحافظة على أصولها اليهودية داخل إطار ديني توحيدي لا يؤله عيسى عليه السلام. وكان من الممكن لهذا التيار الديني أن يستمر داخل اليهودية لو لم تُرفض دعوة عيسى عليه السلام بواسطة الفريق اليهودي الأقوى والمسيطر. ثم تتبلور هوية دينية جديدة بعد حادثة وفاة عيسى عليه السلام ورفعه إلى السماء وتطور الاعتقاد من أتباعه في ألوهيته. وهو التيار الذي غلب وحقق الاستقلال التام عن اليهودية. إذن هناك ثلاث هويات في ذلك الوقت : هوية يهودية قومية إثنية ثم هوية مسيحية يهودية ثم هوية مسيحية خالصة مستقلة عن الهويات اليهودية السابقة عليها أو المعاصرة لها.

وتخطئ دائرة المعارف اليهودية Judaica حين تعتبر السبب في الانفصال بين اليهودية والمسيحية سببًا غير ديني وهو اختيار مصير تاريخي مختلف ومغاير للمصير اليهودي(٤). فالمسألة لم تكن تاريخية. ومن ناحية أخرى يجب أن نشير إلى أن المسيحانية كانت نقطة الاختلاف الرئيسية بين اليهود الذين قبلوا عيسى عليه السلام كمسيح مخلص وبين اليهود الذين لم يقبلوا عيسى عليه السلام ووظيفته الخلاصية. ولذلك فالهوية الجديدة انطلقت من هذه الوظيفة الخلاصية وسميت الديانة بالمسيحية فيما بعد إشارة إلى البعد الخلاصي للديانة الجديدة واختلافها عن الديانة القديمة المستمدة منها وهي اليهودية. وفي عصر عيسى عليه السلام كان الخلاف يهوديًا داخليًا حول شخص عيسى كمخلص ولم تكن المسألة لها علاقة حتى الآن بمسألة الهوية فيما عدا ما يتعلق بتحويل هذه الهوية من هوية قومية إثنية محدودة خاصة منغلقة على نفسها إلى هوية عالمية منفتحة على الغير وذلك من خلال عالمية الإله والعهد والاختيار والخلاص. ومع التطور الداخلي لعقيدة المسيح عليه السلام بعد حادثة الوفاة والرفع والتي انتهت بتأليه عيسى عليه السلام بدأت في التطور هوية مسيحية جديدة مستقلة تمامًا على المستوى الديني عن الهوية اليهودية التقليدية. والسبب في الاستقلال التام للهوية يعود إلى عملية تأليه عيسى عليه السلام واتجاه اللاهوت المسيحي اتجاهًا مغايرًا للاهوت اليهودي. وبعد أن كان الاختلاف حول المسيحانية وكون عيسى مسيحًا أم لا أصبح الخلاف لاهوتيًا يدور حول قضية الألوهية وطبيعة المسيح عليه السلام، وأصبحت قاعدة الاختلاف بين اليهودية والمسيحية قاعدة عريضة اشتملت على مسألة الألوهية ككل بعد أن كانت فقط تدور حول مسألة المسيحانية.

على كل حال أحدثت المسيحية بتطوراتها المختلفة أزمة جذرية في مسألة الهوية اليهودية، وكما قلنا انتهى الأمر إلى تطور هويتين مستقلتين : هوية مسيحية

جديدة تؤمن بالمسيح كمخلص وكإله، وهوية يهودية ترفض مسيحانية عيسى عليه السلام وترفض أيضًا ألوهيته. وكانت الأزمة حادة لأنها أحدثت صدعًا لا يرأب في الجماعة اليهودية وقسمتها إلى قسمين متضادين قسم قديم تمسك باعتقاداته التوحيدية وبفكرته الخاصة بالخلاص وانعزل بعد انتشار المسيحية التي تمثل القسم الآخر من اليهود الذين قبلوا عيسى كمسيح مخلص وكإله ومن انضم إليهم من المؤمنين بدعوة عيسىَ من الوثنيين. وكانت الأزمة حادة لأنه نتج عنها دين جديد مستقل عن اليهودية ونتجت عنها جماعة دينية جديدة انسلخت عن الجماعة اليهودية ليس فقط على المستوى الديني ولكن أيضًا على المستوى التاريخي المصيري.

**ثانيًا** : وبعد أن تلقت الهوية اليهودية هذه الضربة الشديدة على يد المسيحية ظهر الإسلام ليزيد من أزمة الهوية اليهودية. وهي أزمة مختلفة عن تلك التي سببتها المسيحية وهي الأزمة الأقوى لأنها أتت من داخل اليهودية وليس من خارجها. ومع ذلك فالأزمة التي سببها الإسلام لها مفعولها القوي لأنها أتت بعد سبعة قرون من ظهور المسيحية استقرت خلالها العلاقات اليهودية المسيحية. وتمكنت اليهودية من الخروج من أزمتها مع المسيحية بإدخال بعض الإصلاحات الدينية في شكل استجابة غير مباشرة للنقد المسيحي مع استمرار حالة التوتر بين اليهودية والمسيحية وذلك لاستمرارية الأسباب اللاهوتية للاختلاف بين الديانتين، وبخاصة في المسائل المتعلقة بعقيدة المسيح المخلص وعقائد العهد والاختيار حيث تمسكت المسيحية بأنها صاحبة عهد جديد، واختيار جديد، ومملكة جديدة، وخلاص جديد في الوقت الذي استمرت فيه اليهودية على فهمها الخاص لعهدها واختيارها وخلاصها.

وقد أدى ظهور الإسلام إلى تطور موقف ديني نقدي جديد لكل من اليهودية والمسيحية تمحور حول موضوع الألوهية والتحريفات التي أصابت عقيدة التوحيد

على يد اليهودية والمسيحية. ووجدت اليهودية نفسها في حالة دفاع عن عقائدها ضد النقد الإسلامي. ونشأ جدل ديني في ظل مناخ من التسامح الإسلامي أدى إلى نشأة مراجعة يهودية للعقيدة في ضوء النقد القرآني ونقد العلماء المسلمين. وانتهى الأمر إلى تطور فكر ديني يهودي جديد مبني على أسس عقلية متأثرة بالمدارس الإسلامية المختلفة والاتجاهات الكلامية الأمر الذي أدى إلى نشأة علم كلام يهودي على غرار علم الكلام عند المسلمين، وظهور اتجاه اعتزالي يهودي متأثر بمدرسة المعتزلة الإسلامية، وظهور علماء يهود مجددين لليهودية وفكرها في ضوء الفكر الديني الإسلامي مثل سعديا الفيومي وموسى بن ميمون وغيرهما.

وإجمالاً يمكن القول أن الهوية اليهودية في ظل الدولة الإسلامية لم يطرأ عليها تغيير مهدد لبنيتها على الرغم من التأثير الإسلامي عليها. فالتأثير الإسلامي تأثير حضاري أدى إلى توسع يهودي في استخدام العقل في فهم الدين وتفسيره، وتطوير بنية دينية عقلية لليهودية ووضع نظام ديني معقول للديانة التي كانت حتى ظهور الإسلام عبارة عن تراث متراكم لا نظام له. وتظهر لأول مرة أركان للإيمان وللدين وعقائد واضحة منظمة داخل إطار ديني محدود. وقد أدى التقارب الديني بين اليهودية والإسلام إلى عدم إحساس العالم اليهودي بحرج في الأخذ عن الإسلام والاستفادة من الفكر الديني الإسلامي في تنظيم اليهودية وعقائدها على النمط الإسلامي. ونفس هذا السبب هو الذي دفع بعدد كبير من اليهود إلى قبول الإسلام والدخول فيه عن اقتناع عقلي والنظر إليه على أنه مصحح لليهودية وبديل عنها في نفس الوقت. وقد أدى مناخ التسامح الديني الإسلامي إلى الحفاظ على اليهودية واستمراريتها في ظل الرعاية الإسلامية. ومعنى هذا أن الإسلام ساعد على الحفاظ على الهوية اليهودية، وفي نفس الوقت منع الازدواجية التي سيطرت على هذه الهوية خلال العصر المسيحي. فالرفض المسيحي لليهودية وممارسة

الاضطهاد الديني ضد أهلها أدى إلى تطور ازدواجية في الهوية حيث اضطر اليهودي إلى إخفاء يهوديته وإعلان المسيحية ظاهريا ليتجنب الاضطهاد المسيحي فنشأت جماعات مزدوجة الهوية في بعض المجتمعات المسيحية مثل جماعة المارانو في أسبانيا المسيحية التي أعلنت دخولها الظاهري في المسيحية بينما حافظت على اليهودية سرًا.

مثل هذه الازدواجية في الهوية الدينية لم تكن لتظهر في المجتمع الإسلامي الذي بني علاقة الأديان فيه على أساس من التسامح الديني وحرية العقيدة وممارسة الشعائر. وتمت الحماية الشرعية لأهل الكتاب فحفظت لهم هويتهم الدينية. وبالنسبة لليهود كان الولاء الديني لليهودية والولاء السياسي للدولة الإسلامية فلم يشهد العالم الإسلامي ظهور جماعات يهودية متسترة على دينها ومختفية تحت اسم الإسلام. وكانت الهوية الدينية واضحة وصريحة. فاليهودي إما أنه دخل الإسلام وأصبح مسلمًا أو بقي على اليهودية معلنًا إياها دون إحساس بالخوف أو الحرج.

وعلى الرغم من هذا الموقف الإسلامي المتسامح فقد أثر الإسلام في تشكيل الهوية اليهودية خلال العصر الإسلامي وذلك من خلال عدة جوانب :

١- تجديد الفكر الديني اليهودي الذي أصابه الجمود بسبب سيطرة الكهنوت والحاخامات على مقدرات اليهود. وبعد الاتصال بالديانة الإسلامية وبالحضارة الإسلامية والتفاعل الشديد معها نشأ اتجاه تجديدي داخل اليهودية تطورت عنه مدرسة كلام يهودية ومدرسة اعتزال يهودي تحاول التوفيق بين التوراة والعقل وتستخدم العقل لتفسير الدين ويأتي على رأس هذا الاتجاه سعديا الفيومي وموسى بن ميمون وهما من أعظم الشخصيات اليهودية في العصر الإسلامي ( العصر الوسيط ).

٢- تطور فرق دينية متأثرة بالديانة الإسلامية وبالمنهج الإسلامي في دراسة الدين وتفسيره، ومن أهم هذه الفرق فرقة القرائين الواقعة تحت تأثير مدرسة الاعتزال الإسلامية، ومن الفرق اليهودية القديمة التي تفاعلت مع الدين الإسلامي وثقافته فرقة اليهود السامريين.

وقد ذكرنا من قبل التأثير الإسلامي في اليهودية الحاخامية (الأرثوذكسية) ويمثلها سعديا الفيومي وموسى بن ميمون ودورهما في إعادة بناء اليهودية كنظام ديني له عقائده وأركانه المحددة. وبهذا الشكل يكون التأثير الإسلامي شاملاً لكل اتجاهات اليهودية بما فيها الاتجاه الأرثوذكسي التقليدي.

٣- للحضارة الإسلامية دور كبير في نشأة ما يسمى بالنهضة اليهودية الذي يرده المؤرخون اليهود خطأ إلى حركة النهضة الأوروبية بينما هو مرتبط أصلاً بالنهضة العلمية الإسلامية العامة التي نتجت عنها النهضة الأوروبية المشتملة جزئيًا على نهضة يهودية نشأت بين يهود أوروبا. وقد لعب اليهود دورًا وسيطًا بين الحضارة الإسلامية والنهضة الأوروبية حيث اشتركوا مشاركة فعالة في حركة ترجمة علوم المسلمين من العربية إلى اللاتينية مباشرة، أو إلى العبرية ومنها إلى اللاتينية. ولاشك في أن حركة الترجمة كانت الباعث الأول إلى النهضة الأوروبية. والفضل للحضارة الإسلامية في تبلور النهضة الأوروبية والارتقاء العلمي للغرب عامة وليهود الغرب على وجه الخصوص.

٤- يعود للحضارة الإسلامية أيضًا الفضل في نشأة حركة التنوير اليهودي المسماة بالهسكالا والتي يربطها المؤرخون اليهود خطأ بحركة التنوير الأوروبي مع أن أصولها بين اليهود تعود إلى حياتهم

في المجتمع الإسلامي، وتأثرهم بمعطيات الحضـــارة الإســلامية، وجمعهم بين الاهتمامات الدينية والدنيوية، وبدايــة توجهــهم إلــى دراسة علوم الدنيا بعد أن كانت الحياة اليهودية تتمحور حول علــوم الدين اليهودي وهكذا فالتنوير اليهودي بدأ داخل العـــالم الإســلامي سواء على مستوى التنوير الديني أو التنوير الدنيوي.

ومن هذه الملاحظات يظهر تأثير الثقافة الإسلامية في تشكيل الهوية اليهودية وتطويرها. و قد تم هذا التطوير بشكل طبيعي وبدون الحساسية التي تلازم مثل هذا التغيير، والسبب في ذلك يعود إلى التشابه الشديد الذي وجده اليهود بين يهوديتـــهم والإسلام بخلاف الوضع مع المسيحية، وأيضًا بسبب قاعدة التسامح الدينـــي التـــي أمّنت حياة اليهودي داخل المجتمع الإسلامي وساعدت على اندماجه الفكري وقبولــه للتنوير الإسلامي الديني والدنيوي.

**ثالثًا : الشتات اليهودي وأثره على الهوية اليهودية :**

لقد سيطرت ظاهرة الشتات اليهودي على طبيعة الحياة اليهوديــة. فالشـــتات بمسمياته اليهودية المختلفة ( سبي – اضطهاد – نفي – تجوال – تيه ) هو النتيجـــة الرئيسية لأزمات التاريخ اليهودي في الماضي والحاضر. فقد تشتت اليـــهود فـــي بلدان العالم القديم لأسباب سياسية واقتصادية ودينية. ونظرًا لأهمية ظاهرة الشـتات فقد استخدمها المؤرخون اليهود كعامل للتأريخ أو لتقسيم عصور التاريخ اليـــهودي إلى عصر السبي الأول والسبي الثاني، وإلى ما قبل السبي وما بعد السبي، وإلـــي السبي الأشوري والبابلي والروماني وغير ذلك من التقســـيمات المســتخدمة فـــي المصادر التاريخية اليهودية.

إن تعدد الهويات اليهودية يعود بلا شك إلى الشتات كظاهرة تاريخية مـــيزت تاريخ اليهود من غيره عن تواريخ الجماعات والشعوب، ويعود التعدد في الـــهويات

اليهودية إلى اختلاف ثقافات البلدان التي تشتت فيها اليهود من ثقافات وثنية إلى ثقافات دينية توحيدية إلى ثقافات علمانية لا دينية إلحادية. وقد تحددت الهويات اليهودية داخل إطار هذه التعددية الثقافية.

**رابعًا : التسميات المختلفة ودلالتها على إشكالية الهوية :**

تشير التسميات عبري –إسرائيلي –يهودي –صهيوني إلى تغير الهوية عبر التاريخ(٥). فالتسميات التي اتخذتها الجماعة اليهودية في التاريخ لها حدود زمنية معينة يجب الالتزام بها. فالمرحلة المسماة بالعبرية في المصادر اليهودية تشير إلى مرحلة عربية خالصة مَثّل العبريون فيها هجرة أو أكثر من الهجرات العربية إلى المنطقة السورية وإلى بلاد النهرين. والشخصيات المهمة التي تحتويها هذه المرحلة ما هي إلا شخصيات عربية مثل إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل عليه السلام الذي ينتسب إليه العرب في شبه الجزيرة العربية وابنه إسحاق عليه السلام. وذرية إسماعيل وإسحاق ذرية عربية قبل أن يستقل الفرع الإسماعيلي عن الفرع الإسحاقي ويستوطن كل منهما منطقة جغرافية مستقلة حيث استقر إسحاق في فلسطين وهي امتداد شمالي لشبه الجزيرة العربية بينما استقرت ذرية إسماعيل في شمال شبه الجزيرة العربية وهي امتداد جنوبي لفلسطين. وقبل أن تتضح معالم أية شخصية عبرانية كانت التسمية الجديدة " إسرائيلي " تُطلق لأول مرة على الجيل الثاني بعد إبراهيم عليه السلام حيث أطلقت التسمية " إسرائيل " لأول مرة على يعقوب عليه السلام فأطلقت عليه التوراة اسم " إسرائيل " بعد حكاية أسطورية مشهورة واردة في التوراة. وقد وردت نفس التسمية في القرآن الكريم ولكن بدون التعليل الأسطوري الوارد في الرواية التوراتية حيث يقول القرآن الكريم : ( كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ( (آل عمران آية ٩٣)، والاستخدام القرآني " بنو إسرائيل " المقصود به " بنو يعقوب " أو " ذرية

يعقوب " عليه السلام. وفي ظل التسمية إسرائيلي لم يبق من التسمية "عبري " سوى الدلالة اللغوية، والإشارة إلى بعض العادات والتقاليد المرتبطة بالمرحلة العبرية والتي نلاحظ أنها عادات وتقاليد عربية في صميمها مما يؤكد الأصل العربي لمن سموا بالعبريين. وكذلك فمصطلح " الهوية العبرانية" لا يصلح للاستخدام لأن المرحلة العبرية مرحلة عربية بالمعنى الواسع لمصطلح عروبة وهي صفة إثنية سيطرت على شعوب المنطقة الداخلية من الشرق الأدنى القديم (شبة الجزيرة العربية وبلاد النهرين والمنطقة السورية) وهي شعوب تعود في أصولها الأولى إلى هجرات من شبه الجزيرة العربية وقد حملت كل هجرة فيما بعد اسم الجماعة العربية التي نتجت عنها. فالآراميون والآكديون والكنعانيون والعبريون والفلسطينيون هم شعوب عربية تكونت بفضل الهجرات العربية إلى بلاد النهرين والمنطقة السورية. والعبريون إذن عرب وليس لهم هوية مستقلة عن الهوية العربية وبخاصة إذا نسبت شخصيات إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب عليهم السلام إلى هذه التسمية " عبري ". فالعادات والتقاليد عربية خالصة، واللغة المستخدمة تكوّن إحدى اللهجات الكنعانية العائدة إلى أصول عربية. ولذلك من الأفضل عدم استخدام مصطلح " الهوية العبرانية " لأنه مصطلح بلا دلالة حقيقية مستقلة عن الدلالة العربية من الناحية الإثنية العرقية. ولم يتميز العبريون إلا بانتمائهم الديني إلى التوحيد من خلال الشخصيات النبوية ويؤكد تفسيرنا هذا عدم استخدام القرآن الكريم للتسمية عبري واستخدامه للتسمية " بنو إسرائيل " لتغطية المرحلتين العبرية والإسرائيلية بل والمرحلة اليهودية أيضًا.

ولعله من الخطأ أيضًا استخدام مصطلح الهوية " العبرانية ". فهو مصطلح بلا دلالة واضحة. فاليهودية تشكلت كدين بداية من القرن السادس قبل الميلاد وخلال مرحلة السبي البابلي. وفي ذلك التاريخ لم يعد هناك استخدام حقيقي للتسمية

" عبري " سوى في المجال اللغوي. وأصبح التراث نفسه يشار إليه تحت مسمى التراث الإسرائيلي وليس التراث العبري بما يعني أن كلمة " عبري " تم تحديدها داخل دائرة الاستخدام اللغوي فقط ولم تعد تحمل أية دلالات أخرى. ولذلك فالتركيبة " الهوية العبرانية اليهودية " ليست صحيحة تاريخيا ولا تراثيا ولا إثنيا لأن المرحلة العبرية مرحلة عربية خالصة. واعتقد أن الاستخدام الحديث للتسمية "عبري" متأثر بلغة المصادر اليهودية ومصطلحاتها التي تحاول أن تؤصل للتاريخ اليهودي باختلاق مرحلة عبرانية على المستوى الإثني والعرقي وهي مرحلة لا وجود لها. والمعنى المعطي للتسمية " عبري " بمعنى العابر أو المتجول أو المرتحل من مكان إلى آخر إنما يشير إلى طبيعة الحياة البدوية العربية التي اعتمدت على حياة الرحلة والتنقل من مكان إلى آخر سعيا وراء الكلأ وهي من طبيعة الجماعات البدوية الرعوية، أو التي تعيش على الرعي كمصدر أساسي للرزق.

وهناك استخدام خاطئ لتعبير جديد " هوية يهودية عربية إسلامية " وهو تعبير غير موفق أو تسمية فيها خلط شديد. فالتأثر اليهودي بالثقافة الإسلامية في العصر الوسيط لا يجعل من اليهودي مسلما. نعم هناك يهودي عربي أو مسلم عربي، ولكن لا يمكن أن يكون هناك يهودي عربي مسلم. والقرآن الكريم نفى عن إبراهيم عليه السلام أن يكون يهوديا : ( ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ( (آل عمران آية ٦٧)، فالجمع بين اليهودية والإسلام في شخص واحد مستحيل ويهود العصر الوسيط في المجتمع الإسلامي لم يصبحوا مسلمين إنما هم متأثرون فقط بالثقافة الإسلامية ومستفيدون منها في فهم يهوديتهم وتفسيرها وتنظيمها كما أشرنا من قبل.

أما التسمية " يهودي " فقد ظهرت في القرن السادس قبل الميلاد بعد عدة ملابسات سياسية أدت إلى ظهور هذه التسمية واكتسابها دلالة دينية بعد أن كانت دلالتها سياسية خالصة. فالمعروف أن الدولتين اللتين نتجتا عن انقسام مملكة سليمان عليه السلام احتلت الأولى منهما منطقة جنوب فلسطين المسماة " يهوذا " في كتاب العهد القديم، بينما ضمت الثانية منطقة الشمال الفلسطيني والمسماة بإسرائيل في العهد القديم. فالتسمية يهوذا إذن تسمية سياسية لكيان سياسي اتخذت دلالة دينية وأصبحت اسما للدين الذي كان يسمى قبل ذلك بدين إسرائيل أو ديانة بني إسرائيل. والسبب في ظهور الدلالة الدينية للتسمية " يهوذى " هو سقوط الشمال سياسيا ودينيا واتجاه الشماليين إلى الجنوب الفلسطيني كمركز ديني عاصمته أورشليم مما أعطى الجنوب وعاصمته مكانة دينية مهمة بعد سقوط السامرة كعاصمة سياسية ودينية للشمال. ومع الأهمية الدينية المتعاظمة للجنوب أطلق اسمه السياسي " يهوذا " على الدين الإسرائيلي. ولم يتبق من التسمية " إسرائيلي " سوى الدلالة العامة وهي دلالة النسبة إلى إسرائيل أي يعقوب عليه السلام وكذلك الدلالة العامة إلى التراث الإسرائيلي العام في المرحلة الإسرائيلية.

**خامسا : الهوية في المجتمع الإسرائيلي المعاصر :**

هناك عدة مستويات للهوية لم تتم معالجتها داخل البحث منها مثلا معالجة إشكالية الهوية اليهودية في مقابل الهوية غير اليهودية وهي إشكالية أدت إلى قسمة البشرية إلى يهود وغير يهود على مستوى النظرة الكونية. وهناك مستوى الهوية اليهودية الحقيقية دينيا في مقابل الهوية اليهودية غير الحقيقية وذلك بقسمة اليهود إلى فريق يمثل الدين الحقيقي وفريق أو فرق أخرى لا تمثل الدين الحقيقي. فاليهودية الحاخامية مثلا تقدم نفسها دائما وأبدا على أنها اليهودية الصحيحة وترفض اليهودية السامرية والقرائية وغيرها. وكذلك يفعل السامريون والقراءون

حيث يدعون أنفسهم أنهم يمثلون اليهودية الحقيقية وإسرائيل الحقيقية في معارضـــة دينية واضحة ضد اليهودية الحاخامية. ثم هناك مستوى الهوية اليهوديـــة الإثنيــة العرقية بقسمة اليهود إلى أشكناز وسفارديم وخزر وفلاشا ويهود غرب ويهود شرق إلى آخر هذه التقسيمات الإثنية العرقية. ويضاف في الفترة الحالية عدة مســتويات جديدة ظهرت بعد قيام إسرائيل منها الحديث عن هوية يهود الداخل فــي إســرائيل ويهود الخارج أو يهود " الدياسبورا " حسب المصطلح اليهودي. وداخل إســـرائيل هناك عدة طروحات للهوية منها الهوية الكنعانيـــة، والهويــة العبريــة والهويــة الإسرائيلية، وهوية الصابرا إلى آخر هذه التقسيمات للهوية اليهودية(٦).

وعادة ما يرد الباحثون الإشكالية الحديثة للهوية اليهودية إلى ظهور العلمانية, وفي هذا يقول رشاد الشامي [ بدأت إشكالية الهوية اليهودية بالنســبة لليـــهود مــع عملية " العلمانية في بداية القرن الثامن عشر، عندما قامت حركة التنوير اليهودية ( الهسكلاه ) بإزاحة الدين اليهودي من موقعه كمحدد رئيسي لمسألة الانتمـــاء بيــن اليهود وطرحت مبدأ " كن يهوديا في بيتك وإنسانا خـــارج بيتــك ]. فالحقيقــة أن إشكالية الهوية اليهودية إشكالية قديمة ترتبط بعوامل تاريخية ودينية قديمـــة ســبق توضيحها. ونضيف إليها هنا أن الهوية اليهودية مرت بأزمات في التاريخ القديـم لا تقل ضراوة عن أزمة الهوية اليهودية في العصر الحديث. ففي العالم القديـــم أدرك الإسرائيلي القديم أنه مختلف دينيا عن بقية البشرية. وهذا الاختلاف الديني جعلـــه يشعر بالتميز ويصبح موضعا للاضطهاد في نفس الوقت. ويعتبر العصر الهللينستي فاصلا بين عهدين فيما يتعلق بقضية الهوية اليهودية. فقبيـــل الغـــزو الإســكندري للشرق الأدنى لم تتعرض اليهودية لحالات اضطهاد فكري أو ديني بـــل تعــرض اليهود لمشكلة الاندماج في الثقافات الأخرى ووقوع التأثيرات الوثنية فـــي الثقافــة اليهودية حيث وقعت اليهودية ووقع اليهود تحت تأثير الثقافات الكنعانية والمصريــة والآشورية والبابلية والفارسية. وتفاعلت اليهودية مع هذه الثقافات وتشربت عنـــها

بعض العناصر الوثنية ولكن بدون تهديد حقيقي للديانة الإسرائيلية أو اليهودية التي ظلت تنظر إلى نفسها على أنها ديانة متميزة وأفضل من الوثنية على الرغم من عدم الرغبة في تغيير الوضع الوثني بسبب إحجام الإسرائيليين واليهود القدامى عن عملية التبشير بين الوثنيين.

ويمثل الغزو الإسكندري نقطة فاصلة في هذا التطور. فلأول مرة يظهر فكر جديد يتصف بأنه فكر ديني من ناحية وفكر غير يفرض نفسه بالقوة والقهر الفكري من ناحية أخرى، الآمر الذي أدى إلى إثارة مشكلة الهوية وطرحها كقضية يهودية كبيرة في ذلك الوقت. فلأول مرة في التاريخ القديم تظهر قوة إمبراطورية لا تتوقف عند حدود فرض السيادة السياسية والعسكرية بل تسعى بالقوة إلى فرض سيادتها الثقافية محاولة تحويل الشرق الأدنى القديم إلى الفكر الهللينستي، وتم تكوين مراكز للثقافة الهللينستية من أهمها أنطاكية والإسكندرية وغيرهما. وبالنسبة لليهود فقد وجدوا أنفسهم لأول مرة أمام ثقافة غير دينية تسعى إلى فرض سيادتها على الثقافة اليهودية بالقوة الأمر الذي أدى إلى انقسام الجماعة اليهودية إلى عدة فرق مختلفة في موقفها من الثقافة اليونانية الهللينستية : الأولى أرثوذكسية متشددة رافضة، والثانية فرقة مرحبة بالثقافة اليونانية مفضلة إياها على الثقافة اليهودية، والثالثة تحاول التوفيق بين الثقافتين المتناقضتين. والثقافة اليونانية هنا يمكن وصفها بأنها ثقافة علمانية بالمعنى الحديث فهي ثقافة عقلانية مصدرها العقل الإنساني، ولا تعترف بمصادر خارجية للمعرفة، وهي رافضة للدين والوحي وهي بذلك أكثر سلبية من العلمانية الحديثة في موقفها من الدين. هذا الانقسام اليهودي إلى ثلاث جماعات يعتبر أشد انقسام في الهوية وقع لليهودية ربما في كل تاريخها. كل ما نؤكده هنا هو أن الخطر الثقافي الهللينستي كان مهددا للهوية اليهودية وبشكل أشد من تهديد العلمانية الحديثة لليهودية.

وبالإضافة إلى التهديد الثقافي الهللينستي للهوية اليهودية كان هناك التهديد المسيحي والإسلامي لها. وهو تهديد يأتي من داخل التراث الديني التوحيدي ولذلك فأثره خطير في تغيير البنية السكانية اليهودية وخلخلتها حيث تحولت جماعات يهودية كثيرة من اليهودية إلى المسيحية والإسلام، أي أن تغييرا شاملا للهوية قم تم على يد المسيحية والإسلام الناقدتين لليهودية من الداخل. ويتمثل الخطر المسيحي الإسلامي على الهوية اليهودية في أن المسيحية اعتبرت نفسها الممثلة للدين التوحيدي الصحيح وأن اليهودية لم تعد ديانة صالحة للإنسان في كل زمان ومكان بل تحولت إلى ديانة خاصة تناسب جماعة خاصة ربطت نفسها بإلهها في علاقة خاصة من خلال عهد خاص. وكذلك نظر الإسلام إلى نفسه على أنه الدين الكامل المصحح للديانات السابقة عليه وبخاصة التوحيدية منها. ورغم التسامح الإسلامي مع اليهود كأهل كتاب فإن اليهودية اعتبرت ديانه في حاجة إلى النقد والتصحيح. والحقيقة أن اليهودية استجابت بشكل غير مباشر للنقد المسيحي والإسلامي وحاولت أن تصحح نفسها وظهرت فرق يهودية تعكس هذا التأثير المسيحي الإسلامي.

أما فيما يتعلق بالطرح الكنعاني فهو طرح مبني على نظرية في الحضارة ترى أن الثقافة الكنعانية القديمة هي الثقافة المحورية في الشرق الأدنى القديم، وأنها تحتوي الثقافة العبرية والثقافة العربية معا. ولذلك فالطرح الكنعاني الحديث لا يمس فقط قضية الهوية اليهودية بل يتجاوز هذه الحدود إلى ادعاء شموليته للثقافة العربية قديما. ومن هنا يرى الكنعانيون الجدد أن الثقافة الكنعانية هي الحل الأمثل لقضية الصراع العربي الإسرائيلي الحالي. ففي الكنعانية كأصل للثقافتين العبرية والعربية – حسب هذا الادعاء – الحل الأمثل للصراع وأن الدولة الجديدة يمكن لها أن تستوعب العرب والإسرائيليين تحت ظل الثقافة الكنعانية الواحدة[٧]. وهذا مكمن الخطورة في النظرية الكنعانية. وكان من الضروري الاهتمام بنقد هذه النظرية وبالذات على المستوى الفكري المهدد للثقافة العربية حيث يسعى الكنعانيون الجدد

إلى طمس الثقافة العربية من خلال ادعاء أصالة الثقافة الكنعانية واحتوائـــها علـــى الثقافة العربية.

والحقيقة أن الكنعانيين القدامى أصحاب ثقافة محدودة تتكون مـــن عنـــاصر أسطورية وثنية متدنية تعتمد على فكر ديني وثني طبيعي محوره الرئيسي مفـــهوم الخصوبة والإنبات. والانتشار الكنعاني القديم انتشار وثني وليس انتشارا حضاريـــا بالمعنى المفهوم. فالكنعانيون لم يملكوا حضارة قوية يمكن مقابلتـــها بالحضـــارات العظيمة في الشرق الأدنى القديم مثل حضارات المصريين والآشوريين والبـــابليين والفرس وغيرهم. ولا يوجد ما يميز الثقافة الكنعانية عن غيرها وانتشـــارها فـــي العالم القديم يعود إلى النشاط التجاري للكنعانيين، وهو ليس دليلا على رقي الثقافـــة الكنعانية. فهي ثقافة متدنية من حيث المحتوى ومعظم تراثها أسطوري، وتأثيرهـــا في الديانة الإسرائيلية وفي بني إسرائيل إنما يعود إلى ضعف ديني وانبهار بالثقافـة الزراعية التي انخرط الإسرائيليون القدامى فيها بعد خروجهم من مصر ودخولـــهم أرض كنعان (فلسطين). أما مسألة احتواء الثقافة الكنعانية للثقافـــة العربيـــة فـــهي مغالطة واضحة بهدف طمس الثقافة العربية القديمة والحكم عليها بأنها ليست ثقافـة أصيلة. والحقيقة أن العكس هو الصحيـــح فالنظريـــة الســـائدة الآن بيـــن علمـــاء الحضارات " السامية " هي أن الثقافة العربية هي الأصل، وأن الكنعانيين مثلهم مثل بقية الساميين إنما يعودون بأصولهم الأولى إلى شبه الجزيرة العربية وأنهم تكونـــوا كشعب مستقل عن طريق الهجرات العربية القديمة إلى المنطقة الســـورية. ومـــن ناحية أخرى فإن ثقافتهم ليست على مستوى أصالة الثقافة العربيـــة القديمـــة. فقـــد اختلط الكنعانيون بمعظم شعوب حوض البحر الأبيض المتوسط وشعوب المنطقـــة السورية ووقعوا تحت التأثير الثقافي لمعظم شعوب المنطقة، واندمجوا ثقافيـــا فـــي غيرهم بينما حافظت الثقافة العربية على أصالتها داخل شـــبه الجزيـــرة العربيـــة، وظلت دائما مؤثرة في غيرها من خلال الهجرات، ومحافظة على كيانها الأصلـــي

داخل شبه الجزيرة العربية.

أما مسألة الثقافة الكنعانية تمثل علاجا للصراع العربي الإسرائيلي على المستوى الثقافي فهي مسألة تنطوي على امتداد للمغالطة السابقة، وذلك لأنه من الناحية النظرية لا يوجد ما يمكن أن نسميه في عصرنا الحالي بالثقافة الكنعانية. وقد باءت محاولة إحياء هذه الثقافة على المستوى النظري بالفشل الذريع. والفكرة لا تخرج عن كونها خيالا جامحا لبعض المفكرين الإسرائيليين المعاصرين. وفلسطين ستظل محكومة بالثقافة العربية رغم السيادة السياسية للثقافة العبرية، وهي سيادة محصورة داخل الدائرة الإسرائيلية بحكم أنها ثقافة إثنية عنصرية لا تصلح لأن تصبح ثقافة عامة لكل فلسطين. وتبقى الثقافة العربية كأساس لحل المعضلة الثقافية في فلسطين ففيها الخروج من مأزق العنصرية الثقافية العبرية المسيطرة على الكيان الصهيوني بكل متناقضاتها. وفيها أيضا الخروج من وهم الثقافة الكنعانية الذي يعيش عليه نفر قليل من الأدباء الإسرائيليين.

ولا شك في أن إشكالية الهوية في إسرائيل تزداد وضوحا في إطار الوجود الفلسطيني حيث يوجد دور فلسطيني مهم في قضية الهوية. وهو دور مؤثر وفعال ومحدد للهوية اليهودية في إسرائيل، ومهدد له في نفس الوقت. فأمام العربي الفلسطيني تنحسر كل الخلافات اليهودية حول موضوع الهوية وتجد كل الطروحات الكنعانية والعبرية والإسرائيلية واليهودية نفسها في خندق واحد. فالوجود العربي الفلسطيني يمثل المأزق الحقيقي للهوية اليهودية للدولة، وكما أنه يحدد هذه الهوية في شكل حاسم فهو أيضا المهدد الأول لهذه الهوية. فالهوية اليهودية لا تظهر بوضوح داخل الكيان الصهيوني إلا عند مواجهتها بالشخصية العربية الفلسطينية الممثلة لهوية قومية ودينية مختلفة تمثل في الحقيقة التهديد الرئيسي للهوية اليهودية داخل إسرائيل الآن وفي المستقبل.

# الفصل الرابع

## الصراع بين المتدينين والعلمانيين
## داخل المجتمع الإسرائيلي

يمثل الصراع بين المتدينين والعلمانيين في إسرائيل إحدى القضايا الأساسية داخل المجتمع الإسرائيلي. وهو صراع يعكس الحرب الثقافية الدائرة داخل عدة دوائر منها الدائرة اليهودية العلمانية. والدائرة اليهودية الإسرائيلية. وهي تهتم بتحديد من هو اليهودي ؟ ومن هو الإسرائيلي ؟ وهل ثمة تعارض بين الهويتين. وهناك دائرة ثالثة للصراع الثقافي بين يهود الداخل في إسرائيل ويهود الخارج، وقد دارت حول قانون التدين الذي أثار العديد من المشاكل. ويضاف إلى هذه الدوائر المتعددة للحرب الثقافية السؤال الحائر هل إسرائيل بلد شرقي أم بلد غربي ؟ وهل يجب أن تحافظ على غربيتها أم تتجه ثقافيًا في اتجاه الشرقنة أي تصبح بلدًا شرقيًا؟

ولاشك أن كل هذه الوجوه للحرب الثقافية سيكون لها دور في تشكيل المجتمع الإسرائيلي بعد السلام أو في ظل السلام. بل إن هذا الصراع الثقافي يهدد السلام تهديدًا مباشرًا. وذلك لأن الأيديولوجية الصهيونية بنت علاقتها مع العرب على أساس من استمرارية الصراع بآلياته الصهيونية المختلفة من اعتماد على مبدأ القوة بما يولده من مظاهر للعنف والعدوان والظلم والاضطهاد للآخر من أجل سلامة المجتمع اليهودي. والاضطرار إلى الدخول في السلام مع العرب معناه صهيونيًا التخلي عن مبدأ الصراع واستمراريته وبالتالي اتجاه الصراع إلى الداخل وهو الأمر الذي تخشاه الصهيونية. وبالفعل بدأت بوادر الحرب الثقافية بمجرد دخول إسرائيل في عمليات التفاوض مع العرب. وكذلك بدأت السياسة الإسرائيلية تجاه السلام تتغير لعدة أسباب منذ تولي نيتانياهو وبارك وشارون لمقاليد الحكم. وكأنهم مطلقون بالفعل بتعطيل العملية السلمية أو تدميرها بالكامل من خلال الإلغاء الفعلي لكل الاتفاقيات التي تمت.

ومن أهم أسباب تعطيل السلام والعملية السلمية في الوقت الحالي :

أولاً : الدخول في الألفية الثالثة وذلك على المستوى اليهودي وعلى المستوى المسيحي. فكما ذكرنا سابقًا بدأت تنتعش على المسرح المشاعر المسيحانية لدى اليهود والمسيحيين وهي مشاعر تتفق في مسألة جمع الشتات اليهودي في فلسطين وقدوم المسيح المخلص، وإقامة المملكة، وإنشاء الهيكل وإعادة بنائه كما يقال. وكل هذه المسائل ترتبط عند الأصولية المسيحية بقيام حرب كبرى ويلاحظ أن كل هذه الآمال المسيحانية لها تأثير عكسي على العملية السلمية خاصة إذا وضعنا في الاعتبار مسألة الحرب الكبرى التي يتوقع الجميع قيامها. وهي تسمى أحيانًا حرب يأجوج ومأجوج في الفكر المسيحاني يهوديًا كان أو مسيحيًا(١).

ثانيًا : أن بوادر الصراع بدأت في الظهور بشكل قوي داخل المجتمع الإسرائيلي الأمر الذي يقوي التفكير الخاص بأن السلام قد يكون مهددًا للمجتمع الإسرائيلي. ويلاحظ أنه في استطلاعات الرأي الأخيرة تدهورت مكانة مشكلة الشرق الأوسط والصراع مع العرب واحتلت المرتبة الأخيرة كقضية بين الإسرائيليين، واحتل الصراع بين المتدينين والعلمانيين المكان الأول في دائرة اهتمامات الرأي العام الإسرائيلي، ويأتي بعده في الأهمية موضوع البطالة والمشاكل الاقتصادية. ولاشك في أن السبب في هذا التدهور لمكانة الصراع العربي الإسرائيلي يعود إلى السلام نفسه، فقد بدأ المجتمع الإسرائيلي يشعر بالسلام ويستقر ومرت ٢٩ سنة بدون حروب كبرى مما أدى إلى الإحساس العام بالأمان تجاه قضية الشرق الأوسط والصراع مع العرب لتظهر المشاكل الحقيقية داخل المجتمع الإسرائيلي وعلى

رأسها مسألة الصراع الديني العلماني. وقد حرصت الحكومات الإسرائيلية دائمًا على توظيف الصراع العربي الإسرائيلي كعامل مساعد في التقريب بين المتدينين والعلمانيين وتوجيه الاتجاهات العدائية نحو العرب(٢).

ويعتبر هذا التطور مهددًا للسلام وذلك لأن توجيه الاهتمام للصراع الديني والعلماني على حساب السلام يعد مشكلة كبيرة تحتاج إلى مراجعة إسرائيلية حتى لا تضيع فرصة السلام ولا يخضع السلام لأية تأثيرات أخرى قد تؤدي إلى ضياعه ومن الضروري التحكم في المشاعر الدينية التي ستطرأ بسبب الألفية الثالثة.

ويعود الصراع بين العلمانيين والمتدينين في إسرائيل إلى ما قبل قيام الدولة ولا يعتبر صراعًا حديثًا، ولكنه صراع قديم مرتبط بالصراع بين العلمانيين والمتدينين اليهود في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية قبل أن تنشأ إسرائيل(٣).

لقد انقسم المجتمع اليهودي خارج فلسطين إلى غالبية علمانية وأقلية متدينة حيث سيطرت الثقافة العلمانية للدول الأوروبية ولأمريكا على حياة اليهود فيها. فقد أصاب اليهود فيها ما أصاب بقية مواطني هذه الدول. وعلى الرغم من أن نشأة الصراع العلماني الديني في الغرب يعود إلى توتر العلاقة بين الكنيسة المسيحية والمؤسسات الدينية وظهور ما يسمى بالصراع بين البابوية والدولة أو بين السلطة الدينية والسلطة الدنيوية، وعلى الرغم من هذا فإن هذا الصراع المسيحي أدى إلى انفصال الدولة عن الدين وتطور نظم الحكم العلمانية المستقلة عن الدين والبابوية، وهذا الانفصال بين الدين والدولة أثر على كل مواطني أوروبا وأمريكا بصرف النظر عن ديانتهم. فقد تحول مجتمع العصر الوسيط المسيحي إلى مجتمع العصر الحديث العلماني المنفصل عن الدين. ووقع يهود أوروبا تحت هذا التأثير وتحول يهود أوروبا إلى الاتجاهات العلمانية بل إن بعضهم خرج على حدود العلمانية

المنفصلة عن الدين إلى علمانية إلحادية لا تعترف بالدين ولا بالألوهية كما هو الحال في بعض التيارات العلمانية الإلحادية التي انتشرت في أوروبا وبخاصة في أوربا الشرقية والتي اكتسحتها في القرن العشرين موجة الشيوعية والاشتراكية الرافضة للدين والملحدة غير المقرة بوجود الألوهية بل واعتبرت الدين أفيون الشعوب، والألوهية من أوهام العقل الإنساني. واليهود في أوربا الشرقية (وكذلك في أوربا الغربية) لم يكونوا متفرجين على هذا التطور في الفكر الغربي بل كانوا من صناعه ويكفي أن نذكر كارل ماركس اليهودي الذي طور الاشتراكية والشيوعية ودور كايم الذي وضع الأسس النظرية للعلوم الاجتماعية وهي أسس وضعية لا تقر بالدين ولا تعترف به كأساس منظم للحياة الإنسانية، وسيجموند فرويد الذي أسس علم النفس التحليلي والذي وضع نظرية كاملة في الدين ترده إلى أوهام العقل البشري، وتعتبر الألوهية من وساوس هذا العقل وأنه لا توجد ألوهية ولا إله ولكنها حاجة الإنسان السيكولوجية إلى من يرعاه ويحفظه وهو دور يقوم به الأب الذي هو مصدر السلطة وهو مصدر الرهبة والحب بالنسبة للطفل وعلى صورة الأب تم صياغة صورة الإله وهي صورة وهمية ومن أمراض العقل الإنساني وقد سجل فرويد هذا كله في كتابه المشهور " الدين كوهم " . Religion as an Illusion

صلة اليهود إذن بتطور العلمانية في الغرب صلة قوية وهناك مئات من المفكرين اليهود الذين لعبوا دورًا كبيرًا في صياغة النظريات العلمانية وترويجها ليس بين اليهود فقط ولكن بين جمهور المواطنين في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية.

ومع حركة الهجرة اليهودية إلى فلسطين التي بدأتها الحركة الصهيونية الاستيطانية هاجر إلى فلسطين في موجات الهجرة المتعاقبة أفواج من اليهود

العلمانيين الذي على أكتافهم قامت إسرائيل. ويكفي أن نذكر في هذا الخصوص أن تيودور هرتسل مؤسس الحركة الصهيونية السياسية وزعيمها الأول كان يهوديًا علمانيًا بكل معاني الكلمة فهو تربى في أسرة يهودية علمانية بعيدة عن الأخذ بتعاليم الدين اليهودي وليست متأصلة في التراث الديني اليهودي.

ونضيف إلى هذا أن الجماعات اليهودية المتدينة في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وفي دول أمريكا اللاتينية وغيرها لم ترحب بالفكرة الصهيونية ورفضت في البداية الاعتراف بها وذلك بسبب علمانية الحركة الصهيونية من ناحية وعدم اقتناعها بالتفسير الصهيوني لمفهوم الخلاص وبعقيدة المسيح المخلص. ولذلك وجدنا أن هناك فرقًا دينية يهودية ترفض الصهيونية ولا تعترف بالخلاص الذي تدعي أنها حققته وسبب الرفض يعود إلى التدخل الصهيوني في العقيدة الدينية اليهودية الموروثة عن الخلاص والمسيح المخلص. ومن أهم مظاهر هذا التدخل عدم الاعتراف بظهور المسيح المخلص بشروطه المعروفة في التراث الديني اليهودي. والقول بأن الصهيونية هي المسيح المخلص في شكل جماعة أو حركة وأنه ليس بالضرورة أن يكون المسيح شخصًا. وكذلك تم رفض الصهيونية لأنها استعجلت الخلاص على حسب تعبير المتدينين فهي لم تنتظر الخلاص الديني على يد مسيح مخلص منتظر وأتت بخلاص علماني على يد حركة سياسية قومية.

وهكذا فبذور الصراع الديني العلماني الذي نشاهده اليوم على الساحة الإسرائيلية إنما هو صراع قديم ظهر خارج فلسطين وتم نقله إلى فلسطين بواسطة الهجرات الصهيونية إليها مع ظهور الحركة الصهيونية(٤).

ويعتبر الصراع بين المتدينين والعلمانيين داخل المجتمع الإسرائيلي من أهم الانشقاقات الواقعة في إسرائيل. وقد احتل هذا الصراع المكانة الأولى في الأهمية لدى الإسرائيليين. وقد أشارت بعض استطلاعات الرأي الأخيرة إلى أن الصراع

بين المتدينين والعلمانيين يأتي قبل الصراع مع الفلسطينيين والعرب والذي تدنى إلى المرتبة الرابعة من الأهمية حيث سبقته قضايا أخرى مثل البطالة والجريمة والصراع الطبقي.

ويعود الصراع بين المتدينين والعلمانيين إلى ازدواجية أو ثنائية واضحة في تركيبة المجتمع الإسرائيلي منذ بدايته. وهي ثنائية موروثة من فترة ما قبل قيام الدولة فالصهيونية المسئولة عن قيام الدولة وهي الصهيونية السياسية صهيونية تيودور هرتسل التي لخصت المشكلة اليهودية في أنها مشكلة سياسية ولم تنظر إليها أبدًا على أنها مشكلة دينية. وكانت الصهيونية المضادة لصهيونية هرتسل هي الصهيونية الروحية أو الثقافية لآحاد هاعم الذي رأى أن المشكلة اليهودية مشكلة ثقافية وليست سياسية، فاليهود ليسوا في حاجة إلى إنشاء علاج دولة لأنهم يعيشون مطمئنين آمنين في الدول الأوربية وأمريكا وغيرها. ولكنهم في حاجة إلى مشكلتهم الروحية وذلك بتحقيق العودة إلى التراث والثقافة اليهودية. أما فلسطين والقدس فهي بالنسبة للصهيونية الثقافية مجرد مركز روحي أو ثقافي تتجه إليه أنظار اليهود كقبلة ثقافية يتجهون إليها ولم ينظروا إليها نظرة الصهيونية السياسية إليها كعاصمة سياسية لدولة تجمع اليهود المشتتين في العالم(٥).

لذلك نجد أن نشأة إسرائيل يغلب عليها الطابع العلماني فقد أسسها العلمانيون ودور المتدينين في إنشائها ضعيف. وقد سيطر عليها يهود الغرب الأشكناز بميولهم العلمانية. وكذلك أخذت الدولة شكل الدولة العلمانية فنظم الحكم في إسرائيل هي النظم العلمانية والتشريعات تتم داخل مؤسسات علمانية، والأحزاب الموجودة معظمها أحزاب علمانية. والشارع الإسرائيلي شارع علماني، والثقافة الإسرائيلية السائدة ثقافة علمانية.

لقد تحررت إسرائيل من الدين وأصبحت دولة علمانيـــة خالصـــة. والـــدور المعطى للدين ارتبط بالشتات حين تفرق اليهود بين دول العالم ولعب الدين الـــدور الأساسي في توحيد اليهود. ويعتبر الدين مسئولاً عن الطـــابع الشـــتاتي للمجتمـــع اليهودي، وينظر إليه معظم الصهاينة على أنه شيء من الماضي ولا يصلـــح لأن يلعب دوراً في حياة الدولة الحديثة. والتحرر من الدين جزء مـــن التطـــور الـــذي يضمن دخول المجتمع اليهودي في العصر الحديث وهو اعتبر شـــرطًا ضروريًـــا لبناء مجتمع يهودي في فلسطين في القرن العشرين. ولذلك شكل المتدينـــون أقليـــة صغيرة داخل الحركة الصهيونية، كما شكل الصهاينة أيضًا أقلية صغيرة بين اليهود المتدينين حتى بعد الحرب العالية الثانية.

وقامت العلاقة بين الصهيونية واليهودية على أساس من اســـتغلال الأولـــى للثانية. فالصهاينة عادة ما يلجأون إلى اليهودية لاستخدام بعض رموزها ومضامينها في دعايتهم بين الأوساط اليهودية. فقد استخدموا مثلاً بعض الرموز الدينيـــة مثـــل المنورا وشمعدان الحانوكا وغيرها وعملوا على إعطاء صبغـــة دينيـــة خارجيـــة لحركتهم العلمانية الأصول والطبيعة. وكان لذلك أسبابه فالصهاينة الذين قدموا مـــن شرق أوربا نشأوا أصلاً في مجتمعات متشبعة بالمناخ الديني المحافظ وقد عزلـــوا أنفسهم عن هذه الثقافة الدينية، وأصبحوا علمانيين في مواقفهم ومشاعرهم.

وقد استعاروا فيما بعد بعض رموز الثقافة اليهودية مثلما فعل تيودور هرتسل الذي اقترح أن يظهر في العلم الصهيوني سبعة نجوم ذهبية على خلفيـــة بيضـــاء كرمز لأيام الأسبوع السبعة، ويعكس هذا رؤية اجتماعية علمانية لم تتـــم الموافقـــة عليها لأنها لن تجذب اليهود إلى شيء ثقافي يهودي، ونجح الاقتراح الـــذي جعـــل العلم الصهيوني يحمل شال الصلاة عند اليهود والذي يتشح به اليهود في الصلاة مع إضافة نجمة داود السداسية. ومعنى هذا أن الرمز المعطي على العلم الصـــهيوني

كان رمزًا علمانيًا في البداية ثم تحول إلى رمز ديني. وهو استخدام صهيوني علماني للرموز الدينية وتوظيف لها ولا يشير إلى أصالة دينية في الصهيونية العلمانية(٦).

وقد أثر على علاقة الصهيونية بالدين أن معظم اليهود المتدينين ظلوا متحفظين على الصهيونية وأن بعضهم اتخذ موقفًا معاديًا منها. والمتدينون الذين انضموا إلى الحركة الصهيونية طالبوا من البداية أن يكون الكيان السياسي أو الدولة المراد إنشاؤها دولة دينية بقدر يسمح لليهود المتدينين بالانحياز إليها والمشاركة فيها. ولأن هذا لم يحدث فقد حملت الدولة العلمانية الناشئة في داخلها بذور الصراع العلماني الديني والذي بدأت آثاره تظهر في المجتمع الإسرائيلي بعد قيام الدولة مباشرة.

**مجالات الصراع :**

وهناك عدة مجالات يتمحور حولها الصراع بين المتدينين والعلمانيين في المجتمع الإسرائيلي :

**المجال الأول :** هو بطبيعة الحال مجال الحياة الاجتماعية حيث يختلف أسلوب الحياة الاجتماعية لدى المتدينين عنه لدى العلمانيين. والدولة في حد ذاتها تقوم على أساس غربي علماني يفصل بين الدين والدولة، ويبعد الدين عن ممارسة سيادته في المجتمع. أما رؤية المتدينين للحياة الاجتماعية فهي رؤية دينية تقوم على أساس من أحكام التوراة وتشريعاتها ولا تعترف بالمبادئ السياسية الحديثة من ديموقراطية وسيادة شعبية وقوانين وضعية تنظم علاقات الأفراد مع بعضهم البعض. فهذه العلاقات ينظمها الدين لا الدولة، ودستور الدولة هو التوراة، وكل فرد في الدولة مسئول عن تنفيذ أحكام ووصايا التوراة على الأرض.

ومن الواضح أن هاتين الرؤيتين للحياة الاجتماعية وأسلوب إدارتها يتناقضان تناقضًا واضحًا. وقد كشف الجدل الذي ثار عند إنشاء إسرائيل حول صياغة الدستور خلال السنوات الأولى من قيام الدولة عن عدم القدرة على التوصل إلى اتفاق حول هذه المسألة المهمة والخطيرة وذلك لارتباطها المباشر بأسلوب إدارة الحياة الإسرائيلية وفقًا للأسلوب الديني التوراتي أو الأسلوب السياسي المدني الدستوري(٧).

ولذلك اتخذ قرار بتأجيل كتابة الدستور ووضعه من أجل حسم القضايا الأساسية واتفق أطراف الجدال على ألا يتفقوا. ويبدو أن هذا هو الأسلوب الإسرائيلي المفضل في المسائل الخلافية حيث تترك المسائل لتحل نفسها بنفسها. وهو أسلوب خطير سيؤدي إلى انشقاق كبير داخل المجتمع الإسرائيلي بدأت معالمه تظهر إلى الوجود بعد دخول الصراع العربي الإسرائيلي في مرحلة المفاوضات في الطريق إلى السلام. فقد كانت الحرب إحدى وسائل إسرائيل الأساسية لعلاج المشاكل الداخلية. وكان العدو الخارجي هو الهدف الواحد المشترك. وكان لابد من خلق هذا العدو الخارجي إن لم يكن له وجود حتى توجَّه إليه الطاقات الإسرائيلية علمانية أو دينية.

والآن مر على إسرائيل أكثر من ربع قرن بدون حروب مفتعلة مع العرب ودخلت المنطقة في مرحلة جديدة هدفها تحقيق السلام. ومع ذلك فإسرائيل لا تزال تبحث عن مخرج خارجي لأزماتها الداخلية. فهناك الجنوب اللبناني رغم الفشل الإسرائيلي العسكري الكبير هناك. ولا يزال الصراع مع الفلسطينيين قائمًا لا يرغب الإسرائيليون في علاجه والتوصل إلى سلام مع الفلسطينيين والعرب عمومًا لأن هذا في النهاية سيؤدي إلى اختفاء العدو الخارجي وبروز العداء الداخلي بما سيحدثه هذا من انشقاق اجتماعي وتدهور داخلي في العلاقات بين طرفي المجتمع :

العلمانيون من ناحية والمتدينون من ناحية أخرى. وهذا الصراع لن ينتصر فيه أحد ولا يمكن أن يحسمه أحد ولذلك فهو صراع أزلي داخل المجتمع الإسرائيلي فلا العلمانيون سيقبلون الحياة في دولة دينية، ولا المتدينون سيقبلون الحياة في دولة علمانية تأخذ بدساتير وضعية ولا تعترف بالتوراة كدستور للدولة وكأساس لأسلوب الحياة الاجتماعية. ويبدو أن الوفاق في مثل هذه المسألة غير ممكن. فالتنازل من الجانب المتدين معناه قبول الإطار العلماني للدولة، والتنازل من جانب العلمانيين معناه بداية الاعتراف بالشكل الديني للدولة مع الوضع في الاعتبار بأن العلمانيين أغلبية مسيطرة على كل أجهزة الدولة ومؤسساتها. وإذا كان الفصل بين الدين والدولة مرفوضًا عند المتدينين فإن الجمع بين الدين والدولة مرفوض عند غالبية المجتمع.

ونضرب على هذا مثالاً بمطالبة المتدينين بأن يتبع كل اليهود في الدولة - حتى لو كانوا علمانيين -الشرائع الدينية في مجالات معينة من الحياة الاجتماعية مثل الزواج والطلاق والوصايا الخاصة بالسبت وطقوسه. وقد قبلت القيادة العلمانية هذه المطالب تحت الضغط الديني وأخذا بمبدأ الإبقاء على الوضع القائم. ومعنى هذا المطلب من المتدينين أنهم قبلوا التنازل عن فرض الشريعة اليهودية في بقية مناحي الحياة الإسرائيلية. ويتنازل العلمانيون عن مبدأ الحرية في مجال الأحوال الشخصية. ولا شك في أن هذا القبول من الطرفين هو أشبه بالهدنة التي توقع بين طرفين متعاديين متناقضين. ولأنها هدنة فهي وضع مؤقت سرعان ما يسقط تحت ضغط الحياة الاجتماعية والمتغيرات التي يمر بها المجتمع الإسرائيلي[٨].

ومن المجالات التي يظهر فيها الخلاف الديني العلماني في المجتمع الإسرائيلي المجال الخاص بمطالب اليهود المتدينين كجماعة خاصة داخل مجتمع علماني حيث يصعب على اليهود المتدينين أن يطبقوا عاداتهم الدينية اليهودية في

مجالات عديدة مثل الحياة العامة والتعليم والجيش طبقًا لرؤيتهم لـــهذه المجـــالات. ويرغب المتدينون في السماح لهم بتطبيق العادات الخاصة بهم حتى إذا لم تتفق مع قيم وعادات المجتمع الإسرائيلي العلماني(٩).

وقد أدى هذا الوضع إلى نشأة جيوب دينية داخل المجتمع الإسرائيلي. فــهناك مؤسسات دينية خاصة تبدأ من رياض الأطفال إلى الجامعة، وهناك التعليم الدينـــي المنتشر في مدارس ومعاهد وجامعات دينية يسيطر عليها ويديرها القطاع الدينـــي داخل المجتمع. وهناك مسألة إعفاء الدارسين في المدارس الدينية من الخدمة فـــي الجيش الإسرائيلي(١٠).

وقد أدى وجود هذه الجيوب الدينية داخل الدولة إلى حدوث خلافـــات عامـــة تتكرر منذ قيام الدولة وحتى الآن ولا تستطيع الدولة أن تفكر في القضاء على هـــذه الجيوب الدينية أو إلغائها. فكل المنظمات السياسية في الدولة قبلت هذا الوضع أخذًا بمبدأ تأجيل المشكلة لا حسمها. وعلى الرغم من محاولات إخفاء المشكلة أو التعامل معها بهذا الشكل السلبي فإن المسألة تتضخم يومًا بعد يوم. وقد شـــهدت الســـنوات القليلة الماضية ظهور هذه المشكلة بشكل كبير، وبدأت الأسئلة تطرح حول شـــكل الشارع الإسرائيلي بعد أن بدأت الجماعات الدينية تهيمن على بعـــض القطاعـــات، وتحاول فرض رؤيتها الدينية بالقوة وفرض أسلوبها الديني للحياة في بعض أجـــزاء من المدينة الإسرائيلية أو من الشارع الإسرائيلي(١١).

وقـــد بدأ في الظهور أيضًا التساؤل الكبير : مـــن هـــو اليـــهودي ؟ ومـــن المعروف أن القانون الإسرائيلي يتعامل مع مفهوم اليهودي من خلال قانون العـــودة ومن خلال تسجيل المواطنين. وقد أدى الجدل حول هذين الأمرين إلى خلق توترات حادة بين المتدينين والعلمانيين بل لقد أدت إلى سقوط بعض الحكومات الإسرائيلية، فقانون العودة يرسم الطابع اليهودي للدولة ويحدد تسجيل السكان الإطار الذي يرسم

حدود المجتمع وهوية الأشخاص الذين يعيشون داخله.

وتقوم الرؤية القومية اليهودية على هذين القانونين ويرى البعض أنه من الممكن أن تشتمل القومية اليهودية على موقف يهودي ديني وموقف يهودي علماني. وعلى كل حال نشأت صراعات سياسية وقانونية حول مسألة من هو اليهودي هدفها من ناحية رفض تقديم تفسير علماني للقومية اليهودية في دولة إسرائيل. ومن الناحية القانونية والشرعية اعتمد المعيار الأرثوذكسي لتجديد انتماء المواطنين إلى القومية اليهودية داخل إسرائيل. ومن المسائل المرتبطة بمسألة تحديد الهوية اليهودية تحديد صلاحيات حاخامات الاتجاهات الدينية اليهودية غير الأرثوذكسية مثل التيار الديني المحافظ، والتيار الديني الإصلاحي وبخاصة لأن المسألة مرتبطة بشكل معقد بموضوع علاقات يهود الداخل في إسرائيل بيهود الخارج في الولايات المتحدة الأمريكية وفي الدول الأوربية حيث يوجد أكبر تجمع يهودي ديني إصلاحي ومحافظ. وكانت المسألة المثارة هي عدم صلاحية الحاخام اليهودي المحافظ أو الإصلاحي للقيام بالتهويد في إسرائيل، أو ممارسة الطقوس الخاصة بالزواج والطلاق داخل إسرائيل على الرغم من أنهم يقومون خارج إسرائيل بكل هذه الأعمال داخل التجمعات اليهودية الأمريكية والأوربية.

ومن ناحية أخرى هناك المشاكل المثارة حول طبيعة الحياة الإسرائيلية حيث نشأت صراعات دينية علمانية حول نمط الحياة داخل إسرائيل مثل ما يتصل بالعمل في يوم السبت وتسيير المواصلات العامة، والإعلانات التي تعرض جسد المرأة ومفاتنها بشكل فاضح، والمسائل المرتبطة بطقوس الدفن وتشريح جثث الموتى ومسائل الزواج والطلاق[١٢].

وفي النهاية ينتصر مبدأ الوضع القائم فالمشاكل ليست قابلة للحل والتنازلات تكون على حساب المبدأ الديني أو العلماني. والخلافات يحلها الأمر الواقع حين

تعرض على الأحزاب الدينية والعلمانية التي عادة ما تصل إلى قرار الإبقاء علـــى الوضع القائم. وهو قرار لا يحل المشكلة بل يدفنها كقنبلة موقوتة ستنفجر حيـــن لا يفلح الوضع القائم في حلها.

ومن أهم مواقف الخلاف بين المتدينين والعلمانيين في المجتمع الإســـرائيلي الموقف من الحداثة والمعاصرة. وهذا الاختلاف موروث مـــن حيـــاة الجماعـــات اليهودية في أوربا والتي واجهت الحداثة لأول مرة وكان رد الفعل تجاهها عنيفًـــا ومثيرًا للجدل في الأوساط اليهودية. وقد انتهى الأمر إلى انشقاق اليهودية إلى عـــدة فرق تمسكت فيها الفرقة اليهودية الأرثوذكسية بطبيعة الحياة اليهودية التقليدية قبـــل ظهور موجة الحداثة، بينما ظهرت فرق يهودية حديثة كان ظهورها بمثابة رد فعل ضد الموقف الأرثوذكسي المتشدد تجاه الحداثة. ولذلك فظهور المذهبين الإصلاحـــي والمحافظ هو إحدى نتائج التقاء الثقافة اليهودية التقليدية بالثقافة الحديثة وبخاصة في أوربا الغربية وفي الولايات المتحدة الأمريكية. أما الوضع في دول أوربا الشـــرقية فقد كان وضعًا دراميًا مأساويًا حيث نظرت اليهودية الأرثوذكسية إلى الحداثة علـــى أنها تعني الفساد والدمار للحياة اليهودية ولمعطيات اليهودية الأرثوذكسية. وقد نادت اليهودية المتشددة بإقامة حواجز تفصل بين العالم اليهودي الذي يجب الحفاظ عليـــه كما هو وبين العالم الخارجي المتغير حيث ينظر إلى قيم العالم الحديث على أنها قيم سلبية مدمرة.

وكانت هذه نقطة خلاف رئيسية بين الاتجاه الديني والاتجاه العلماني. فقيـــم الحرية والرفاهية والانفتاح والاندماج والنفعية المادية والاجتماعية كلها تعتبر مـــن الطبيعة الإنسانية حسب الفهم العلماني بينما هي خطط لتدمير اليهودية من وجهـــة نظر الأرثوذكسية وهي ستؤدي في النهاية إلى تدمير العالم كله[١٣].

ونتيجة لانعدام المنطق في هذا الرأي الأرثوذكسي المتجمد أو المتشدد تجـــاه

الحداثة ظهر تيار أرثوذكسي يهودي جديد سمى نفسه بالأرثوذكسية الجديدة New Orthodoxy حاول أن يعالج مشكلة الحداثة بأن يحث اليهود على أن يعيشوا وفقًا لمعطيات الحياة الحديثة دون أن يعرضوا دينهم للخطر، ودون أن يغيروا في ثوابت الفكر الديني اليهودي التقليدي.

وقد ظهرت الصهيونية داخل إطار هذا الصراع الديني العلماني وأدت إلى مزيد من الانقسام داخل المجتمع اليهودي وداخل إسرائيل بعد قيام الدولة. وقد مثلت الصهيونية نفسها خطرًا على اليهودية التقليدية فالصهيونية ظاهرة علمانية قادتها من العلمانيين، وأنماط الحياة التي خلقتها وبخاصة في إسرائيل أنماط علمانية. وبذلك كانت الصهيونية ولا تزال تمثل خطرًا على اليهودية حيث زادت من انتشار الفكر العلماني بين اليهود في الداخل والخارج، ودعت إلى التحرر والتنوير وشجعت التيارات الدينية المضادة للأرثوذكسية.

أما الصهاينة المتدينون فكانوا قلة ليس لها تأثير على مجريات الأمور. وقد دخلوا في صراع مزدوج مع المعسكر المتدين ومع المعسكر الصهيوني العلماني واتهموا المعسكر المتدين بالانغلاق والتخلف وتجاهل عمليات الإحياء والتحديث اليهودي. كما طالبوا الجمهور الصهيوني العلماني بأن يسمح بنشأة نمط حياة مدني ديني كامل داخل المجتمع العلماني. وقد برز تأثير الصهاينة المتدينين بين أبناء البشوف، وأنشأوا بينهم عدة أحزاب، وتبنوا أشكالاً اجتماعية وسياسية جديدة في مواجهة الجماعات العلمانية. وفي الوقت نفسه تنازل الصهاينة المتدينون عن المطالبة بالفصل بين الدين والدنيا وعزل اليهودية عن العالم.

أما إقامة الدولة فقد اعتبره اليهود الأرثوذكس خطوة رئيسية في طريق تدمير الشعب اليهودي، والدولة اعتبروها تمردًا على إرادة السماء ومسيحانية كاذبة. وقد أدت أحداث النازي في ألمانيا إلى اضطهاد عدد كبير من اليهود الأرثوذكس. وبدأ

عدد من هؤلاء الأرثوذكس ينظرون إلى الدولة نظرة جديدة على أنها فرصة لتحقيق الخلاص من النازي وفرصة لاستئناف الحياة اليهودية ولكن بدون إضفاء أي معنى ديني على الدولة. فهم يستفيدون من الخدمات التي تقدمها الدولـــة دون أن يقبلـــوا الدولة دينيًا. وهو نوع من عدم الاعتراف الديني بالدولة من ناحية وقبول لخدماتـــها من ناحية أخرى. فهم يقبلون الأموال ويطالبون الدولة بسد احتياجاتهم، وتتـــم الآن عمليات ربطهم بالدولة بشكل واقعي من منطلق المشاركة التـــي تســـتهدف خدمـــة مصالحهم مع تحمل المسئولية والالتزام تجاه الدولة[١٤].

ويدخل هذا الأمر تحت إطار إبقاء الوضع على ما هـــو عليـــه والاعـــتراف بالواقع وتأجيل الحلـــول النهائية وبخاصة في المسائل الخلافية التي ليست لها حلول نهائية. وبذلك يبقى الخلاف موجودًا وكامنًا ينتظر الوقت المناسب للانفجار.

ولعل أخطر معالم الصراع بين المتدينين والعلمانيين في المجتمع الإســـرائيلي هو انفصال المجتمعين عن بعضهما البعض انفصالاً يكاد يكون تامًـــا، وأصبحـــت علاقة المتدينين بالمجتمع الإسرائيلي العلماني علاقة تباعد وعداء صريح.

أما موضوع انفصال المجتمع المتدين داخل إسرائيل عن المجتمع العلمـــاني فقد بدأ في الظهور بشكل جاد بعد ثلاثة عقود من قيام إسرائيل حيث ظـــهر نســـق تنظيمي داخل إسرائيل يسمح للمتدينين بالحصول على قدر كبير من القـــوة التـــي دفعت بهم إلى ممارسة المزيد من الإدارة المستقلة لشـــئونهم. وبـــالتدريج أصبـــح المجتمع المتدين غير مرتبط بالمجتمع العلماني حيث نشـــأت مؤسســـات خاصـــة بالمتدينين في كل شئون الحياة تقريبًا. فهناك مدارس وجامعات دينية تعمل في عزلة واستقلال تام عن المدارس العلمانية. وهناك بنوك دينية يهودية خاصة بـــالمتدينين، وهناك شركات بناء ومقاولات تابعة للمجتمع المتدين، كما أن هناك أحياء ســـكنية خاصة وشركات متخصصة في إنتاج الطعام الخاص باليهود المتدينيـــن. ويفضـــل

أفراد المجتمع المتدين في إسرائيل الحياة داخل إطار اجتماعي مستقل له خدماته المستقلة(١٥).

كل هذه الأمور أدت إلى أن يصبح المجتمع المتدين أشبه بدولة داخل الدولة. وهو مجتمع له مؤسساته الخاصة به وله حياته الاجتماعية الخاصة وله أحياء منعزلة وتجمعات سكانية خاصة ومؤسسات تعليمية خاصة. وقد أدى هذا الوضع إلى الحد من اللقاء بين المتدينين والعلمانيين. فالشخص المتدين منذ طفولته ينشأ في بيئة دينية منعزلة ويدخل مدارس دينية خاصة ويدخل جامعة دينية ويحصل على وظيفة دون أن يضطر إلى قضاء يوم واحد في إطار غير ديني. ووصل الأمر إلى حد أن شغل وقت الفراغ وأشكال التنزه أصبحت مختلفة بين المجتمعين المتدين والعلماني ولا توجد فرصة للالتقاء الاجتماعي بين الفريقين.

يشهد المجتمع الإسرائيلي ظاهرة جديدة على اليهودية وهي تطور مجتمع ديني أشبه بمجتمع الرهبان الذي ينظر إلى نفسه على أنه مجتمع متميز يمثل الزعامة والصفوة ويرى أن المثال الديني لا يمكن تحقيقه إلا من خلال الانفصال والانعزال عن المجتمع العادي وعن الحياة اليومية العادية. ويمكن القول أن هذا المجتمع المتدين المنعزل أصبحت له قيادته الدينية المستقلة صاحبة التأثير الحقيقي الكبير على الجماهير المتدينة وليس الدولة في شكل زعاماتها السياسية. وتستمد هذه الجماعات المتدينة إحساسها بدورها وبرؤيتها تجاه العالم من هذه الجماهير الدينية الخاضعة لها.

وقد أدى هذا الوضع إلى شعور المجتمع العلماني في إسرائيل بالأزمة وشعور بعض أفراد هذا المجتمع أن علاج هذه الأزمة يبدو في العودة إلى الدين. وقد زادت هذه الأزمة حدة في السنين الأخيرة بعد أن بدأ المجتمع العلماني يتعرض

للهجوم الشديد من المجتمع المتدين. ويرى البعض أن هناك حربًا ثقافية بدأت في التبلور داخل إسرائيل بين المتدينين والعلمانيين وبخاصة بعد بداية تدخل المجتمع المتدين في شئون المجتمع العلماني[١٦].

ويظهر هذا الصراع الثقافي على أشده بين الشباب في القطاعين المتدين والعلماني. فالشباب المتدين يرى في نفسه الزعامة الحقيقية للمجتمع من الناحية القومية ويتهمون الشباب العلماني بأنهم انساقوا وراء العالم العلماني الذي أسسه الجيل السابق. وهم يصفون هذا العالم بأنه مفلس وبلا ثقافة يهودية ويتمسك بالثقافة الغربية التي يجب التخلص منها. وهو يرى في نفسه أيضًا الدليل والمرشد لهداية العلمانيين إلى عالم اليهودية والسلوك اليهودي سياسيًا وقوميًا ودينيًا واجتماعيًا ويريدون فرض نمط الحياة الدينية الأرثوذكسية على الشارع الإسرائيلي. ويصفون هذا النمط بأنه نمط ثقافي يتصف بالاستمرارية والثبات في مقابل التغير الذي يصيب نمط الحياة العلمانية. كما أنه يتصف بالقوة الاجتماعية كنمط يهتم بالبنية الاجتماعية المتدينة التي تقوى الشعور بالانتماء والثقة في مقابل الحياة العلمانية البعيدة عن مشاعر الانتماء[١٧].

لقد أدى هذا الموقف للمجتمع المتدين إلى حدوث توتر واضح وقلق داخل المجتمع العلماني. وقد احتل المجتمع المتدين وضعًا مزدوجًا فهو يجمع بين الحياة على هامش المجتمع الإسرائيلي بعزلته عن العلمانية كما أنه ينظر إلى نفسه باعتباره المركز الحقيقي للحياة الإسرائيلية والدليل أو المرشد إلى هذه الحياة الأمر الذي تسبب في تطور مواقف عدوانية واضحة تجاه المجتمع العلماني. ويستعير أحد المحللين الإسرائيليين مفهومي " أبناء النور " و"أبناء الظلام " لكي يعبر به عن الرؤية الحقيقية للمجتمعين كل منها تجاه الآخر، فالحياة الإسرائيلية حياة صراع بين أبناء النور وأبناء الظلام[١٨].

# الفصل الخامس

## المد الصهيوني الديني في إسرائيل



لا شك في أن الصهيونية مسئولة عن قيام دولة إسرائيل. ولذلك استمرت الأيديولوجية الصهيونية تمثل الإطار الفكري العام للدولة. ويظهر هذا الارتباط بالصهيونية الدينية في المواقف المختلفة للأحزاب الدينية ولحزبي العمل والليكود. ويعتبر حزب المفدال ( الحزب القومي الديني ) أقوى الأحزاب الإسرائيلية ارتباطًا بالأيديولوجية الصهيونية الدينية والتي تظهر في الاعتقاد الأساسي " بوحدة التوراة والشعب والأرض " استنادًا إلى المفاهيم التوراتية حيث يتمسك الحزب القومي الديني بالمبدأ المرشد للصهيونية الدينية وهو " أرض إسرائيل لشعب إسرائيل في ضوء التوراة "[١]. وفي ضوء هذه الأيديولوجية يرفض الحزب القومي الديني قيام دولة فلسطينية، ويعتبر القدس عاصمة أبدية وموحدة لإسرائيل. ويتبنى فكرة الاستيطان في كل أنحاء ما يسمى " أرض إسرائيل " حسب المفهوم التوراتي، ويربط هذا بالأمن الإسرائيلي. فالاستيطان الشامل هو أساس أمن إسرائيل. ويعتبر مرتفعات الجولان من "أرض إسرائيل"، ويعارض حق السكان العرب في العودة إلى المناطق الإسرائيلية، ويطالب الحزب بمنحه حرية اتخاذ أي إجراء ضروري في الأراضي العربية المحتلة، ويطالب بالقدس الكبرى وإخلائها من الفلسطينيين تمامًا وتوسيع المستوطنات في القدس الشرقية، ويطالب بضمان وضع جبل الهيكل باعتباره أقدس أماكن الشعب اليهودي حسب رؤية هذا الحزب[٢].

ويتخذ حزب الطريق الثالث أو حركة الطريق الثالث موقفًا قريبًا من موقف الليكود في الاهتمام بالمشروع الصهيوني. وهي حركة تحارب من أجل الاستمرار في دعم الصهيونية والاستيطان وضمان المصالح الحيوية في المشروع الصهيوني والتنمية المستمرة للاستيطان اليهودي، وينص البرنامج الأساسي لحركة لطريق الثالث على أن الشعب اليهودي " له الحق في أرض إسرائيل وطنه التاريخي وأن من حق إسرائيل الاحتفاظ بالأراضي التي استولت عليها دفاعًا عن النفس، والحفاظ على هوية إسرائيل كوطن قومي لليهود وكدولة يهودية. وتؤيد الحركة انتشار

الاستيطان، ولا تعترف بقيام دولة فلسطينية، وتطالب بالفصل السياسي بين السكان الإسرائيليين والفلسطينيين في الضفة، وتعتبر القدس عاصمة إسرائيل الموحدة غير المقسمة ومركز الشعب اليهودي وتقع في قلب الخريطة الإسرائيلية. ومن الواضح أن حركة الطريق الثالث تأخذ بالفكر الصهيوني حرفيًا وتعبر مصطلحات الحركة ومفاهيمها عن أيديولوجية صهيونية خالصة(٣).

ويعتبر حزب الليكود حتى الآن أقوى الأحزاب الإسرائيلية ارتباطًا بالأيديولوجية الصهيونية ويعتبر " حق الشعب اليهودي في أرض إسرائيل حقًا أبديًا غير قابل للنقاش ". ويتبنى الحزب سياسة الاستيطان، ويؤيد الهجرة مركزًا على أهميتها بالنسبة للفكرة الصهيونية، ويرفض الحزب إقامة دولة فلسطينية، ويطالب بالحفاظ بالمستوطنات تحت السيادة الإسرائيلية الكاملة. ويتمسك الحزب وبخاصة الجناح اليميني الديني المتطرف بالتوجهات الأيديولوجية الصهيونية.

وقد أكد حزب العمل من جانبه على الأيديولوجية الصهيونية ويطالب بتجديد الفكرة الصهيونية ومعالجة قضايا صهيونية جديدة مثل علاقة يهود إسرائيل بيهود العالم أو بيهود المنفى أو يهود الشتات كما يسمون في المصطلح الصهيوني، وكذلك التركيز على علاج المشكلة الملحة الجديدة وهي قضية الصراع اليهودي الدائر الآن بين اليهود المتدينين واليهود العلمانيين سواء داخل إسرائيل أو خارجها(٤).

**أولاً : زيادة النفوذ السياسي للصهيونية الدينية :**

شهدت السنوات الأخيرة زيادة حادة في حجم النفوذ السياسي للصهيونية الدينية ولليمين الديني المتطرف، وهي زيادة ربما تؤدي إلى حدوث انقلاب اجتماعي داخل إسرائيل. ويلاحظ في هذا الخصوص تغلب وجهة النظر القومية الشرقية على النظرة الأشكنازية، وشاع في الاستخدام الآن في إسرائيل القول بأن " القدس هزمت تل أبيب " وهي عبارة رمزية تشير إلى غلبة التيار الصهيوني الديني

القومي المتشدد على التيار الليبرالي العلماني. كما تشير إلى بداية تطور سيطرة للدوائر الدينية المتعصبة وتهديدها لأسلوب حياة المجتمع الإسرائيلي.

فهناك اتجاه صهيوني ديني قوي داخل إسرائيل يسعى إلى مزج قيم الصهيونية وثقافة الحياة الغربية. وتزداد الآن الفجوة بين المجتمع الديني المتمسك بالصهيونية والمجتمع العلماني فيما يسمى بحرب ثقافية دائرة بين المتدينين والعلمانيين(٥). ويتطلع المتدينون المتمسكون بالأيديولوجية الصهيونية إلى أن تصبح إسرائيل في المستقبل مجتمعًا تسيطر عليه فكرة القومية الدينية الواحدة التي يحكمها التشريع الديني.

ويلاحظ أن حجم الكتلة الدينية في المجمع الإسرائيلي في حالة ازدياد مستمر، ويلاحظ بداية سيطرة الصهاينة المتدينين على قطاعات عديدة داخل الحكومة الأمر الذي سيؤدي حسب رأي بعض المحللين إلى عودة الهوية اليهودية للدولة واتساع مساحة الحركة للأحزاب الدينية، وإضفاء الطابع اليهودي على الدولة. كما أن قائمة المشروعات الدينية التي تتبناها التيارات الصهيونية الدينية ستؤثر مستقبلاً على شكل الدولة. ومن أهم عناصر هذه القائمة تغيير شكل المحكمة العليا والقضاء على التمثيل الإصلاحي العلماني في المجالس الدينية، واستخدام الكنيست في سن التشريعات بدلاً من المحكمة العليا، وتجميد القوانين الأساسية وتغليب القوانين الدينية، والتصدي للنفوذ العلماني، وتعديل قانون تغيير الديانة وربط التهويد بموافقة الهيئة الحاخامية الرئيسية. وعدم الاعتراف بإجراءات التهويد التي تقوم بها الجهات الإصلاحية، والمطالبة بتغيير قانون الآثار حتى لا يسمح بالتنقيب عن الآثار في الأماكن التي توجد بها مقابر يهودية. والمطالبة بغلق الأسواق التي تفتح في أيام السبت وبخاصة المؤسسات التجارية الكبيرة الواقعة في أطراف المدن أو في الضواحي أو في الكيبوتسات والمطالبة بمد القانون الخاص بحظر استيراد اللحوم غير المذبوحة حسب التشريعات اليهودية، ومنع الدفن حسب الإجراءات العلمانية،

والمطالبة بتغيير النظام التعليمي في المدارس الحكومية ...إلى غير ذلك من المشروعات التي تسعى إلى فرض الطابع الصهيوني الديني على الدولة، وتطبيق مبدأ عدم الفصل بين الدين والدولة، وصبغ الحياة الإسرائيلية بالصبغة الدينية(٦).

ومما لا شك فيه أن هذه المطالب القومية للتيار الديني الصهيوني تدعم الأصولية اليهودية بالمجتمع الإسرائيلي. وفيما يلي عرض للمظاهر وللآثار المرتبة على ازدياد المد الصهيوني الديني داخل إسرائيل :

**١- ازدياد خطر الأصولية اليهودية والتطرف الديني :**

لعل من أهم مظاهر ازدياد النفوذ الصهيوني الديني في إسرائيل تبلور أصولية يهودية دينية متطرفة تنتهج سياسة العنف ضد خصومها في الداخل وضد العرب والفلسطينيين. وقد ارتبط التطرف الديني والإرهاب الناجم عنه بهذه الأصولية الدينية وبالصهيونية الدينية على وجه العموم. وقد كانت حادثة اغتيال إسحاق رابين بمثابة مؤشر على خطر الأصولية اليهودية على المجتمع الإسرائيلي نفسه إلى حد أن بعض المحللين السياسيين يعتبرون هذه الحادثة فاصلاً بين عصرين في التاريخ الحالي للمجتمع الإسرائيلي، فاليمين الديني المتطرف مستعد للدخول في صراع مسلح ضد بقية الاتجاهات السياسية في المجتمع الإسرائيلي، وهو يسعى إلى تحقيق أهدافه بالقوة وباستخدام العنف والإرهاب(٧).

وتميل الأصولية اليهودية برؤيتها الدينية المتطرفة إلى توظيف النصوص الدينية لخدمة أهداف التطرف الديني ولتأصيل الاتجاه إلى العنف والإرهاب حيث تقوم الصهيونية الدينية على أساس من تفسير ديني قومي لمفاهيم التوراة الخاصة بالعهد والاختيار والخلاص. وتفهم العهد فهمًا ماديًا بأنه العهد بالأرض، وتأخذ بالتحديد الجغرافي التوراتي لأرض العهد على أنها الأرض الممتدة من الفرات إلى النيل. وتسعى إلى تحقيق هذا التحديد التوراتي، فكرة " أرض إسرائيل " بحدودها

التوراتية. وتلجأ الصهيونية الدينية إلى استخدام النصوص الدينية وتوظيفها لخدمة أعمال الاستيطان والعنف والإرهاب. فهي تستدل توراتيًا على مشروعية سياسة الاستيطان والتوسع من خلال الرجوع إلى النصوص الدينية وبخاصة من سفر يشوع ومن أسفار التوراة، حيث يرد الحديث عن العهد والأرض واستخدام عمليات الإبادة مع سكانها الأصليين، وهي السياسة التي تطبقها الصهيونية الدينية المتطرفة في إسرائيل موظفة للنصوص الدينية لتبرير أفعال العنف والإرهاب ولتعطي مشروعية دينية لأعمال الاحتلال والاستيطان والإبادة[٨].

وبالإضافة إلى توظيف النصوص الدينية توظيفًا سياسيًا تستخدم الصهيونية الدينية بعض الأساطير اليهودية التقليدية لخدمة أهداف الأصولية اليهودية. ومن بين هذه الأساطير أسطورة البقرة الحمراء التي تستغل الآن استغلالاً دينيًا من أجل إثارة الشعور الديني والحماس لدى المتدينين لخدمة هدف تهويد مدينة القدس من ناحية، وحشد المشاعر الدينية اليهودية حتى لا تُقدم إسرائيل على أية تنازلات في شأن القدس. والمعروف أن أسطورة البقرة الحمراء مرتبطة بالرغبة في إعادة بناء الهيكل في موقع المسجد الأقصى. ولذلك فهي تستخدم لتشجيع أعمال الاستيطان في القدس وإقناع الإسرائيلي بمشروعية العمل السياسي والعسكري الساعي إلى الاحتفاظ بالقدس كعاصمة موحدة لإسرائيل وتخريب بيت المقدس وتدمير المسجد الأقصى.

ومن الطبيعي أن تتلقى النصوص الدينية تفسيرات جديدة بواسطة الصهيونية الدينية منها إجراء بعض التعديلات على النصوص والأساطير لكي تتناسب مع الأوضاع الجديدة. كما تستخدم النصوص الدينية لمقاومة الضغوط السياسية الداخلية والخارجية وذلك باستغلال الدافع الديني وحشد المشاعر الدينية لتقف في وجه الجهود السياسية الساعية إلى التفاهم مع العرب والفلسطينيين ولتواجه الرأي العام العالمي والإسرائيلي. فالأسطورة الدينية لها صفة العقيدة وتؤدي إلى التمسك على

أساس ديني بسياسات التهويد والاستيطان والإبادة.

**٢- تأثير الصهيونية الدينية في الجيش الإسرائيلي :**

وصل النفوذ الصهيوني الديني إلى الجيش الإسرائيلي الأمـــر الـــذي يمثـــل خطورة حقيقية نظرًا للأهمية العظمية للمؤسسة العسكرية الإسرائيلية سواء داخـــل المجمع الإسرائيلي أو فيما يتعلق بالسياسة الإسرائيلية تجاه الشرق الأوسط والعملية السلمية.

وهناك عدة مظاهر لازدياد النفوذ الديني داخل الجيش الإسرائيلي. ومـــن أول هذه المظاهر التفكير في تجنيد اليهود المتدينين المعروفين باسم الحريديم باعتبار أن إعفاء الحريديم من الخدمة في الجيش الإسرائيلي يمثل نوعًا من عدم العدالة ويؤدي إلى حدوث فجوة اجتماعية وذلك ليس في " المصلحة الوطنية "(٩).

وتتمثل خطورة تجنيد الجريديم في عدة أمور منها عدم اعـــتراف الحريديـــم بسلطة القانون الإسرائيلي. وهم يخرجون عن القانون على أسس أيديولوجية منـــها عدم الاعتراف بالدولة التي يعيشون داخلها. ومن معالم الخطورة ميل الحريديم إلى العنف والعدوانية وعدم خضوعهم لأية سلطة غير الســـلطة الدينيـــة للحاخامـــات، وسيمثل هذا مشكلة في الجيش تتمثل في عدم طاعة الأوامر العسكرية الصادرة من القادة العسكريين،و تبلور سلطتين داخل الجيش : سلطة الحاخامات وسلطة القـــادة العسكريين. ويخشى أيضًا أن الحريديم ربما لا يلتزموا بأي من الســـلطتين بحيـــث يتصرف الحريديم داخل الجيش حسب مصالحهم ورغباتهم وبدون مرجعية عسكرية أو دينية. ومن الممكن أيضًا أن يتخذ الحريديم داخل الجيش قرارات عنيفة مضـــادة للسلام وتحض على العنف والعدوان(١٠).

وبالإضافة إلى مشكلة تجنيد الحريديم هناك مشكلة تجنيـــد طـــلاب المعـــاهد الدينية اللاهوتية. وقد كان هؤلاء الطلاب يعفون من الخدمة العسكرية والآن هنـــاك

فكرة قوية مطروحة بتجنيد هؤلاء الطلاب وذلك تحقيقًا لما يسمى بالمصالحة الوطنية حيث يثير إعفاؤهم من التجنيد حفيظة الآخرين وغضبهم ويعتبرونه مهددًا لوحدة الإسرائيليين. ويأتي الهجوم من الجانب العلماني الذي يعترض على امتيازات طلاب المعاهد الدينية ومن بينها الإعفاء من التجنيد. ويرى بعض المؤيدين لتجنيد هؤلاء الطلاب أن ذلك يحل مشكلة الاعتماد على الاحتياطي في الجيش الإسرائيلي ويقوي – من وجهة نظرهم –الجبهة الداخلية ويقضي على عيوب نظام الاحتياط بزيادة الوحدات النظامية(١١).

ومن ناحية أخرى هناك فريق من العلمانيين يعترضون على تجنيد طلاب المعاهد الدينية والحريديم خشية زيادة نفوذ المتدينين في الجيش الإسرائيلي وتغيير الشكل العلماني للجيش إلى شكل ديني. ويدعي هذا الفريق المعارض أن تجنيد هؤلاء الطلاب فكرة غير عملية وتمثل عبئًا على الجيش وخلخلة للنظام العسكري، وتغيير للنظام العسكري داخل الجيش لأنه يتطلب توفير سبل المعيشة داخل الجيش حسب متطلبات التشريع اليهودي مثل تقديم الطعام المطابق للشريعة، وإعطاء وقت لدراسة التوراة، وأداء الصلوات، والفصل بين المجندين والمجندات في السكن وقاعات الطعام وفي المكاتب. ويخشى هؤلاء أيضًا سيطرة الحاخامات على الجيش الإسرائيلي وزعزعة السلطة داخل الجيش، وتعدد السلطات بين سلطة عسكرية وأخرى دينية.

ويقدم بعض المحللين لهذه القضية بدائل عن تجنيد طلاب المعاهد الدينية منها تشكيل وحدات خاصة تكون قاصرة على هؤلاء الطلاب، وإحياء فكرة " سلاح الحراسة " التي كانت موجودة قبل قيام إسرائيل(١٢). ومن خلال هذا السلاح يمكن للطلاب المشاركة في أعمال الاستخبارات والمراقبة والحراسة وبخاصة في المناطق التي يحدث فيها احتكاك بالفلسطينيين، ويمكن للجيش بهذا الشكل أن يوفر الطاقة البشرية المحاربة ويحقق الفائدة الأمنية والاقتصادية معًا.

ويطالب فريق آخر باعتبار الطلاب المجندين بمثابة وحدات استخبارية ميدانية لا تحمل سلاحًا وبدون سلطة مدنية حتى لا تستقل عن الجيش. ويقترح أيضًا أن يقوم طلاب المعاهد الدينية بأداء الخدمة العسكرية في مناطق قريبة من منازلهم لتمكينهم من ممارسة حياتهم الدينية بدون انقطاع، أو أن يؤدي هؤلاء الخدمة في إطار يخضع لوزارة الأمن الداخلي منعًا لحدوث أي تعارض في الاختصاص بينهم وبين رجال الشرطة. وهناك اقتراح آخر بتخصيص كتيبة للطلاب المتدينين داخل الجيش مثل كتيبة البدو أو الدروز(١٣).

وبالإضافة إلى تجنيد الحريديم وطلاب المعاهد الدينية هناك ظاهرة تجنيد الفتيات المتدينات حيث تم تجنيد ٣٧ فتاة متدينة يجمعن بين الخدمة في الجيش والدراسات الدينية التوراتية. ويكوّن الفتيات المتدينات داخل الجيش مجموعة منظمة من الجنديات. وقد اضطر بعض الحاخامات إلى إباحة أداء الخدمة العسكرية للفتيات المتدينات بعد أن كان هذا محظورًا من خلال فتوى دينية أصدرتها الحاخامية عام ١٩٥١م. وقد بدأ تجنيد الفتيات المتدينات بشكل سري وأصبح الآن يتم بطريقة علنية، وبدأت المعاهد الدينية التوراتية تعدل من نظامها لكي يسمح للفتيات بالجمع بين الدراسة الدينية والخدمة العسكرية. وتقوم رابطة إسرائيلية باسم رابطة " بت عمي " لتجنيد الفتيات بتشجيع الفتيات المتدينات على دخول الجيش وأداء الخدمة العسكرية(١٤).

وخطورة هذا الاتجاه إلى تجنيد الفتيات المتدينات شبيه بخطورة تجنيد الحريديم وطلاب المعاهد الدينية. فهؤلاء جميعًا ينتمون إلى الاتجاه الديني القومي المشدد وسينقلون الصراع بين المتدينين والعلمانيين إلى الجيش الذي سيعاني من هذه المشكلة التي أصبحت تمثل حربًا ثقافية داخل المجتمع الإسرائيلي. ولكن الأهم هو تأثير هذه الجماعات الدينية على الاستراتيجية العسكرية للجيش الإسرائيلي في المستقبل مع زيادة النفوذ الديني داخل الجيش واتخاذه لموقف متشدد من عملية

السلام، واعتماده العنف والعدوان كأساس للتعامل مع العرب والفلسطينيين والتمسك بالأيديولوجية الصهيونية الدينية فيما يتعلق بمفهوم " أرض إسرائيل " وحدودها التوراتية وعدم الاستعداد للتنازل عن أعمال الاستيطان والتوسع لارتباطها بالأيديولوجية، بالإضافة إلى الموقف المتعصب من قضية القدس والجهود المبذولة لتهويدها، وإقامة " الهيكل الثالث " وغير ذلك من المسائل الدينية التي يتفاوض حولها العلمانيون. أما المتدينون فالتعصب الديني يقف حائلاً دون التفاوض في القضايا الدينية. وهم لا يهتمون بالمعاهدات السياسية ولا بالقوانين الدولية ويعطون الأولوية للتوراة على القوانين، ويستخدمون القوة لتنفيذ قوانينهم الخاصة(١٥).

وبالتأكيد فإن اختراق اليمين اليهودي الديني المتطرف للجيش سيرفع من شأن الحرب والعسكرية والعدوانية كسياسة لإسرائيل ويعود بمنطقة الشرق الأوسط من جديد إلى حالة الصراع العسكري.

**ثانيًا : الصهيونية الدينية والصراع حول القدس :**

تمثل قضية القدس قضية مستقلة داخل إطار الصراع العربي الإسرائيلي ومحوراً رئيسيًا له أبعاده الدينية الخاصة به. فالصهيونية الدينية تدعى قداسة المدينة في اليهودية وتبني على هذا الادعاء موقفها السياسي من مسألة القدس وتعتبرها عاصمة إسرائيل الموحدة والأبدية، وتعمل على إتمام تهويدها بكل السبل والوسائل لطمس المعالم العربية، الإسلامية والمسيحية للمدينة.

وتنظر الصهيونية الدينية إلى قضية القدس على أنها قضية دينية وليست سياسية(١٦). وتمارس الصهيونية الدينية ضغوطها على كل الأحزاب الإسرائيلية لضمان يهودية المدينة واعتبارها عاصمة دينية أزلية لإسرائيل. وتسعى الصهيونية الدينية إلى استكمال عملية تهويد القدس وتأسيس القدس الكبرى الموسعة من خلال الدمج التام بين شرق المدينة وغربها وإخلاء المدينة من سكانها العرب، وتشجيع

هجرة اليهود إليها، واستكمال الأعمال الاستيطانية داخلها وحولها وإحاطتها بحـزام استيطاني، وعزل الأحياء العربية في مناطق منعزلة مفتتة إلـى وحـدان سـكنية صغيرة، وإقامة طوق استيطاني حول الأحياء العربية، ولتطويق التجمعات العربيـة في المدينة وعزلها عن بعضها البعض.

وتقوم الجماعات الدينية الصهيونية بعدة أعمال لإجبار سكان القدس العـرب على الهجرة من المدينة وذلك بتأييد واضح من الحكومة الإسرائيلية. فهي تعمد إلى إرهاب المواطنين العرب وممارسة العنف ضدهم، والقيام بـالاعتداءات المتكـررة على المسجد الأقصى ومزاحمة المسلمين فيه وإقامة الصلوات اليهودية به، وغـير ذلك من المضايقات التي تؤديها الحكومات الإسرائيلية ولا تمنعها، والتي تقوم فـي نفس الوقت بتطبيق سياسة الطرد الهادئ وسياسة الترحيل السري للفلسطينيين مـن القدس الشرقية، وخلق واقع ديموجرافي جديـد تصبـح معـه المدينـة يهوديـة خالصة(١٧).

ويرتبط التعنت الإسرائيلي حول القدس باليمين الديني اليـهودي المتطـرف وبالصهيونية الدينية على وجه العموم. فالحكومات المتوالية تحاول كسب رضـاء هذا اليمين المتطرف من خلال الموافقة الضمنية على حركة الاستيطان في القـدس وغض النظر عما تقوم به الصهيونية الدينية من ممارسات عدوانية وتهويدية لمدينة القدس. وكلما ازداد الوجود الصهيوني الديني داخل الجيش كلما زاد مواقف القـدس تعقيدًا.

وبالإضافة إلى الصهيونية الدينية اليهودية تلعب الصهيونية الدينية المسـيحية دورًا ملموسًا فيما يتعلق بالموقف من القـدس. والصهيونيـة المسـيحية مرتبطـة بالمذهب الإنجيلي البروتستانتي الأصولي الذي يرى في القدس المكان الذي سـيتم فيه القدوم الثاني للمسيح حسب اعتقاد هذا المذهب، وهي المركـز الدينـي الـذي

ستظهر فيه مملكة الرب. ولذلك تعمل الصهيونية المسيحية بالتحالف مع الصهيونية الدينية اليهودية على إتمام تهويد القدس والإسراع في جعلها عاصمة أبدية لإسرائيل، والمطالبة بنقل السفارات الأجنبية إليها. وتأتي الولايات المتحدة الأمريكية على قمة الدول التي ترغب في نقل سفارتها، وقد اتخذ الكونجرس الأمريكي قراراً بذلك يتوقف عند مجرد التنفيذ. وتسيطر الصهيونية المسيحية على السياسة الأمريكية تجاه القدس فعدد كبير من أعضاء الكونجرس ينتمون إلى الصهيونية المسيحية ويوجهون السياسة في أمريكا تجاه خدمة المصالح الصهيونية وذلك بالتحالف مع الصهيونية اليهودية في الولايات المتحدة وإسرائيل(١٨).

ومع الدخول في الألفية الثالثة ستدخل قضية القدس في مرحلة حاسمة مثيرة للحماس الديني المسيحاني ومولده للأساطير والخرافات الشعبية وللمشاعر الدينية القومية في الديانتين اليهودية والمسيحية وبخاصة في الصهيونية الدينية اليهودية والصهيونية الدينية المسيحية. ويتوقع أصحاب هذا الاعتقاد في وقوع أحداث دينية ضخمة، ويستغلون هذه المناسبة الدينية في حشد المشاعر الدينية اليهودية والمسيحية لجعل القدس عاصمة دينية أبدية وموحدة محققين بذلك ذروة الآمال المسيحانية.

ويؤكد على قوة هذا الاحتمال ارتفاع شأن الأصولية الدينية اليهودية المتحالفة مع الأصولية المسيحية المبنية على أساس من الاعتقاد في القدوم الثاني للمسيح، وأن شرط قدومه جمع الشتات اليهودي في فلسطين، وأن القدس ستكون مركز نشاط المسيح بعد قدومه.

وفي النهاية نشير إلى أن الصهيونية الدينية اليهودية والمسيحية معًا هي التي ستحدد مستقبل القدس في الأعوام القادمة، فمع ازدياد المد الأصولي اليهودي والمسيحي ومع الدخول في الألفية الثالثة ستتحول القدس إلى بؤرة الصراع الحقيقي في منطقة الشرق الأوسط.

# الخاتمة

حاولنا فى الصفحات السابقة إثبات علمانية الحركة الصهيونية.وقد اتضحت هذه العلمانية فى أكثر من اتجاه فى هذا البحث . فقد حاولنا توضيح الكيفية التى ربط بها زعماء الفكر الصهيونى بين فكرة الصهيونية والتراث الدينى اليهودى وان هذه الكيفية قد أضرت بالمفاهيم الدينية الثابتة فى الديانة اليهودية وأدخلت عليها معان لا تحتملها وأفكارا لا تتضمنها. هذا بالإضافة إلى أنها أحدثت نوعا من الاضطراب بين الطوائف اليهودية التى تعودت على مضمون دينى معين لتجد نفسها أمام تفسير مخالف تماما لما تعودته. وضربنا مثالين على ذلك ، **المثال الأول** يختص بمفهوم الخلاص الذى يفهمه اليهود فهما دينيا بحتا على أنه تعبير عن العلاقة بين الله والإنسان . هذا الفهم الدينى تحول على يد زعماء الصهيونية إلى علاقة جديدة بين الإنسان اليهودى والعالم الذى يعيش فيه . ومعنى ذلك أن الله أصبح لا مكان له فى هذا الفهم الجديد ، فقد تصور الصهاينة أن مشكلة الإنسان اليهودى ليست مع ربه ، ولكنها مع العالم ، ولهذا تصورت أيضا أن الخلاص ليس خلاصا يقوم على علاقة الإنسان بالرب ولكنه خلاص يقوم على المجهود الإنسانى المنفصل عن الألوهية. كما فهمت أزمة الإنسان اليهودى فى العالم على أنها أزمة لا يمكنها انتظار المسيح المخلص لكى يضع نهايتها ، ولكنها تحتاج إلى جهود اليهود فى كل مكان لوضع نهاية لوضعهم الغريب فى العالم .

وهكذا تحول الأساس الدينى لنظرية الخلاص إلى أساس علمانى وبدلا من التركيز على خلاص الإنسان اليهودى الأخروى نادت الصهيونية بخلاصة الدنيوى.

**والمثال الثانى** : الذى ضربناه يختص بنظرية الاختيار وهى أيضا من النظريات العتيقة فى الديانة اليهودية ولها أصول ثابتة فى الكتابات اليهودية المقدسة

،بل هى النظرية التى ميزت اليهود عبر العصور وأثرت على تاريخهم وعلاقاتهم بالشعوب الأخرى. تعرضت هذه النظرية أيضا لهزة عنيفة على يد مفكرى الصهيونية . وهنا يجب أن نشير إلى أن الاختيار قد فهم على مر العصور فى اتجاهين متضادين :

الاتجاه الأول فهم الاختيار فهما أخلاقيا فاعتبر الأمة اليهودية أمة مختارة من عند الرب لتبليغ رسالة دينية أخلاقية . حتى الشتات اليهودى وجد له تفسيرا مناسبا يلائم هذا الفهم الأخلاقى ، وهو أن الرب تسبب فى تشتيت الأمة اليهود حتى تستطيع هذه الأمة تبليغ رسالته للبشرية كلها . وهذا الاتجاه لا يخلو من عنصرية . فهو تمييز ربانى لليهود للقيام بعمل يستطيع أى شعب آخر القيام به فلماذا اليهود بالذات ؟ ومن ناحية أخرى إذا كان هذا الشعب قد فضله الله على كثير من الشعوب وجعله مسؤولا عن تبليغ رسالة إلهية . فلماذا ينسى هذا الشعب الرسالة ويركز على التفضيل ويحوله إلى مفهوم أساسى :

أما الاتجاه الثانى فى الاختيار فهو الاتجاه العنصرى البحت الذى يتحدث عن الجنس اليهودى ويفضله على بقية الأجناس البشرية ولا ندرى كيف تحول المفهوم الدينى العام إلى مفهوم جنسى سلالى خاص. كل ما نعرفه هو أن التركيز تحول من الرسالة إلى الجنس القائم بتبليغها . وهنا تكمن مغالطة أخرى وهى تبدو فى هذا الرأى المتطرف الذى يعتبر اليهود جنسا من الأجناس من دون البشرية ، ويعزل هذا الجنس عن بيئته ، وعن أصوله السامية القديمة ليجعله قائما بذاته إلى حد اتهام المعادين لهذا الجنس المزعوم بعقدة أسموها عقدة المعاداة للسامية وانفردوا هم بالجنس السامى بأسره متجاهلين كل الشعوب السامية القديمة والتى هى أكثر أصالة من الناحية الموضوعية . وبالإضافة إلى هذا نضيف تناقضا آخر . وهو أنه فى الوقت الذى يفسر فيه بعض اليهود نظرية الاختيار على أساس أن اليهود أصحاب

رسالة إلهية للبشرية نجدهم يحولون اليهودية إلى دين جنسى خـــاص ، ويمنعـون غيرهم من البشر من الدخول فى هذا الدين ، والديانة اليهوديـــة اشـتهرت عـبر التاريخ بأنها ديانة غير تبشيرية أى أنها ديانة لا تسعى إلى جعل رسـالتها رسـالة عالمية لكل البشرية . كيف إذن نعالج هذا التناقض بين الادعاء الخاص بالرســالة الإلهية الموجهة للبشرية وبين الخصوصية التى التزمت بها اليهودية ، أى التنـاقض الواضح بين عالمية الرسالة وخصوصية الشعب ؟

كل هذه التساؤلات توضح لنا مدى الارتباط الذى أحدثه الفكر الصهيونى فـى البناء العام للدين اليهودى . ولا نكون مغالين إذا قلنا أن الصهيونية أحدثت صدعـا لا يرأب فى الديانة اليهودية . فهذا الفهم الجديد لمعانى الخلاص والاختيار بـالذات أبعد الدين اليهودى عن الإطار الدينى المشترك بين كل الأديـان ، وحـول الديـن اليهودى إلى دين قومى بما لكل هذه العبارة من معانى . وتسبب هذا التفسير فـى بلبلة الجماعات اليهودية مثقفة أو غير مثقفة . فقد تغيرت بعض القيم الدينية بيـن الفهم القديم لها والتفسير الصهيونى الجديد ، وأحدث هذا ارتباكا فكريا ودينيا . وقـد تأثرت الجماعات الشعبية من اليهود بهذا الارتباك نتيجـة للضغـوط الصهيونيـة المتواصلة عليها ، وثارت فى أذهانها العديد مـن التسـاؤلات الخاصـة بمصـير اليهودية كدين بعد ظهور الصهيونية . وهل تحقيق الخلاص على يـد الصهيونيـة يعنى نهاية اليهودية كدين . وهذا بطبيعة الحال يؤدى إلى إثارة مزيد من التساؤلات حول القيمة الدينية للصهيونية ، وإن كان فى إمكان الصهيونيـة أن تحتـل مكـان الديانة اليهودية . وإن صح هذا فأى تجربة تلك التى يشعر بها الصهيونى ؟ وهـل هى مساوية للتجربة الدينية ؟. إلى آخره من التساؤلات التى تختص بطبيعة الديـن وطبيعة التجربة الدينية وتطبيق مواصفاتها على الصهيونية . وقد ثبت لنا من هـذه المقارنة بين الصهيونية وبين الديانة اليهودية أنه من المستحيل أن تحتل الصهيونية

مكان الديانة اليهودية فى عقل اليهودى ووجدانه . وذلك بدليل أن الصهيونية قد أفلست بعد أن تحقق أملها فى إقامة دولة إسرائيل وأصبح زعماؤها يتخبطون اليوم بلا أيديولوجية واضحة ، وهذا يعنى أن الصهيونية كغيرها من الحركات العلمانية قد تكون عرضة للزوال نظرا لعدم وجود أيديولوجية دينية ثابتة لها وقد انتهت الصهيونية كحركة علمانية وبقيت اليهودية كدين يجمع حوله يهود العالم .

والمحاولة الثانية : التى أثبتنا عن طريقها علمانية الحركة الصهيونية هى مقارنتها بالحركات الدينية التى ظهرت فى اليهودية . وكان الهدف من هذه المقارنة معرفة الطبيعة الحقة للصهيونية بتطبيق مواصفات الحركة الدينية عليها . وقد اتضح من المقارنة التى عقدناها والعرض الذى أوردناه لبعض الحركات الدينية اليهودية المعاصرة أن الصهيونية لايمكن بأى حال من الأحوال تصنيفها ضمن الحركات الدينية لأسباب عديدة منها أن الحركة الصهيونية ليس لها موقف معين من الديانة اليهودية ونعنى بالموقف هنا الرؤية الدينية الساعية إلى تحقيق أحد أمور ثلاثة : الأول المحافظة على المفاهيم الدينية الموروثة وذلك بعدم أحداث أى تغيير فيها ورفض كل محاولات التجديد والإصلاح فى أى جانب من جوانب الحياة اليهودية وبخاصة الحياة الدينية والرؤية الثانية هى الرؤية التجديدية التى تحاول شرح الدين وتفسير العقيدة الأصلية شرحا عصريا يناسب المتغيرات الزمانية والمكانية ، والبحث عن حلول من داخل الدين للمشاكل الناجمة عن التفاعل بين الدين والبيئة فى الحدود الزمانية والمكانية الممكنة . وهناك رؤية ثالثة إصلاحية تسعى إلى التخلى عن كثير من الأفكار الدينية الموروثة إن ثبت عدم جدواها بالنسبة لليهودى المعاصر . وطبيعى أن يكون من أهداف الإصلاح تخليص العقيدة الأصلية مما دخلها من عناصر غريبة عليها والعودة بها إلى حالتها الأولى . وقد

يكون هدف الإصلاح التجديد من أجل مسايرة العصر بالتخلى عن بعض العقائد التى تقف عقبة فى سبيل تحقيق الإصلاح .

وبتطبيق هذه الرؤى المختلفة للدين على الحركة الصهيونية اتضح لنا من الدراسة أن الصهيونية لاتملك رؤية دينية واضحة تجبرنا على ضمها للحركات الدينية التى ظهرت فى الديانة اليهودية . فالحركات الدينية التى عددناها اتبعت فلسفة معينة على أساسها تطور فكر الحركة وعلاقتها بالديانة الأم ما بين فلسفة أصولية أو تجديدية أو إصلاحية . وقد ارتبط بهذه الفلسفة أو الرؤية الدينية تطور نظام دينى خاص ميّز كل حركة من الأخرى . وهو نظام لا شك مشتق عن الديانة اليهودية ولكنه معبر فى نفس الوقت عن الرؤية الخاصة لكل حركة .

وقد خلت الحركة الصهيونية بحكم طبيعتها السياسية من أى نظام دينى تبغى نشره بين اليهود ، كما أنها لا تملك برنامجا دينيا يجبرنا على وضعها ضمن الحركات الدينية اليهودية ، كما أنها لم تبد رأيا فى طبيعة الديانة اليهودية . وفى عقائدها المختلفة باستثناء عقيدتى المسيح المخلص والاختيار . ومن المعروف أن الرؤية الصهيونية الجديدة لهذين المفهومين ليست رؤية دينية ولكنها تصور علمانى للمفهومين الدينيين ، وهذا يبتعد بالحركة الصهيونية عن جوهر الحركة الدينية ويضعها بين صفوف الحركات العلمانية . ولأنها تسعى إلى تحقيق هدف قومى فهى حركة علمانية قومية لا علاقة لها بالدين وإن اضطرت إلى إعادة تفسير بعض مفاهيمه . ودليلنا على هذا أن الصهيونية لم تحاول الدعوة إلى المحافظة على القديم فى اليهودية ، أو الدعوة إلى التجديد فيها ، أو إدخال إصلاحات عليها . وهذا يؤكد عدم أصالة العنصر الدينى فى الفكر الصهيونى وذلك لعدم مطابقتها لأوصاف وطبيعة الحركة الدينية التى تضع لنفسها برنامجا دينيا محددا قائما على رؤية دينية خاصة . وحتى الهدف السياسى للصهيونية لم يكن هدفا خالصا لها فقد اشتركت فيه

الحركات الدينية اليهودية المختلفة التى عالجت مشكله الإنسان اليـــهودى وعلاقتـــه بالعالم الذى نعيش فيه وحاولت تحديد بعض المبادئ الخاصة بعلاقة اليهودى بعـــالم غير اليهود .وحاولت أيضا وضع حلول لما يسمى بالمشكلة اليهودية . وقد جـــاءت هذه الحلول مسايرة للرؤية العامة للحركة . وهذا يعنى أن الحركات الدينية اليهودية قد عبرت أيضا كما فعلت الصهيونية عن رأيها السياسى فى المشـــكلة اليهوديـــة ، ووسائل علاجها . وقد عولجت هذه المشكلة بشكل أو بآخر داخل إطـــار الـــرؤى الخاصة بهذه الحركات وهذا يوضح أن الصهيونية لم تكن فى الحقيقة معبرة عـــن ضرورة تاريخية فى حياة اليهود كما ادعى زعماؤها . كما أنـــها لا تمثـــل تيـــار الخلاص الوحيد فى الفكر اليهودى المعاصر فقد عبرت كل الحركات الدينية عـــن رأيها فى الخلاص ، ولكنها انفردت عن الصهيونية فى ربطـــها بيـــن الخـــلاص الدنيوى والخلاص الأخروى بينما اكتفت الصهيونية بالخلاص الدنيوى وهذا دليـــل واضح على علمانيتها الخاصة .

وقد رأينا من ناحية أخرى وفى عرضنا للأيديولوجيات الصهيونية كيـــف أن الصراع بين الصهيونية السياسية والصهيونية الروحية لم يتطرق فى حقيقة الأمـــر إلى الدين . ولهذا لايجب أن نخدع بلفظ " الروحية " الذى تدعيه هذه الأيديولوجيـــة إذ ليس المقصود به العودة إلى الدين أو إشارة إلى بناء صـــهيونى دينـــى مرتبـــط بالعقيدة اليهودية . ولكنه تعبير تبنته الصهيونية المعارضـــة لصهيونيـــة هرتســـل السياسية ، واتهمت صهيونية هرتسل بخلوها من أى مضمون ثقافى ، الأمر الـــذى سيؤدى بالدولة الإسرائيلية إلى أن تصبح دولة يهود ألمان وفرنسيين وإنجليز ولكنها ليست دولة يهودية مرتبطة أساسا بالتراث والثقافة اليهودية . وهذه الدعوة الثقافيـــة تهتم بالتراث اليهودى وبالأشكال الثقافية اليهودية الأصـــل التـــى توفـــر للإنســـان اليهودى الشعور القومى اللازم لاستمرار وجوده فى هذه الدولة. ومن هنـــا فـــهذا

التيار الثقافى المناهض للصهيونية السياسية ليس تيارا دينيا أصيلا ، والدليل على ذلك أن القائمين عليه لا تقل لهم فى الحياة الدينية اليهودية وإن كانوا من أهم الشخصيات الفكرية فى التاريخ اليهودى المعاصر .

وهكذا يتضح لنا من هذه الدراسة القصيرة لطبيعة الحركة الصهيونية ، أن الحركة علمانية الأصول وأن جذورها الدينية واهية للغاية على الرغم من استخدامها لبعض الاصطلاحات الدينية . فهذه الاصطلاحات ، رغم الاحتفاظ بها ، قد تلقت معان مختلفة مناقضة لمعانيها الأصلية فى الديانة اليهودية . هذا بالإضافة إلى أن الفكر الصهيونى لم يتبن فلسفة دينية أو يضع برنامجا أخلاقيا يسير على هدية الإنسان اليهودى فى حياته اليومية وقد ابتعد بهذا عن مضمون الدين وهدفه .

وبعد هذا العرض للصهيونية عامة وللصهيونية الدينية وعلاقاتها المتشابكة مع الصهيونية السياسية والصهيونية المسيحية وتأثيرها في المجتمع الإسرائيلي وفي العملية السلمية نقدم التوصيات التالية :

١- التعمق في فهم الصهيونية الدينية والقيام بالدراسات التحليلية الهادفة إلى متابعة تأثير الصهيونية الدينية في المجتمع الإسرائيلي وخطورتها على السلام في الشرق الأوسط.

٢- متابعة الأحداث المرتبطة بالألفية الثالثة لارتباطها بالصهيونية الدينية في كل من اليهودية والمسيحية. والاستعداد في السنوات القادمة للتعامل مع هذه المناسبة بشكل من الحذر. والتعمق في دراسة ظاهرة الألفية وانعكاساتها على العلاقة اليهودية المسيحية واليهودية الإسلامية، والمسيحية الإسلامية وكذلك تأثيراتها في المجتمع الإسرائيلي.

٣- متابعة الأحداث المرتبطة بالقدس في الأعوام القادمة ومواجهة الأساطير اليهودية التي تستخدمها الصهيونية الدينية لإثارة الرأي العام اليهودي والإسرائيلي وتوظيف النصوص الدينية لإشعال الحماس الديني حول القضايا المرتبطة بالقدس والتي تتواكب مع عملية تهويد المدينة قبل الدخول في المفاوضات الخاصة بها. ومن الواجب توجيه كل الجهود الفكرية والسياسية لمواجهة هذا التهويد، وكشف الوسائل التي تستخدمها إسرائيل والأعمال الاستيطانية المكثفة حول القدس وداخلها، والعمل على جعل قضية القدس حاضرة لدى الرأي العام العربي والإسلامي والعالمي.

٤- العمل على تشكيل موقف عربي وإسلامي حاسم وشجاع في مواجهة الاستراتيجية الإسرائيلية بشأن القدس وضرورة إحياء الوعي العربي بالمدينة وجعلها محوراً للعمل السياسي العربي والإسلامي على المستويات الرسمية والشعبية. وتقديم العون المادي الكافي والدعم المعنوي لأهل القدس في مواجهة عمليات الطرد وإخلاء المدينة من سكانها العرب وفي مواجهة عملية التهويد التي تهدد الهوية العربية للقدس.

٥- متابعة الصراع الديني العلماني داخل المجتمع الإسرائيلي والتمسك بالسلم كخط استراتيجي مهم يؤدي إلى تغيير أسلوب الحياة في المجتمع الإسرائيلي وتحويله بالتدريج في ظل السلام من مجتمع حرب إلى مجتمع سلام الأمر الذي يؤدي حتمًا إلى بروز المشاكل الداخلية التي يعتبرها المحللون أكثر خطورة على مستقبل المجتمع الإسرائيلي من العلاقات مع العرب. ويعتبر الصراع الديني العلماني من أ هم عوامل

التفكك داخل إسرائيل. والمطلوب العمل على زيادة حدة هذا الصراع من خلال التمسك بالعملية السلمية، وإعطاء فرصة لهذا الصراع لكي يتفاقم ويساعد على تآكل المجتمع الإسرائيلي وتحلله من الداخل.

٦- دراسة ظاهرة زيادة النفوذ الديني الصهيوني داخل الجيش الإسرائيلي ومتابعتها عن قرب نظرًا لخطورتها وإمكانية تأثيرها على السياسة الإسرائيلية وعلى استراتيجية إسرائيل العسكرية وزيادة اللجوء إلى أعمال العنف وتقويض العملية السلمية. إلى غير ذلك من الأخطار الناجمة عن تدين الجيش الإسرائيلي الأمر الذي يؤدي إلى التمسك الشديد بمبادئ الصهيونية الدينية، وتحول الجيش الإسرائيلي من جيش علماني إلى جيش للأصولية اليهودية المؤمنة بحرفية التوراة ووصاياها حول الأرض والحدود التوراتية لأرض الميعاد وما ينتج عن ذلك من سياسة عملية مشجعة للاستيطان والهجرة وتدمير نهائي لعملية السلام في الشرق الأوسط.

**تم بحمد الله**

# الهوامش والحواشي

## هوامش الباب الأول

أولاً: هوامش الفصل الأول :


1- Jacob Katz,"The Jewish National Movement: a Sociological Analysis " in, Jewish Society Through the Ages, by H.H Ben Sasson and S. Ettinger, Schocken Books, N.y., 1973. P. 268

2- Milton Steinberg, A Partisan Guide to the Jewish Problem the Bobbs - Merrill Co., Newyork, 1945, P. 221.

3- Ibid, P. 223,224.

4- Michael Selzer, ed., Zionism Reconsidered : the Rejecton of Jewish Normalcy, The Macmillan Co., N.y.,1970,P.XI.

5- Arthur Hertzberg, ed. the Zionist Idea, A Historical Analysis and Reader 4th. printing Atheneum, New York, 1971,P.16.


٦- يحاول كثير من المؤرخين اليهود المؤمنين بفكرة الصهيونية العودة بها الى الماضى البعيد فى التاريخ اليهودى ولا يعتبرونها ظاهرة حديثة فى أصولها فهناك مثلا محاولات لارجاع ظهور فكرة الصهيونية إلى فترة دمار الهيكل وبداية الشتات حيث بدأت محاولات العمل على العودة إلى فلسطين .ويعود هؤلاء المؤرخون الى نصوص الصلوات والأدعية اليهودية الدينية

لإثبات هذا الرأى. وفى هذا يقول ملتون شتينبرج: " فــى كــل صلاة عامة، صباحا أو بعد الظهر أو مساء، وفى كــل صــلاة فردية سواء فى صلاة المائدة بعد الوجبات أو عند النوم، صلــى اليهود من أجل العودة إلى صهيون وفى اثنتين مــن الصلــوات الهامة المقدسة فى التقويم اليــهودى وهمــا الصــلاة الخاصـــة بالفصح ويوم الغفران، تنتهى الصلاة عادة بأدعية قصيرة حــارة للّه من أجل هذا الأمر (العودة)." وطبيعى جدا أن يحاول هـؤلاء المؤرخون أن يجعلوا من فكرة الصهيونية فكرة مســتمرة فــى الوجدان اليهودى إلى أن تتحقق، ولهذا يحاولون أن يجدوا لـــها أدلة فى كل عصر من عصور التاريخ اليــهودى بعــد الســبى البابلى .ففى العصر الوسيط مثلا يجد المؤرخ اليهودى فى شــعر يهوذا اللاوى العبرى فى قصائده الخاصة بصهيون، والأبيـــات التى نظمها فى تمجيد الأرض المقدسة، يجد فى كل هذا دليلـــه على استمرار فكرة العودة وبالتالى فكرة الصهيونية فى الشــعور اليهودى ولنقرأ كلمات شتينبرج التالية التى تؤكد لنا كيف يحــاول المؤرخ الصهيونى المعاصر ربط صهيونيته بالتاريخ اليـــهودى حيث يقول : " بقدر ما كان الشوق إلى استرداد صهيون قويا، لم يحاول الإنسان الصهيونى فى العصر الوسيط أن يحقـــق هــذه الفكرة بالعمل المباشر، لقد أربكته الظروف وأضعفته حتى يئـس من قوته ... وهكذا على الرغم من وجود طرق لعودة المنفييــن الا أنه لم تكن هناك محاولات على مجال أوسع لعودة الشـــعب إلى أرضه، لقد كان الحلم غيبوبة"، أنظـــر ملتـــون شـــتينبرج ص٢٢٢-٢٢٣.

٧- فسر بعض اليهود قيام دولة إسرائيل على أنـــه تحقيــق للوعــد المسيحانى بالخلاص وإن كان بعض اليهود قد اعتبرها تحقيقـــا جزئيا فقط، وأن التحقيق الكامل للخلاص هو الخلاص الروحـــى لكل البشرية " عندما يكتمل العالم عدالة وأخوة وســـلاما تحـــت حكم مملكة الخلاص الإلهية".

أنظر فى هذا :

Abba Hillel Silver, A History of Messianic Speculation in Isreal, from the first through the 17th Centuries, Beacon Press, Boston 1959,P.XX,xxI.

٨ – د. أسعد رزوق : فى المجتمع الاسرائيلى، محاولة أولية دراســـة التناقض والتكامل من زاوية علماء الاجتمـــاع فـــى اســـرائيل وخارجها، معهد البحوث والدراسات العربيـــة، القـــاهرة ١٧٩١ ص ٥٤،٦٦

٩- المرجع السابق ص ٧١

10 - The Zionist Idea, P.17

١١- المرجع السابق ص ١٧ .

12 - Abba Hellel Silver, Ahistory of Messianic Speculation in Israel from the First through the seventeenth Centuries. Beacon Press, Boston, 1959. p. Ix ý

13 - Steren S. Sehwarzshild, " The Personal Messiah : Toward the Restoration of a Discarded Doctrine" in Arguments and Doctrines A Reader

of Jewish Thiking in the Aftermath of the Holocoust, Selected with an introdutory essay by Arther A. Cohen , Harper and Roy N. Y. 1970, P.537.

١٤- المرجع السابق ص ٧٣٥ .

١٥- نقلا عن: فى المجتمع الاسرائيلى د. أسعد رزوق ص٧١

١٦- بعض اليهود رفعوا الصهيونية الى مرتبة الدين فاليهودية عندهم هى الصهيونية أنظر:

Zionism : Reconsidered, P. xIý

17 - Moses Hess, " Rome and Jerusalem " in the Zionist Idea edited by Arther Hertzlberg, P. 127.

18 - Will Heberg, " The Chosenness of Israel and the Jew of Today " in Arguments and Dectrines, ed. by Arthur Cohen p. 280 .

١٩- المرجع السابق ص ٢٨٠ .

20 - Bernard Bamberger, The Story of Judaism. Schocken Books, N.Y. 1965. p. 444 .

ثانيًا : هوامش الفصل الثاني :

1- SeleCted Essays of Ahad Ha-'am, translated from the Hebrew, edited, and with an introduction by Leon Simon. The Jewish Publication Society of America, Philadelphia, 1962.p. 182 .

٢- المرجع السابق ص ١٩٤ .

٣- المرجع السابق ص ١٨٢ .

٤- د. اسماعيل راجى الفاروقى، الملل المعاصرة فى الدين اليهودى .

٥- معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٨ ص ٢٧، ٢٩.

Howard Morley Sachar , The Course of Modern Jewish History , Dell Publishing Co., 1958 , P. 70.

6 - The Zionist Idea,P.

٧- أنظر فى هذا : الملل المعاصرة فى الدين اليهودى ص ٤١-٤٣.

٨- كان واضحا منذ البداية أن هدف القائمين على الثورة الفرنسية فيما يتعلق بالموقف اليهودى هو معاملة الإنسان اليهودى كفرد ينتمى الى الأمة الفرنسية لا الى جماعته اليهودية. ويتضح هذا الهدف فى رغبة المجلس الفرنسى فى منح اليهود الحقوق المدنية الكاملة والاعتراف بهم كافراد وأحرار مستقلين ومرتبطين بالدولة ارتباطا مباشرا وليس على أساس أنهم مجموعة بشرية لا تكون جزءا من الكيان السياسى للدولة .وعلى هذا الاساس أصبح كل يهودى فرنسيا بناءا على مقوماته كفرد. ويتضح هذا الهدف وضوحا لا شك فيه فى كلمات الكونت

كليمونـــت تونـــيرى Clermont Tonnerre Count فـــى المجلس القومى الفرنسى آنذاك حيث قال : "لليهودى كفرد - كل شىء : لليهود كأمة - لاشىء :

انظر : Modern Jewish Religious Movements, P.81

انظر أيضا :

Arthur Hertzberg, The French Enlightenment and The Jews, the Origins Of Modern Anti-Semitism, Schocken Books , N. Y , 1970

٩- الملل المعاصرة فى الدين اليهودى ص ٤١ ومن المشاكل الآخرى التى تسبب فيها التحرر مشكلة العلمانية .فقد كان تحرير اليهود " نتيجة لنمو العلمانية فى التنظيم السياســى والاجتمــاعى .اذ أن اقصاء الدين عن السياسة والاجتماع والاقتصاد أدى إلى اعتبــار المنفعة العامة والانتــاج والخــبرة والأهليــة كأســس لجميــع المعاملات والتنظيمات .ومن هنا جاء قبول اليهود على أســـاس كفائتهم الشخصية، وتماسك أفراد الأمة الواحدة بما فيهم اليهود، لا على أساس الدين، بل على أساس وجودهـــم فـــى الوطـــن، وعمومية المنطقة الاقتصادية والسياســية والاجتماعيــة بينـــهم فالجغرافية والاقتصاد حلا محل الدين فى تكوين الدولة " .ومـــن اضرار سيطرة العلمانية فى أوربا على الوضـــع اليـــهودى أن فكرة العلمانية فكرة نابعة من التجربة المسيحية لا اليهودية وفى هذا تأثير مسيحى واضح على اليهودية. وأقل مظاهر هذا التأثير أن يصبح اليهودى بعد التحرر عضوا فى أمة قومية علمانيــة لا مكان فيها للدين اليهودى ولا فاعلية لقوانينه " فقد أذاب التحريـــر

الأمة اليهودية كأمة وأذابت العلمانية الجديـــــدة علاقـــة الديـــن بالحياة".

أنظر تفاصيل مشكلة العلمانية فى الملل المعاصرة فـــى الديـــن اليهودى ص ٤١ -٤٣ ومما لا شك فيه أن مندلســـــون يعتـــبر مسئولا عن هذا التطور الجديد فى حياة الشعب اليـــهودى فقــد كافح من أجل ما يسمى بـــ " التنوير العلمانى للشعب اليهودى"، واعتقد أن اليهود يمكنهم أن يثبتوا قدرتهم ومكانتهم فيفسح لـــهم العالم المسيحى مكانا فى المجتمع ويمنحهم المساواة فى الحقــوق المدنية أنظر:

Modern Jewish Religious Movements, P 476

10- Modern Jewish History ed. by Ropert Chazan And Mare Lee Raphael , Schocken Books , N. y. , 1974, P. 18-19

11- The Course Of Modern Jewish History, P. 63.

١٢ - لقد تلقى يهود فرنسا أخبار الحريات المدنيـــة الممنوحـــة لـــهم بترحيب شديد يظهر فى الكلمة التى القاها بير اسحاق بيرBerr Isaac Berr الذى مثل يهود الالزاس Alzsae أمام المجلـــس القومى الفرنسى حيث قال : " لقد عادت إلينـــا الحقــوق التـــى سلبت منا منذ ألف وثمانمائة عام... فبنعمة الله وبفعل الشـــعب الفرنسى أصبحنا اليوم ليس فقط بنـــى آدمييـــن، وليـــس فقــط مواطنين ولكننا أصبحنـــا أيضـــا فرنســـيين ... ففـــى الســـابع والعشرين من سبتمبر كنا الوحيدين فى هذه المملكـــة العظيمـــة الذين، كما يبدو، كتب عليهم أن يبقوا الى الابد فى قيود العبودية.

ولكن فى اليوم التالى (٢٨سبتمبر ١٧٩١)، فى ذلك اليوم العظيم الذى سنحتفل به دائما، وضعتم فى قلوب مشرعى فرنسا الأميرة بين الأمم، ان تردوا لنا حقوقنا وتساعدونا فى تحديد حياتنـــا .. "
وقد انتشرت بين يهود فرنسا موجة من روح الوطنية عبر عنها أحد اليهود المعاصرين صموئيل ليفـــى Samuel Levy فـــى إحدى الصحف البارسية بقوله :" فرنسا التى محت عنـــا عـــار يهوذا .هى أرض إسرائيل بالنسبة لنا. تلالها صهيوننا وأنـــهارها أردننا. فلنشرب من مياهها الحية .مياه الحرية فالشـــعب الـــذى استبعد أكثر من أى شعب آخر سيصلى من أجل الشعب الـــذى كسر قيود عبوديته سيصلى لفرنسا ملاذ المقهور ".

Modern Jewish Religious Movements, p oz.

13 - The Zionist Idea, P.23

14 - Modern Jewish Religious Movements. P.226.

أنظر الفصل الخاص بالملة الأرثوذكسية فى: الملل المعـــاصرة فى الدين اليهودى ص٦٥-٨٧.

15 - Modern Jewish Religious Movements P.235

16 - Ibid, P.249.

17- Arthur Cohen,The Natural and the Supernatural Jew, an HIstorical and Theological Introduction, Mc Graw-Hill, N.Y. 1964, p.52.

١٨ - يعتبر جاكسون (١٧٦٨-١٨٢٨) مؤسس اليهودية الاصلاحيـــة وقد أدخل اصلاحات طقسية فى المدرسة التـــى أسسـها عـــام ١٨٠١ م .وقد اشتمل برنامجه الدينى على صلـــوات وترانيـــم وخطب بالألمانية وقد ذاع أمر هذه التجديـــدات فأســس معبـــدا

ووضع فيه الأرغن وطبق فيه نظاما حديثا كاملا للخدمة الدينية والعبادة وطبع كتابا للصلوات ودعا إلى خلاص عام للإنسانية بدلا من الخلاص الإسرائيلى، وأبدل الصلاة التقليدية الخاصة بقدوم المسيح المخلص بصلاة خاصة بعصر العدالة والأخوة .

انظر : Modern Jewish History .p.46.

١٩ – صموئيل هولدهايم (١٨٠٦–١٨٦٠) أحد زعماء الإصلاح وقد قام بادخال بعض التعديلات فى خدمة السناجوج والعبادة كما أدخل تغييرا على وظيفة الربى فجعلها وظيفة لاتهتم فقط بالأمور الطقسية أو التشريعية ولكن تهتم أيضا بأمور الجماعة كما هو الحال بالنسبة لرجل الدين المسيحى .وقد تأثر بآراء هيجل واعتبر الإصلاح وسيلة للتحسين والتقدم، وأن التاريخ فى تقدم مستمر وكان هذا يعنى عدم الاستمرار الدينى بين القديم والحديث .وأن التراث القديم لا يهتم بالعصر أو بالحاجة الى التكيف والتغير مع الاوضاع الجديدة .

وأصر هولدهايم أن اليهودية يجب أن تستسلم لتغيرات الزمن. ولهذا أراد أن يفصل العناصر الدينية الأخلاقية الإنسانية فى الديانة اليهودية من العناصر القومية بما أن هذه الأخيرة قد فقدت قيمتها بعد دمار الدولة اليهودية .ولأن اليهود ليست لهم دولة ويجب أن تتغير عاداتهم وتقاليدهم وفقا لمتطلبات الدول التى يعيشون فيها. فالاحتفال بالسبت مثلا أصبح بالضرورة لا يجب عقده فى يوم السبت كما كان الحال فى فلسطين، ولكن فى يوم الأحد حسب الظروف السائدة فى المجتمع الأوربى .كما

أراد التخلص من بعض طقوس هذا الاحتفـــال وعـــدم تطبيـــق تحريم العمل على كل اليهود، والسماح لبعض الفئات بالعمل فى هذا اليوم .كما أراد تطبيق القانون المدنى على الزواج، والسماح بالزواج المختلط وعدم التمسك بالختان واعتبار المولد هو الـذى يحدد يهودية المولود لا الختان .ولم يبق من أيام الصـــوم فـــى اليهودية إلا على صيام يوم الغفران وبالنسبة للصلاة ادخل نظام الكورس المختلط فى السناجوج، وألغى النفخ فى البوق فى رأس السنة إذ لاقيمة له فى العصر الحديث .وبهذه التغـــيرات كـــان سناجوج هولدهايم فى برلين أكثر المعابد اليهودية فـــى أوربـــا مسايرة للعصر الحديث وقد اعتبرت تعديلاتـــه أساســـا ومثـــالا للاصلاح فى أمريكا.

انظر :

Modern Jewish Religious Movements pp.179-183.

٢٠-ابراهام جيجر (١٨١٠-١٨٧٤) من أكبر زعماء حركة الاصلاح وقد أيد تطوير التراث الدينى اليهودى ليناسب متغيرات العصـــر والسمة الأساسية لليهودية عنده هى أنها ليست نظاما محدودا من القوانين الواجب تطبيقها فى حياة الفرد .ولكنها يجب أن تســـمو لتصبح نظاما أخلاقيا عالميا فى اتجاهه وتطبيقه .وهـــذا نفســـه يعتبر عند جيجر هدف الإصلاح الذى لابد وأن يحـــرر الحيـــاة اليهودية من قيود التشريعات التى لا تلائم العصر .وعلى حركـة الإصلاح أن تنشر المثل العليا للعصريين اليهود مـــع تعديلـــها لتناسب التراث ولأن اليهودية ديانة متغيرة وقابلة للتطور فـــهى

تستطيع تطوير مثل جديدة للإنسان اليهودى كبديل لهذا النظـــام من الوصايا والقوانين الذى لايبدو كافيا لحل التناقض القائم بيـن ميوله الحديثة ومتطلبات دينه .وقد كان هذا تبريرا كافيا لجيجـــر وغيره من زعماء الاصلاح للتغييرات التى أحدثوها فى الديانـــة اليهودية .وقد وضع جيجر كتابا للصلاة حذفت منه الاشــــارات إلى الأمثل المسيحانى واسترداد صهيون .واســـتبدلهما بصـــلاة لخلاص البشرية ككل، كما حاول التخلص من كل العناصر التى تجعل من اليهودية دينا خاصا، كالعنصر القومى مثلا.

أنظر الملل المعاصرة فى الدين اليهودى ص ٥٢ــ٥٥.

وانظر :

Modern Jewish Religious Movements P.173-179

21- The Zionist Idea , P.23 .

٢٢- لقد جعل ابراهام جيجر هذا الهدف أحد المبادىء التى اشـــتملت عليها خطته لوضع كتاب جديد للصلاة .حيث نص علـــى ذلـــك بقولة:"فيما يختص بمكانة اسرائيل فى تاريخ العالم فهذا يجـــــب وضعة على النحو التالى : اليهودية دين الحق والنور وقد تلقـت إسرائيل هذه المهمة واستمرت تحمل هذا المبدأ وتدافـــع عنـــه ويرتبط بهذا الثقة فى أن هذا الاعتقاد ســيصبح تدريجيـــا مـــن الممتلكات العامة لكل العالم المثقف .ولهذا سيجعل من إســـرائيل العالم كله .ولهذا فأشكال التعبير التى تميل الى تضييق أو عـــدم توضيح هذا التفكير اللسامى ليست مناسبة .وباتـــالى يجـــب أن يتقهقر الى الخلف ذلك الجانب القومى لإسرائيل :

(أ) الانفصال بين إسرائيل وبقية الشعوب، الذى كان موجودا فى وقت ما، لايجب أن يعبر عنه فى الصلاة بل يجب أن يكون هناك تعبير عن السرور بسقوط هذه الحواجز.

(ب) يجب أن يتجنب هذا الشعور الروحى النبيل أى مظهر بالتعالى ويجب أن يستبعد أية تلميحات جانبية للشعوب الأخرى.

(ج) النظرة الى المستقبل يجب أن تثير الأمل السعيد فى توحيد البشرية جمعاء فى الحقيقة والعدالة والسلام .ومع ذلك فسينتهى من وجداننا الاعتقاد فى إسترداد الدولة اليهودية فى فلسطين، وبالتالى ينتهى الاعتقاد فى بناء الهيكل فى أورشليم لكى يكون نقطة توحيد إسرائيل، ونفس الشىء ينطبق على جمع الشتات وأى شىء يتصل باستعادة ظروف ماضية والتعبير عن هذا الأمل فى الصلاة فالدعاء من أجل تحقيقها يعتبر زيفا واضحا.

أنظر : Modern Jewish History P.59-60.

وأنظر أيضا :

Robert Gordis, Judaism in a Christian World, Mc Graw-Hill Book. Co. M.Y.,1966,P.19.

23 - The Zionist Idea,P.23.

24 - Modern Jewish Religious Movements. PP. 202 , 203.

25-Modern Jewish Religious Movements,P.202-203.

وأنظر أيضا الملل المعاصرة فى الدين اليهودى ٩٣ــ٩٥.

26 - Judaism in a Christian World, p. 25 .

وانظر أيضا :

The Course of Modern Jewish History ,p.127.

وكذلك : The Story of Judaism .p 294-296.

27 - The Zionist Idea , p. 26 .

28 - Ibid , p. 26 .

٢٩- يعتبر موسى مندلسون Moses Mendelson (١٧٢٩-١٧٨٦) أكثر يهود عصره تأثرا بمبادىء عصر التنوير وكان معاصرا وصديقا للفليسوف عمانويل كانط والفليسوف جوتهولد ليسنج وقد دخل معهما فى حوار فلسفى حول طبيعة الدين أدى بمندلسون الى اتخاذ موقف من الديانة اليهودية ضد الهجوم الذى وجهه كانت، وكان كناط قد طور فكرة أن حقائق الدين - وجود الله، حرية الإرادة وغيرها - كلها تقع خارج دائرة المعرفة الإنسانية وأن الإنسان لا يستطيع أن يتصل بالحقيقة إلا من خلال التجربة الأخلاقية وعن طريق الحاسة الخلقية المتصلة بالذات الروحانية المنزهة والمميزة عن الذات الظاهرية، ووجود الاتجاه الاخلاقى فى الأنسان يشير الى وجود رب أو سلطة أخلاقية فى العالم على أساسها تبنى عقيدة الإيمان بالله ووجوده. والواجب الأخلاقى عند كانط لا معنى له بدون حرية الاختيار وهى فى نفس الوقت تفترض الخلود لكى تعطى فرصة لتحقيق القانون الأخلاقى بعد الحياة الزائلة من خلال الثواب للخير والعقاب للشرير .وإذا كان العقل الخالص لا يستطيع اثبات هذه الحقائق الدينية إلا أنه لا يرفض إمكانية وجودها، والعقل العملى يتطلب هذه الحقائق كشىء يختص بالاعتقاد الذاتى الداخلى

والشعور الإنسانى هو مصدر الوحى الذاتى الفطرى لمبـــادىء الأخلاق .وهكذا يجعل كانط القانون الأخلاقى قانونـــا مســتقلا يفيض عن الإرادة العقلية وحدها .

ويختلف مندلسون عن كانط فى أنه أضـــاف الوحـــى الالـــهى للشريعة اليهودية الى الوحى الطبيعى أو الفطـــرى الـــذى هـــو الشعور أو الوجدان الإنسانى .فقد آمن مندلســـون بـــأن أصـــل التوراة والديانة اليهودية يعود الى مصدر خارجى وليس للارادة العقلانية كما قال كانط .وبالنسبة للعقيدة اتفق مندلسون مع كـــانط فى رفضه للعقيدة dogma فقد رفض كانت عقائد المسيحية فـــى الوقت الذى رفع فيه مبادءها الاخلاقية على مبادىء اليهوديـــة. ولكن مندلسون اعتبر الطقس جـــزءا لايتجـــزأ مـــن الشـــريعة اليهودية التىلايمكن نسخها فى رأيه إلا أنه لم يســـتطع اقنـــاع كانت بالحقائق المكونة لجوهر الأخلاق اليهودية مثل الإنســـانية والعدالة والحب فقد صور كانط الإله اليـــهودى كإلـــه يطلـــب الطاعة العمياء من اتباعه لقوانينـــه وطقوســـه تحـــت التـــهديد والعقاب واعتبر كانط أن أى شـــىء يفعلـــه الإنســـان لادخـــال السرورعلى الهه غير السلوك الأخلاقى يعتبر جنونا ونوعا مـــن العقيدة الفاسدة .ولقد ترك دفاع مندلسون عن اليهودية انطباعـــا حسنا لدى صديقه الفيلسوف المسيحى ليسنج الذى كان واحدا من أهم المناصرين للحقوق اليهودية فى فترة عصر التنوير حتى أنه أصدر مسرحية صور فيها اليهودى على أنه الإنســـان الوحيـــد الموهوب روحيا وثقافيا .والأكثر من ذلك أن جعل ليسنج مـــن مندلسون مثالا لبطل عمله الدرامى الشهير "ناثان الحكيم" وهـــو

عمل يدور حول اليهودية والمسيحية والإسلام كمحاولة للتقريب بينهما وقد أشار ليسنج إلى أن المؤمن الحقيقى هو من يحتفظ بالسلوك الاخلاقى فى هذه الأديان .

٣٠ - يعتبر مندلسون ممثلا لهذا الاتجاه فهو فى الوقت الذى دافع فيه عن اليهودية كدين وتمسك بالعادات والطقوس الدينية حاول أن يقضى على حواجز الجيتو ويحول اليهودى إلى اوربى يحافظ على يهوديته، وطبقا لرأيه : على اليهودى أن ينغمس فى الثقافة الغربية ويتدرب على الحياة فى بيئتين البيئة الغربية والبيئة اليهودية حاملا بهذا مسؤلية ثقافية مزدوجة .وقد تحقق هدف مندلسون الأول ففى خلال سنوات اندمج اليهود فى الثقافة الألمانية ولكنه فشل فى تحقيق الهدف الثانى حيث لم ينجح فى تثبيت الرغبة والاتجاه إلى المحافظة على التراث اليهودى فىأذهان اليهود الألمان وخاصة المثقفين منهم .

أنظر :.odern Jewish Religious Movements P.73

وأنظر أيضا : الملل المعاصرة فى الدين اليهودى ٣٦ــ٣٩.

وكذلك : اليهودية للدكتور محمد بحر عبد المجيد ص ١٦٩ــ١٧١، وأنظر أيضا :

David Rudavsky, Modern Jewish Religious Movements, A History Of Emancipation and Adjustment, Behrman House, N.y. 1967, P. 52-53,56.

31- Jacob Katz, Tradition and Crisis, Jewish Society at the end of the Middle Ages, Schocken Books N.y .1971.P 257.

## هوامش الباب الثاني

### أولاً: هوامش الفصل الأول :

١- يقول بلاو عن الصهيونية فى أمريكا أنها " أصبحت الدين القومى ليهود أمريكا وأنه مع بداية تحول يهود أمريكا الى الصهيونية شعر بعض اليهود بصعوبة مشكلة الولاء المزدوج لأمريكا ولصهيون ،ولم ينقذ هذا الموقف الا التأكيد الصهيونى بين جماعة المحافظين على الأقل على الجانب الثقافى لا السياسى. وهكذا أصبح من السهل توضيح أن هذين الشكلين من القومية لا صراع بينهما وان ظلت المشكلة باقية بين فئات الأرثوذكس والاصلاحيين فى أمريكا. ومنذ العشرينيات الى الخمسينيات من هذا القرن الحالى حدث تحول خطير فى طبيعة الجماعات اليهودية فى أمريكا جعل هذه الجماعات تقوم أساسا على أسس بعيدة عن الايمان الدينى التقليدى، واستبدل بهذا الايمان الصهيونية التى تحولت الى دين قومى ليهود أمريكا جعل منهم وحدة واحدة ربما لأول مرة فى تاريخ اليهودية فى أمريكا. ويتساءل بلاو ما الذى سيحل محل الصهيونية كعامل توحيد ليهود أمريكا فى المستقبل. ويجيب على تساؤله بأن المستقبل وحده هو الذى سيكشف ان كان هناك عامل آخر سيحل محل الصهيونية فى أمريكا.

أنظر :

Zionism as a Religion in, Modern Varieties of Judaism, Columbia Univ. Press 1966 pp. 145-151.

ويوحى الخطاب الذى ألقاه تيودور هرتسل فى المؤتمر الصهيونى الأول، الذى انعقد فى بازل عام ١٨٩٧م، بأن هرتسل يساوى بين اليهودية والصهيونية حيث قال : " ان الصهيونية عودة الى اليهودية قبل أن تكون عودة الى الوطن اليهودى " وكذلك : " لقد وحدت الصهيونية بين أكثر عناصر اليهودية حداثة وأكثرها محافظة ومثل هذا الاتحاد لم يكن ممكنا بدون القاعدة القومية " .انظر :

Theodor Herzl, Opening Address at the First Zionist Congress", in Zionist Writings. Essays and Addresses, Vol. I. Hertzl Press New York, 1973 , p. 133.

٢- يعتبر سلفر العامل المسيحانى أحد العوامل الأساسية فى التفكير القومى اليهودى وقد أدى الى ظهوره فى الديانة اليهودية فقدان الاستقلال القومى بعد نهاية الوجود السياسى الاسرائيلى .وهو يعتقد ان مفهوم المسيح المخلص مفهوم جماعى نشأت عنه كل المطامع والتطلعات السياسية والدينية والأخلاقية .وكان المثال المسيحانى فى البداية مثالا سياسيا دنيويا، تلون بعد ذلك باللون الدينى الصوفى النابع عن النبوة الإسرائيلية، ثم اكتسب المفهوم صفته الإعجازية الخارقة للعادة بأن تحول الى مهمة تحقيق الخلاص القومى والتحول الى اليهودية وهى مهمة لا يمكن تحقيقها بالمجهود الإنسانى وحده ومن هنا بدأت شخصية المسيح

في الظهور .وقد كانت هذه الشخصية شخصية إنسانية ورسـالته رسالة سياسية دينية، إلا أن بعض الصفـات الخارقـة للعـادة أضيفت على الشخصية الإنسانية نظرا لنوعية مهمتة الشاقة التى تصعب على البشر .ونتج عن هذا الاعتقاد فى كائن مقدس ملـهم قادر على تدمير قوى الشر التى تضطهد شـعبه وقـادر علـى إسترداد شعبه ورفع المعاناة عنه وإعادة المجد القديم إليه .وقـد أضيف إلى هذا الاعتقاد فى شخصية المسيح المخلص الإيمـان بأن ظهوره لن يتحقق الا عن طريق توبة الشـعب وطهارتـه الأخلاقية فهى تمهد الطريق لقدوم المخلص ولتحقيق الخـلاص القومى .وليس من شك فى أنه مع كل هـذه التطـورات التـى أدخلت على مفهوم المسيحانية ظل المفهوم محتفظـا بطبيعتـه الخلاصية التى لازمته منذ القدم، كما احتفظ بفكرة أن الخـلاص سيأتى فى شكل حادثة أو واقعة تحدث فى التاريخ وأمام الجميع، وتحتفظ بالمظهر الخارجى لهذه الواقعة فى العالم المرئى وهـذا يعكس النظرة المسيحية الى فكرة المسيحانية .فهى فى المسـيحية واقعة تنعكس على الروح فى العالم الروحى غير المرئى وهـى لذلك مرتبطة بالفرد وتؤثر على التحول الذاتى الداخلى الذى قـد لا يستوجب الارتباط بأية مظاهر خارجية.

**للمقارنة بين اليهودية والمسيحية انظر :**

Gershom Scholem, The Messianic Idea in Judaism and Other Essays on Jewish Spirituality, Schoeken Books, N.Y., 1972. p. 1-2.

وانظر أيضا :

Joseph L. Blau, Modern Varieties of Judaisin, Columbia Univ. Press, N.Y.1966, p. 121-123.

3 - The Standard Jewish Encyclopaedia ed. by Cecil Roth Massadah Pub. Co. Jerusalem. 1966.

٤- المرجع السابق عمود ١٣٠٧.

٥- انظر : الفكر الدينى الاسرائيلى أطواره ومذاهبه .القـــاهرة ١٩٧١ ص ١٥٧ -١٦٤.

٦- المرجع السابق عمود ١٣٠٩.

7 - The Messianic Idea in Judaism, p. 31.

٨- المرجع السابق ص٣٠ وعن رأى موسى بن ميمون فى الطبيعـــة غير الاعجازية للمسيح المخلص انظر نفس المرجـــع ص٢٩ - ٣٢.

9- The Standard Jewish Encyclopedia

وانظر أيضا عمود ١٣٠٩ :

Messianic Speculation in Israel, p. XVI.

وعن التفكير المسيحانى فى فترة الحروب الصليبية انظـــر المرجـــع السابق ذكره ص ٥٨ -٨١.

10 - Messianic Speculation in Israel, p. XX.

ويعتبر يهودا القلعـــــى (١٧٨٨-١٨٧٨) أول مـــن اســـتغل التفكـــير المسيحانى فى اليهودية من أجل نشر الأفكار الصهيونية التى دعا اليها وتمثل كتاباته التحول بفكرة المسيحانية من مجالها الدينى المحض الـــى برنامج علمى فعلى ولأن تفكيره كان علمانيا سياسيا فقد واجه كثـــيرا

من النقد الذى وجهه له التقليديون من اليهود الذين اعــــترضوا علـــى تحقيق الخلاص بأيد بشرية وأعلنوا عدم امكانيه تحقيقـــه إلا بـــالتدخل الإلهى.

Modern Varieties of Judaism p. 129-130.

وانظر أيضا : The Zionist Idea, p. 29, 103-107.

١١- وفى هذا يقول : " ان الصهيونية الحديثة، بينما احتفظت بعناصر من الأمل المسيحانى القديم الا أنها أدخلت محاولة تطوير خطـط علمية للمجهود الانسانى فى بناء الوطن القومى "، وبـــهذا فقــد أعطيت الصهيونية معنى علمانيا علميـــا لمفـــهوم دينـــى عـــن الخلاص غير البشرى".

انظر : Modern Varieties of Judaism p. 134.

## ثانيًا : هوامش الفصل الثاني :

1- Modern Jewish Religious Movements p. 218 .

يقول رودفسكى أن الصراع بين اليهودية التقليدية والهسكالا فى المانيا أدى الى ظهور الاصلاح وفى هذا الصراع لم تسلم اليهودية التقليديـــة (الأرثوذكسية) من التغيير فقد اضطرت الى ابداء بعض التنازلات فـــى سبيل التحديث مما أدى الى ظهور ما سمى بالأرثوذكسية الجديدة .هـذا وقد عارض جزء من اليهود التقليديين إجـــراء أى تغيـــيرات علـــى عقيدتهم فأطلق عليهم الإصلاحيون لقب "المؤمنون القدامى". واســـتمر هؤلاء فى حياتهم اليهودية داخل الجيتو فى ألمانيا وغيرها ،وفى وسـط

تحكمه تماما المفاهيم التلمودية ونظروا نظرة معادية الى ثقافة العـــالم الخارجى،واعتبروها على غير اتساق مع اليهودية، وقد شاركهم فـــى هذا معظم يهود شرق أوربا .ومن المتحدثين باسم هذه الجماعة موشى سوفير(١٧٦٣-١٨٣٩) الذى حرم على بنى أهلـــه قـــراءة أعمـــال مندلسون ومنعهم من اكتساب أى تعليم علمانى، أو الانشغال بالثقافـــة الخارجية على التراث اليهودى وأثر عنه قوله : " لقد تغيرت الأزمات ولكن لنا أب قديم مبارك اسمه لم يتغير ولن يتغير".

انظر : Modern Jewish Religious Movements, p. 218-219.

2 - Modern Varieties of Judaism, p. 63.

3 - Modern Jewish Religious Movements, p. 219.

انظر وصفا تفصيليا للأرثوذكسية الجديدة في نفس المصدر ص٢١٨-٢٧٠ وانظر أيضا : Modern Varieties of Judaism

الملل المعاصر فى الدين اليهودى ص ٦٥ - ٨٧.

4 - Modern Jewish Religious Movements, pp. 294-6.

Medern Varieties of Judaism, p. 56.

5 - Declaration of principles Adopted by a Group of Reform Rabbis at Pittsburgh, 1885 in, Year book of the Central Conference of American Rabbis XLV (1935) p. 198- 200.

٦- المرجع السابق ص ١٩٨.

٧- المرجع السابق ص ١٩٩ .

٨- المرجع السابق ص ١٩٩.

٩- المرجع السابق ص ٢٠٠.

١٠- المرجع السابق ص ٢٠٠.

١١- المرجع السابق ص ٢٠٠.

١٢- المرجع السابق ص ٢٠٠ وانظر أيضا :

Modern Jewish Religious Movements, pp. 298-301.

وانظر أيضا : Modern Varieties of Judaism pp. 56-59.

وبالعربية : الملل المعاصرة فى الدين اليهودى ص ٥٨ - ٦١.

وكذلك اليهودية .د. محمد بحر عبد المجيد ص ١٧٤ - ١٧٥

13 - Modern Jewish Religious Movements, p. 301.

14 - Modern Jewish Religious Movements, p 301 .

15 - Ibid , p. 302.

16 -Modern Jewish Religious Movements, p. 319.

لقد طور اسحاق ليزر ما يسمى باسرائيل الكاثوليكية وهو يعنى بها أن تكون حلقة الوصل بين يهودية الماضى ويهودية الحاضر وربط الاثنين بتقاليد وتراث متواصل المرجع السابق ص٣١٩ وقد تلا ليزر فى قيادة المحافظين فى أمريكا سباتو موريــاس ( ١٨٢٣ -١٨٩٧) واستطاع تأسيس هيئة السيمنار اللاهوتى اليهودى فى ١٨٨٥م فى

نيويورك وكان تأسيس هذه الهيئة رد فعـــل للموقــف الــذى اتخــذه الاصلاحيون فى أمريكا من ضرورة التغيير الجذرى.

" لقد اتضحت ضرورة بذل الجهود المنظمة من جانب يـــهود أمريكـــا المخلصين للشريعة الموساوية وتراث الآباء من أجل هدف المحافظـــة على الروح اليهودية الحقة وذلك على وجه الخصوص عـــن طريـــق تأسيس سيمنار لتعليم الكتاب المقدس وشرح الأدب الحاخامى وحيـــث يتأسس الشبان الراغبون فى دخول العمل الدينى فى المعرفة اليهوديـــة ويستمدون الإلهام من المثل الذى يضربه معلموهم بحبهم اللغة العبرية وتفانيهم واخلاصهم للشريعة اليهودية ".

انظر :

Jewish Theological Seminary Students Annual New York 1914 p. 17.

Nathan Glazer, American Judaism, The Univ. of Chicago press, 1957. p. 58.

17 - Modern Jewish Religious Movements, p. 319-320.

لقد حدد روبرت جورديس أهداف الحركة المحافظة فى ثلاثة أمور :

**أولها** : استمرار التراث.

**وثانيها** : الملائمة بين التراث واحتياجات العصر الحديث ومثله.

**وثالثها** : التكامل الثقافى انظر:

Marshall Sklare., Conservative Judaism, an American Religious Movement, Schocken Book , N. Y., 1972 p. 126 .

18 - Modern Jewish Religious Movements, p. 328.

١٩- المرجع السابق ص ٣٢٩.

٢٠- المرجع السابق ص ٣٣٤.

٢١- المرجع السابق السابق ص ٣٣٤.

٢٢- المرجع السابق ص ٣٣٥.

٢٣- المرجع السابق ص ٣٣٥.

24 - Mordecai M. Kaplan, Judaism as a Civilization, Toward a Reconstruction of American- Jewish Life, Schocken Books, N.Y., 1967, p. 482, 507-8.

٢٥- المرجع السابق ص ٢١٦ - ٢١٧.

٢٦- المرجع السابق ص ١٨٦.

٢٧- المرجع السابق ص ٢٩٤.

٢٨- المرجع السابق ص ٢٧٣.

29 - The Reconstructionist, Vol, No. 17, 1964, P.32.

## هوامش الباب الثالث

**أولاً : هوامش الفصل الأول :**

1 - The Zionist Idea .P.41

٢- المرجع السابق ص ٤٢ .

٣- يغلب على تحليل بنسكر للمعاداة للسامية استخدام الأطر والتعريفات والتحليل الذى يؤكد غلبة لغة المصطلحات العلمية الجارية على أسلوب بنسكر فهو يعتبر اليهود كيانا بيولوجيا وجنسا لايمكن اندماجه، وهذا الكيان كيان شاذ، ولهذا فهو يسبب الخوف بين غير اليهود .والمعاداة للسامية عنده حالة مرضية وعلاج هذا المرض هو تصحيح وضع العلاقات اليهودية بغير اليهود .وهكذا فتحليله تحليل بيولوجى سيكولوجى للظاهرة فى مقابل المصطلحات السياسية التى ميزت أسلوب تيودور هرتسل .

4 - Samuel Ettinger,"Hibbat Zion" in , Zionism, Keter Pub. House, Jerusalem,1973,p.15.

5 - Modern Jewish History , a Source reader ,p.160

6 - Leo Pinsker ."Auto - Emanciption : An Appeal to his people by a Russian Jew" in Modern Jewish History a Source Reader ,p.161.

٧-المصدر السابق ص ١٦٣ .

٨-المصدر السابق ص ١٦٤ .

٩-المصدر السابق ص ١٦٤ .

١٠-المصدر السابق ص ١٦٤.

١١-المرجع السابق ص ١٦٥.

١٢-المرجع السابق ص ١٦٥.

١٣-المرجع السابق ص ١٦٦.

١٤-المرجع السابق ص ١٦٦.

١٥-المرجع السابق ص ١٦٦.

١٦-المصدر السابق ص ١٧٠.

١٧-المصدر السابق ص ١٧١.

١٨-المرجع السابق ص ١٧٣.

١٩-المرجع السابق ص ١٧٣.

٢٠-المرجع السابق ص ١٧٣.

٢١-المرجع السابق ص ١٧٤.

٢٢-المرجع السابق ص ١٧٤.

٢٣-المرجع السابق ص ١٧٤.

٢٤-المرجع السابق ص ١٧٤.

25- Theodor Herzl "The Jewish State" In the Zionist Idea .PP.204-226.

٢٦-المصدر السابق ص ٢٠٥.

٢٧-المصدر السابق ص ٢٠٦-٢٠٧.

٢٨-المصدر السابق ص ٢٠٨-٢٠٩.

٢٩-المصدر السابق ص ٢٠٩.

٣٠-المصدر السابق ص ٢٠٩.

٣١-المصدر السابق ص ٢٠٩.

٣٢-المصدر السابق ص ٢٠٩.

٣٣-المصدر السابق ص ٢١٢.

٣٤-المصدر السابق ص ٢١٢.

٣٥-المصدر السابق ص ٢١٢.

٣٦-المصدر السابق ص ٢١٣.

٣٧-المصدر السابق ص ٢١٣.

٣٨-المصدر السابق ص ٢١٣.

٣٩-المصدر السابق ص ٢١٤.

٤٠-المصدر السابق ص ٢١٤.

٤١-المصدر السابق ص ٢١٤.

٤٢-المصدر السابق ص ٢١٥

٤٣-المصدر السابق ص ٢١٦.

٤٤-المصدر السابق ص ٢١٦.

٤٥-المصدر السابق ص ٢١٧.

٤٦-المصدر السابق ص ٢١٧.

٤٧-المصدر السابق ص ٢١٨.

٤٨-المصدر السابق ص ٢١٩.

٤٩-المصدر السابق ص ٢٢٠.

٥٠-المصدر السابق ص ٢٢١.

٥١-المصدر السابق ٢٢١.

٥٢-المصدر السابق ص ٢٢٢.

٥٣-المصدر السابق ص ٢٢٢.

٥٤-المصدر السابق ص ٢٢٣.

٥٦-المصدر السابق ص ٢٢٦.

57 - Theodor Herzl, "Opening Address at the first zionist Congress", Zionist writings, Essays and Addresses, Vol.1 Trans. By Harry Zohn,Herzl press N.Y.1973, p.136.

٥٨-المرجع السابق ص ١٣٦.

59 - Jacob.Bernard Agus ,"Ethnic Antisemitism and political zionism" in his .The Meaning of Jewish History.Vol,II, Ablard-Schuman, London, 1963, p.414.

يرى كثير من المفكرين اليهود المعاصرين أن التحرير قد سبب أكبر أزمة تعرض لها تاريخ الديانة اليهودية، فالوضع الاجتماعى الجديد الذى احتله الإنسان اليهودى فى المجتمع أجبره على إعادة النظر فى عقائده الدينية ومحاولة تكييف أسلوب حياته ليناسب هذا الوضع الجديد.

فالترحيب بالتحرير كان ثمنه إعادة تشكيل التراث اليهودى ويبدو تأثير التحرير على كل أشكال اليهودية وبالدخول التام لليهودى فى الحياة العلمانية، ومن هنا يرى هؤلاء المفكرون أنه إذا كان اليهودى كفرد قد استفاد من التحرير فان اليهود كجماعة قد خسروا واليهودية كتراث تعرضت للدمار .حتى الصهيونية نفسها لم تستطع علاج هذه الأزمة لأنها لم تعمل على البعث الثقافى لليهود واليهودية .ومن المفكرين اليهود المعاصرين، ينقد بركوفتس الصهيونية السياسية التى دعا إليها هرتسل والتى انتهت جهودها بقيام دولة اسرائيل فيقول : " إن الصهيونية كما تطورت فى دولة إسرائيل لاتعنى التجديد الثقافى أو البعث الدينى كما أنها لاتؤدى بطريقة تلقائية إلى التوفيق بين التوراة والحياة .بل على العكس أن ظهور الصهيونية يؤكد هذا الصراع أو الانشقاق بين التوراة والحياة عن طريق كشف النقاب عن التناقض بين الشكل الجديد للحياة اليهودية وعالم التراث اليهودى القديم .ولهذا يرفض بركوفتس الصهيونية فى اسرائيل لان الواقع اليهودى الجديد فى فلسطين له طبيعة لايمكن التوفيق بينها وبين مقاصد "اليهودية التاريخية" انظر :

Eliezer Berkovitz, Towards Historic Judaism,Oxford, East and West Library ,1943, p.37-38.

وانظر فى هذا أيضا :

Joseph Blau ," Was Emancipation a mistake ?

Med-Twentieth Century Appraisals" in his Modern Varieties of Judaism , pp. 152-185.

59 - The Meaning of Jewish History ,p.415

60 - The Meaning of Jewish History, p.415

61- Ahad Ha-'Am,"Slavery in Freedom" in Selected Essays of Ahad Ha-'Am,Trans, From the Herbrew, by Leon Simon, The Jewish publication Society of America , Philadelphia ,1962.,p.191.

٦٢-المرجع السابق ص ١٨٢.

63 - The Meaning of Jewish History,p.416.

٦٤-المرجع السابق ص ٤١٧.

٦٥-المرجع السابق ص ٤١٧.

٦٦-نقلا عن : The Meaning of Jewish History p.421.

67 - The Mening of Jewish History p.241.

٦٨-المرجع السابق ص ٤٢٣.

٦٩-المرجع السابق ص ٤٢٤.

ثانيًا : هوامش الفصل الثاني :

1 - The Zionist Idea P.51.
2 - Ahad Ha-'Am ," The Transvaluation of Values", in selected Essays of Ahad Ha-'Am, p.239
3 - Leon Simon , ahad Ha-'Am, Asher Ginzberg, a Biography , Herzl press, N.Y.1960, p. 293 .
4 - The Meaning of Jewish History ,p.363.
5 - The Meaning of Jewish History .p.364.
6- Ahad Ha-'Am " A Spiritual Centre ". in Contemporary Jewish Thought, A reader ed. by Simon noveck the Colonial press ,Clinton, 1963., p .49.

٧-المرجع السابق ص ٤٩ .

٨-المرجع السابق ص ٥٠ .

9- Ahad Ha-'Am,"The Spiritual Rivaval" in Selceted Essays of Ahad Ha-'Am,p.294-295.
10- Benjamin M.Kahn,"Freedom and Identity ,the challenge of Modernity"
in Tradition and Contemporary Experience, Essays on Jewish Thought and life,ed.by A.Jospe, Schcken Books,1970,p.14-15.
11- Ahad Ha-'Am,"The Jewish State and the Jewish problem" in the Zionist Idea,p.264.

١٢-المرجع السابق ص ٢٦٤ .

١٣-المرجع السابق ص ٢٦٥ .

١٤-المرجع السابق ص ٢٦٥ .

١٥-المرجع السابق ص ٢٦٧ .

١٦-المرجع السابق ص ٢٦٧ .

١٧-المرجع السابق ص ٢٦٨ .

١٨-المرجع السابق ص ٢٦٩ .

١٩-المرجع السابق ص ٢٦٩ .

**حواشي الفصل الثالث :**

١- عبدالوهاب المسيري : موسوعة اليهود واليهودية، الجزء ٦، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٢٨١.
٢- المرجع السابق، ص٢٨١.
٣- المرجع السابق، ص٢٨٥.
٤- المرجع السابق، ص٢٨٦.
٥- المرجع السابق، ص٢٨٧.
٦- سعود المولى : مفارقات الصهيونية الدينية والسياسية، مجلة شؤون الأوسط، العدد ٧٣ يونيو ١٩٩٨م، ص٢٩ وما بعدها.
٧- المرجع السابق، ص١٨.
٨- أنيتا شابيرا : الصهيونية " مدخل تاريخي "، ترجمة محمد محمود أبوغدير، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، ١٩٩٨م، ص٤.
٩- المرجع السابق، ص٥.
١٠- المرجع السابق، ص٦.
١١- المرجع السابق، ص٨.
١٢- المرجع السابق، ص١٠.

# حواش الباب الرابع

## حواشي الفصل الأول :

١- معهد ساميت للمجلس الصهيوني. استطلاع للرأي حول مكانة الصهيونية لدى الشباب الإسرائيلي، جريدة معاريف ١٩٩٧/١٠/٢٧م.

٢- المرجع السابق.

٣- المرجع السابق.

٤- محمد محمود أبو غدير : أسطورة الصهيونية، مجلة رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، المجلد الثامن، العدد من الأول إلى الرابع، ١٩٩٩م، ص٦٢-٦٣. وانظر أيضًا لنفس المؤلف مقال : إسرائيل ما بعد الصهيونية، رسالة المشرق. مركز الدراسات الشرقية، المجلد الرابع، ١٩٩٥م.

٥- محمد خليفة حسن : الصهيونية الدينية وأثرها على المجتمع الإسرائيلي، رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية، المجلد السابع، ١٩٩٨م، ص٣٦. وانظر موشيه إيشون. المؤتمر الصهيوني في ظل الأزمة داخل الحركة الصهيونية، جريدة هتسوفيه ١٩٩٧/١٢/٢٢م.

٦- محمد خليفة حسن : المرجع السابق، ص٣٧.

٧- المرجع السابق، ص٣٧.

٨- المرجع السابق، ص٣٧.

**حواشي الفصل الثاني :**

١- جرشوم شوكين : نظرة جديدة إلى الصهيونية : نجاح أم فشل ؟ ترجمة د. محمد محمود أبو غدير، مجلة رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، المجلد الثامن، ١٩٩٩م، ص٦٤، ٩٤.

٢- كيث وايتلام : اختلاق إسرائيل، إسكات التاريخ الفلسطيني، ترجمة سحر الهنيدي، مراجعة فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٤٩، الكويت، ١٩٩٩م، مقدمة المؤلف، ص٢٥-٣٧.

٣- من أهم كتابات هذه المدرسة :

- بوعز عفرون : الحساب القومي ترجمة محمد محمود أبو غدير، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٥م.
- موريس بني : تصحيح الخطأ، اليهود والعرب في أرض إسرائيل ١٩٣٦-١٩٥٦، تل أبيب عم عوفيد، ١٩٩٩.
- سمحا فلابان : ميلاد إسرائيل : الأسطورة والواقع، تل أبيب عم عوفيد، ١٩٩٨م.
- توم سجيف : ١٩٤٩ الإسرائيليون الأوائل، تل أبيب، ١٩٨٦م.

٤- بوعز عفرون : الحساب القومي، مرجع سابق، ص .وانظر محمود سعيد عبدالظاهر، مدرسة المؤرخين الجدد في إسرائيل، مجلة رسالة المشرق، المجلد التاسع ٢٠٠٠م. وانظر أيضًا : إبراهيم ناجي علوش : المراجعة التاريخية وأهميتها، أعمال ندوة عنصرية الصهيونية والنازية، الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، دمشق، أغسطس ٢٠٠١م.

٥- محمد خليفة حسن : الصهيونية الدينية وأثرها على المجتمع الإسرائيلي، مجلة رسالة المشرق، المجلد السابع، ١٩٩٨م، ص٤.

٦- المرجع السابق، ص٤٣.

٧- المرجع السابق، ص٤٤.

**حواشي الفصل الثالث :**

١- عبدالوهاب المسيري : من هو اليهودي ؟ دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٧م.

٢- انظر : محمد خليفة حسن : رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨م.

٣- انظر : محمد خليفة حسن : ظاهرة النبوة الإسرائيلية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ١٩٩١م.

4- Judaica, The article, Jewish Identity, Vol. 10, Jerusalem.

٥- انظر : محمد خليفة حسن : " الدلالات التاريخية والدينية للمسميات عبري – إسرائيلي – يهودي : في كتاب : تاريخ الديانة اليهودية، دار غريب، القاهرة ١٩٩٧م.

٦- محمد خليفة حسن : الشخصية الإسرائيلية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٨م.

٧- رشاد عبدالله الشامي : إشكالية الهوية في إسرائيل، سلسلة عالم المعرفة، العدد رقم ٢٢٤ الكويت، ١٩٩٧.

8- Simon N. Herman, Jewish Identity, New Brunswick, 1989.

**حواشي الفصل الرابع :**

١- محمد السماك : الأصولية الإنجيلية أو الصهيونية المسيحية والموقف الأمريكي، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطة، الطبعة الأولى، ١٩٩١، ص١٥-١٦. وانظر أيضًا : عاطف عبدالغني : صدام الأحوليات : نهاية إسرائيل ونهاية العالم، دار الخيال، القاهرة، ١٩٩٩م، عرض عبدالباقي حمدي في مجلة حصاد الفكر.

٢- إسرائيل من الداخل : إشكالية الدين والسياسة، مجلة حصاد الفكر، مركز الإعلام العربي، العدد ١٠١ يونيو ٢٠٠٠م، ص٧.

٣- نافذ أبو حسنة : المتدينون والعلمانيون في إسـرائيل، مركـز الدراسات الاسـتراتيجية والبحـوث والتوثيـق. بيـروت، الطبعـة الأولى ١٩٩٩م، ص١٢-١٣.

٤- هناك تصنيف للجمهور الإسرائيلي إلى أربع مجموعات، وذلك في استطلاع للرأي أجراه معهد داحف، وانتهى الاستطلاع إلـى توزيع الإسرائيليين إلى :

٥٢% علمانيون. ٣١% محافظون على التقاليد الدينية.

١٠% متدينون. ٧% حريديم (متدينون متشددون).

انظر : نافذ أبو حسنة : مرجع سابق، ص٢٦. وانظر أيضًـا: خالد عايد : المتدينون والعلمانيون في إسرائيل : جدل الوحـدة والصراع، مجلة الدراسات الفلسـطينية، العـدد ٣٠، بـيروت ١٩٩٧م، ص١١٥.

5- Ahad Ha'am ( Asher Ginzberg ) " The Jewish State and the Jewish Problem " in, The Zionist Idea, ed. by Arthur Herzberg, Atheneum N.Y., p. 264.

وانظر أيضًا :

Ahad Ha'am " Aspirtitual Centre ", in Contemporary Jewish Thought, A Reader, ed. By Simon Noveck, The Colonial Press, Clinton, 1963, p. 49.

٦- أفيفا أفيف : المجتمع الإسرائيلي، ترجمه من العبرية محمـد أحمد صالح، مركز الدراسـات الشـرقية، جامعـة القـاهرة، ١٩٩٨م، ص٧٦.

٧- المرجع السابق، ص٧٦.

٨- المرجع السابق، ص٢٤-٢٥.

٩- نافذ أبو حسنة : مرجع سابق، ص ٧١-٧٢.

١٠- المرجع السابق، ص٦٥-٦٦.

١١- المرجع السابق، ص٧٦-٧٧.

١٢- نافذ أبو حسنة : مرجع سابق ص٨١. لمزيد من التفاصيل انظر : محمد محمود أبو غدير : الحرب الثقافية بين العلمانيين والمتدينين في إسرائيل، رسالة المشرق، المجلد الخامس، ١٩٩٦م.

١٣- أفيفا أفيف : المجتمع الإسرائيلي، مرجع سابق، ص٨٦.

١٤- المرجع السابق، ص٨٦-٨٧.

١٥- المرجع السابق، ص٨٧-٨٨. وانظر السيديس : تشريح العقل الإسرائيلي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٧٥-٧٦.

١٦- نافذ أبو حسنة : مرجع سابق، ص٧٩-٨٧.

١٧- أفيفا أفيف : مرجع سابق، ص٨٨-٨٩.

١٨- المرجع السابق، ص٨٨. وانظر أيضًا : محمد محمود أبو غدير : الصراع الديني العلماني داخل الجيش الإسرائيلي، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م.

**حواشي الفصل الخامس :**

١- محمد خليفة حسن : الشـــخصية الإســـرائيلية، دراســة فـــي توجهات المجتمع الإسرائيلي نحو الســـلام، مركـــز الدراســـات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخيـــــة، العدد ٢، ١٩٩٨م، ص١١٥.

٢- المرجع السابق، ص١١٤.

٣- المرجع السابق، ص١١٠.

٤- المرجع السابق، ص١١٧.

٥- محمد محمود أبو غدير : الصراع بين المتدينين والعلمـــانيين في إسرائيل، مجلة رسالة المشرق، مركز الدراسات الشـــرقية، جامعة القاهرة.

٦- محمد خليفة حسن : الشخصية الإسرائيلية، ص١٢١.

٧- إحسان مرتضى : الأبعاد الثلاثية لأزمة إسرائيل، مجلة شئون الأوسط العدد ٧٣، يونيو ١٩٩٨م، ص٣٩.

٨- محمد خليفة حسن : البعد الديني للصراع العربي الإســرائيلي، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، مركز الدراسات الشـــرقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٩م، ص٢٨-٢٩.

٩- المرجع السابق، ص٤٥.

١٠- المرجع السابق، ص٥٢.

١١- المرجع السابق، ص٥٣.

١٢- رون بن يشى : سلاح حراسة من الحريديم، جريدة يديعوت أحرونوت ١٥/٦/١٩٩٨م.

١٣- المرجع السابق.

١٤- محمد خليفة حسن : البعد الديني للصراع العربي الإسرائيلي، ص٥٦-٥٧.

١٥- المرجع السابق، ص٦١ وما بعدها.

١٦- سعود المولى : مفارقات الصهيونية الدينية والسياسية، مرجع سابق، ص٢٠.

١٧- محمد حليفة حسن : البعد الديني للصراع العربي الإسرائيلي، مرجع سابق، ص٩٠ وما بعدها.

١٨- المرجع السابق، ص١٠٢.

# المصادر والمراجع

## المراجع العربية :


١- إبراهيم ناجي علوش : المراجعة التاريخية وأهميتها، أعمال نـدوة عنصرية الصهيونية والنازية، الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، دمشق، أغسطس ٢٠٠١م.

٢- إحسان مرتضى : الأبعاد الثلاثية لأزمة إسـرائيل، مجلـة شـئون الأوسط العدد ٧٣، يونيو ١٩٩٨م، ص٣٩.

٣- أسعد رزوق : الدولة والدين فى إسرائيل.

٤- ـــــــ : دراسات فلســطينية رقـم ٣٧ منظمـة التحريـر الفلسطينية مركز الأبحاث - بيروت ١٩٦٨م.

٥- ـــــــ : فى المجتمع الإسرائيلي، معهد البحوث والدراســات العربية القاهرة ١٩٧١ م .

٦- إسماعيل راجى الفاروقى : أصول الصهيونية فى الدين اليـــهودى .معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة ١٩٦٤م

٧- ـــــــ : الملل المعاصرة فى الديــن اليـهودى، معهد البحوث والدراسات العربية - القاهرة ١٩٦٨ م.

٨- أفيفا أفيف : المجتمع الإسرائيلي، ترجمه من العبرية محمد أحمـد صالح، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٨م،ص٧٦.

٩- بوعز عفرون : الحساب القومي، مرجع سابق، ص . وانظر محمود سعيد عبدالظاهر، مدرسة المؤرخين الجدد في إسرائيل، مجلة رسالة المشرق، المجلد التاسع ٢٠٠٠م.

١٠- حسن ظاظا : الفكر الدينى الإسرائيلى .أطواره ومذاهبه، القاهرة ١٩٧١ م .

١١- رشاد عبدالله الشامي : إشكالية الهوية في إسرائيل، سلسلة عالم المعرفة، العدد رقم ٢٢٤ الكويت، ١٩٩٧.

١٢- سعود المولى : مفارقات الصهيونية الدينية والسياسية، مرجع سابق، ص٢٠.

١٣- فاروق محمد جودى : الصهيونية واللغة .دار الثقافة للطباعة والنشر- القاهرة ١٩٧٧م .

١٤- كيث وايتلام : اختلاق إسرائيل، إسكات التاريخ الفلسطيني، ترجمة سحر الهنيدي، مراجعة فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٤٩، الكويت، ١٩٩٩م، مقدمة المؤلف، ص٢٥-٣٧.

١٥- محمد السماك : الأصولية الإنجيلية أو الصهيونية المسيحية والموقف الأمريكي، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطة، الطبعة الأولى، ١٩٩١، ص١٥-١٦.

١٦- محمد بحر عبد المجيد : اليهودية، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٧٧م .

١٧- **محمد خليفة حسن** : البعد الديني للصراع العربي الإسرائيلي، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٩م، ص٢٨-٢٩.

١٨- ــــــــــ : الشخصية الإسرائيلية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٨م.

١٩- ــــــــــ : الصهيونية الدينية وأثرها على المجتمع الإسرائيلي، رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية، المجلد السابع، ١٩٩٨م، ص٣٦.

٢٠- ــــــــــ : الصهيونية الدينية وأثرها على المجتمع الإسرائيلي، مجلة رسالة المشرق، المجلد السابع، ١٩٩٨م، ص .

٢١- ــــــــــ : رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨م.

٢٢- ــــــــــ : ظاهرة النبوة الإسرائيلية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ١٩٩١م.

٢٣- **محمد محمود أبو غدير** : أسطورة الصهيونية، مجلة رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، المجلد الثامن، العدد من الأول إلى الرابع، ١٩٩٩م، ص٦٢-٦٣.

٢٤- **معهد ساميت للمجلس الصهيوني** : استطلاع للرأي حول مكانة الصهيونية لدى الشباب الإسرائيلي، جريدة معاريف ٢٧/١٠/١٩٩٧م.

٢٥- موشيه إيشون : المؤتمر الصهيوني في ظل الأزمة داخل الحركة الصهيونية، جريدة هتسوفيه ٢٢/١٢/١٩٩٧م.

٢٦- ــــــــــــ : المؤتمر الصهيوني في ظل الأزمة داخل الحركة الصهيونية، جريدة هتسوفيه ٢٢/١٢/١٩٩٧م.

٢٧- نافذ أبو حسنة : المتدينون والعلمانيون في إسرائيل، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق. بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، ص١٢-١٣.

المراجع الأجنبية :

**Agus, B.Jacob,** Dialogue and Tradition,the Response of Judaism to the Major Challenges of the Contemporary World,Abelard-Schuman London, 1971

-----------"Ethnic Antisemitism and political Zionism"in,the meaning of Jewish history, VI,II, Abelard Schuman, London, 1963.

**Ahad Ha- 'Am,**(Asher Ginzberg) The Jewish state and the Jewish problem" in The Zionist Idea,ed.by Arthur Hertzberg,Atheneum,4th.printing1971.

--------- (Asher Ginzberg ) " The Jewish State and the Jewish Problem " in, The Zionist Idea, ed. by Arthur Herzberg, Atheneum N.Y., p. 264.

--------- " Aspirtitual Centre ", in Contemporary Jewish Thought, A Reader, ed. By Simon Noveck, The Colonial Press, Clinton, 1963, p. 49.

-----------"The Spiritual Revival" in Selected Essays of Ahad Ha- 'Am,trans,from the Hebrew by Leon Simon, The Jewish publication Society of America, philadelphia, 1962.

-----------"The Transvalation of Values" in Selected Essays of Ahad Ha-'Am, Philadelphia,1962.

-----------"Slavery in Freedom " in, Selected Essays of Ahad Ha-'Am, Philadelphia,1962.

**Bamberger,Bernard**,The Story of Judaism .Schocken Books, N.Y.1965.

**Berkovitz,Eliezer**,Towards Historic Judaism,Oxford East and West Library,1943.

**Blau,Joseph,L.**,Modern Varieties of Judaism,Columbia Univ.press,N.Y.1966.

**Chazan,Robert** and Raphael, Marce Lee,Editors, Modern Jewish History, Schocken Books, N.Y.,1974 .

**Cohen,Arthur**,Arguments and Doctrines,a Reader of Jewish Thinking in the Aftermath of the Holocaust, Selected with introductory essays, Harper and Row,1970 .

-----------"The Natural and the Supernatural Jew,an Historical and Theological Introduction, Mc Graw-Hill, N.Y.1964.

Declaration of Principles Adopted by a Group of Reform Rabbis at Pittsburgh,1885 in,Yearbook of the Central Conference of American Rabbis, XLV(1935) .

**Ettinger,Eamuel**"Hibbat Zion" in Zionism,Keter pub.House,Jerusalem,1973 .

**Glazer,Nathan**,American Judaism,Chicago,the Univ.of Chicago press.1957.

**Gordis,Robert**,Judaism in a Christian world,Mc Graw-Hill Book Co.,N.Y.,1966.

-----------"A Jewish prayer Book for the Modern Age", Conservative Judaism, II,1,October1945.

**Herberg,Will,**"The Chosenness of Israel and the Jew of Today in, Argments and Doctrines, ed.by Arthur Cohen,1970.

**Hertzberg Arthur**, edKZ The Zionist Idea, a Historical Analysis and Reader, 4th Printing, Atheneum, N.Y.1971.

**Hertzberg, Arthur**,The French Enlightenment and the Jews, The Origins of modern Anti-Semitism, Schocken Books,1970.

**Herzl,Theodor**,"Opening Address at the First Zionist Congress" in ,Zionist Writing, Essays and Addresses,VOI,I., Herzl press, N.Y.,1973.

-----------"The Jewish state'in,The Zionist Idea,ed.by A.Hertzberg.1971.

**Hess, Moses,**"Rome and Jerusalem",in the Zionist Idea, ed. by A.Hertzberg,1971.

**Jewish Theolgical** Seminary Students Annual,New York,1914.

**Josepe,Alfred**,ed.,Tradition and Contemporary Experience,Essays on Jewish Thought and life,Schocken Books,N.Y.,1970.

**Judaica**, The article, Jewish Identity, Vol. 10, Jerusalem.

**Kaplan,Mordecai**,Judaism as a Civilization,Toward a Reconstruction of American Jewish Life, Schocken Books,N.Y.,1967.

-----------"A New Zionism,Herzl Press and Jewish Reconstructionist Press, New York,1959.

**Katz,Jacob**,"The Jewish National Movement : A Sociological Analysis" in Jewish Society Through theAges,ed.,byH.H.BenSasson and S.Ettinger,Schocken Books,N.Y.,1973

**Katz,Jacob**,Tradition and Crisis,Jewish Society at the End of the Middle Ages ,Schocken Books,N.Y.,1971.

**Noveck,Simon**,ed.,Contemporary Jewish Thought,a Reader,Clinton,1963.

**Parter,J.N.and Drier P.**,d.Jewish Radicalism,Grove Press, N.Y.,1973.

**Pinsker,Leo**,"Auto-Emancipation : an Appeal to his people by a Russian Jew", Modern Jewish History a Source Reader , Schocken Books, N.Y.1974.

The Reconstructionist,VOI.No;17,1964.

**Roth,Cocil**, ed.,The Standard Jewish Encyclopedia, Massadah pub.Co.,Jerusalem,1966.

**Rudavsky, David** Modern Jewish Religious Movements ,a History of Emancipation and Adjustment, Behraman House, N.Y.,1967.

**Sachar,H.M.**,The Course of Modern Jewish History,Dell Co.,1958.

**Scholem,Gershom**,The Messianic Idea in Judaism, and Other Essays on Jewish Spirituality ,Schocken Books, N.Y., 1972.

**Selzer,M.ed.**,Zionism Reconsidered : the Rejection of Jewish Normalcy, the Macmillan Co.N.Y.,1970 .

**Silver, Abba Hillel**, A History of Messianic Speculation in Israel from the First through the Sevnteenth Centuries,Beacon press,Boston,1959.

**Simon,Leon**, Ahad Ha- 'Am,Asher Ginzberg, a biography Herzl press,N.Y.,1960

**Simon N. Herman**, Jewish Identity, New Brunswick, 1989